وزارة التعليم العالى والبحث العلمي - ليبيا
جامعة بنغازي - كلية التربية بنغازي

مجلّة كليّة التّربية العلميّة

مجلّة تربويّة محكّمة نصف سنويّة

تصدر عن :

كليّة التّربية – جامعة بنغازي

العدد الثالث نوفمبر 2016م – صفر 1438هـ

Email : edu.Journal@uob.edu.ly

مجلّة كلّيّة التّربية العلميّة مجلّة تربويّة علميّة نصف سنويّة

تصدر عن كلية التّربية – جامعة بنغازي

العدد الثّالث نوفمبر 2016م – صفر 1438هـ

رئيس التّحرير

د . ميكائيل إدريس الرّفادي

نائب رئيس التّحرير

د . يونس إبراهيم أبو مصطفى

مدير التّحرير

د . نجلاء علي الغرياني

الإشراف العام والتّدقيق اللّغوي

د . محمّد علي عبد الوهّاب

Email : edu.Journal@uob.edu.ly

كلمة رئيس التّحرير

يستمد العلم قوّته من شدّة ارتباطه بالواقع ، يتأثّر به ويؤثّر فيه ، وليس العلم إلا مجموعة من الحقائق التي نسعى للحصول عليها لتعيننا على تحقيق أقصى ما يمكن من أشكال السّعادة في الدّنيا و الآخرة .

إنّ من أهداف العلم اكتشاف الحقائق الواقعية ومنها السّنن الكونية الّتي أوجدها الخالق ﷻ ليسيّر بموجبها أمور الكون ، وقد يكون مصدر هذه الحقائق التّلقي أو الملاحظة أو التّجربة أو الاستنتاج ، فالحقائق ليست إلا نوعاً من المعرفة يميل إلى أن تكون ذات مصداقية عالية .

والبحث العلمي سلوك إنساني منظّم يهدف إلى استقصاء صحة معلومة أو فرضية أو توضيح لموقف أو ظاهرة وفهم أساسها وآليات معالجتها أو إيجاد حلّ ناجح لمشكلة محدّدة ، وهو نشاط سلوكي يهدف لنمو الإدراك البشري وزيادة قدرته .

إنّ مجلة كلية التّربية العلميّة تنشر بحوثاً محكّمة من أجل هذا الهدف وها هو العدد الثّالث يرى النّور في ظروف استثنائية ليبدّد ظلمات اليأس والألم ويرسم بسمة مشرقة بالأمل والتّفاؤل تبشر بمستقبل واعد .

الرقم	في هذا العدد	الباحث	الصفحة
.1	إدارة الجودة الشاملة بالجامعات الليبية : دراسة حالة لجامعة مصراتة	الدكتور محمد عبد الحميد الطبولي الدكتور رمضان سعد كريم الترهوني الدكتورة إبتسام علي حمزه العبار	26 – 1
.2	تقييم الأداء الإداري للأندية الرياضية بمدينة بنغازي من وجهة نظر مدربي الألعاب الجماعية	محمد عبد القادر الشيخي يوسف عمران النجار	48 – 27
.3	آراء العلماء – قدماء ومحدثين– في عملية التعريب	الدكتور/ إبراهيم أحمد سلّام الشيخ عيد	74 – 49
.4	قراءةٌ في أبنية **اسم** الفاعل والصفة المشبهة	الدكتورة نجاة سعد محمد الورفلي	95 – 75
.5	المدح في شعر القُطاميّ	د. يونس إبراهيم أبو مصطفى	128 – 96
.6	**STATISTICAL STUDY FOR DISABILITY PHENOMENON IN BENGHAZI AREA**	Faiza F. El-khafifi Yasmina B. El-Figih	156 – 129
.7	**ملاءمة أغنام البربري المحلية لمنطقة سلوق ومقارنها بنظم انتاج الأغنام العالمية**	سالم علي بوزريده[1] فتحي علي عطية[1] فؤاد سالم أكريم[2]	170 – 157

إدارة الجودة الشاملة بالجامعات الليبية : دراسة حالة لجامعة مصراتة

إعداد:

الأستاذ الدكتور محمد عبد الحميد الطبولي جامعة بنغازي ليبيا

الدكتور رمضان سعد كريم الترهوني جامعة بنغازي ليبيا

الدكتورة إبتسام علي حمزه العبار جامعة بنغازي ليبيا

ملخص الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تحديد مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراته ، والكشف عن دلالة الفروق في ذلك المستوى والتي يمكن أن تعزى لمتغير الكلية من وجهة نظر أعضاء هيأة التدريس الجامعي. تكون مجتمع الدراسة من 1022 عضو هيأة تدريس خلال العام الجامعي 2013-2014. اختيرت منهم عينة عشوائية بسيطة قوامها 250 عضو هيأة تدريس ، وطورت استبانة لجمع بيانات الدراسة تكونت من 95 فقرة موزعة على ثمانية أبعاد : التركيز على المستفيد ، والثقافة التنظيمية ، ودعم الإدارة العليا للجودة ، والتحسين المستمر ، والتركيز على العاملين ، ونظم المعلومات الجامعية ، وضمان الجودة ، والعلاقة مع المورد. خضعت أداة الدراسة لاختبار الصدق الظاهري ، كما تأكد من ثباتها باستخدام معامل ألفا كرونباخ الذي بلغت قيمته 0.76 وهي قيمة ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05.

بلغ عدد الاستبانات المسترجعة والقابلة للتحليل الإحصائي 115 استبانة واستخدمت بعض الوسائل الإحصائية في تحليل بيانات الدراسة شملت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والاختبار التائي (t.test). وأظهرت نتائج الدراسة ارتفاعاً في مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراته في جميع الأبعاد التي شملتها أداة القياس باستثناء بعد نظم المعلومات الجامعية الذي مورس بدرجة متوسطة ، كما تبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراته تعزى لمتغير الكلية.

Abstract

The aim of this study was to determine the level of the quality of the administrative, as well as, the learning services of the university of Musrata. It aimed also to examine the differences that might be due to the kind of collage from the view point of the university teaching staff. The population of the study consisted of 1022 teaching staff members, during the academic year2013-2014. A simple random sample was chosen. The sample size was 250. A data collection method was developed. It consisted of 95 statements. It was divided into eight dimensions : concentration on the stakeholder, administrational culture, higher administration's support, Continues improvement, concentration on employees, academics' information systems, quality assurance, and relations with suppliers. The data collection's tool was tested for validity and reliability. The study's evidences showed that a raise in the quality of the learning and administrative services at the university of Musrata in all dimensions, except the demission of academics' information systems. At the same time, there was no significant statistical difference on the level of the quality of administrative and learning services at the university of Musrata, with regard to the kind of collage variable.

مقدمة

تمثل فلسفة الجودة الشاملة تناول ريدكالي جديد للتفكير في إدارة النظم العامة ، وللتوجه نحو مستقبل أفضل يستند إلى الإيمان بأن ما وصلت إليه النظم الآن (أي آن) لا يمثل قمة أو سقفاً ما يمكن أن تصل إليه ، حيث لا يعكس وضعها الراهن إلا بداية أو خطوة لممكنات منظمية لا حدود لها.

يتطلب هذا المنحى في التفكير أن تعيش قيادات النظم ومستخدميها عالم الماورائية النظمية التي تنطلق من فرضية أن هناك واقعاً وممارسات أفضل من الواقع والممارسات السائدة في بيئة المنظمة ، وأن الوضع القائم لا يجسد إلا بديلاً واحداً من بدائل أخرى متوافرة ومتاحة ، قد تكون أفضل من البديل القائم ، كما قد يوفر المستقبل خيارات وبدائل متنوعة تكون أفضل وأثرى من تلك المطروحة في الوقت الراهن ، مما يجعلها تعيش آمال البحث عن التطوير والتحسين المستدام ، وممارسة أدوارها ضمن حافة الفوضى الصحية ، وما يتطلبه ذلك من يقظة وتأمل في الفرص المتاحة ونقاط القوة ، والتهديدات المحتملة ومواطن الضعف ، والمقدرات الذاتية للمنظمة بالاستفادة من الإرث الحضاري المنظمي لرفع سقف ممكنات النظم.

إن التوجه الماورائي في التفكير النظمي يعمل على تحويل النظم باتجاه ممارسات نظمية نوعية ، و أداءات متميزة دون تأطير أو تحديد لممكنات الكيف والتميز.

تعمل إدارة الجودة الشاملة على تأسيس نظم ثورية تعيش التبدل الهادف والترحال الواعي دائم التحول (من – إلى) بهدف العبور إلى واقع أفضل على هدي من التغيرات والتبديلات المستمرة في حاجات المتعاملين معها ورغباتهم ، والمستفيدين من خدماتها.

إن ترسيخ ثقافة الجودة بمؤسسات التعليم العالي ، وإحداث تغيرات جوهرية توسع مساحة ممارساتها الإبداعية ، وخصائصها الفريدة ، وتحرير النظم التربوية من النمطية ، وتعميم حالات التميز ، وتركيز دائرة الاهتمام بمضامين هذه الثقافة لنشرها وجعلها بينة وشاخصة في مناخات النظم التربوية يستوجب تصميم رؤية مشتركة ، وقيم يتقاسمها العاملون في هذه المنظمات والمتعاملون معها ، وتحظى بالدعم والتأييد من قبل جميع قيادات النظم التربوية لتوجيه مساراتها نحو تقديم خدمات عالية الجودة ، مع خفض التكاليف إلى أدنى مستوى لها ، والمزاوجة بين الأبعاد التقنية العقلانية والقيمية الأخلاقية ، لتحقيق عوامل القيمة والقيمة المضافة في سياقات عمل الإدارة التربوية.

لقد كان لظهور حركات الإصلاح التربوي ، وشعور النخبة من المجاميع السياسية والقادة والمربين بانحدار وتراجع أداءات النظام التربوي بالولايات المتحدة الأمريكية الأثر البالغ في اعتماد نظام الجودة الشاملة ، خاصة بعد النجاحات التي حققها هذا النظام بمؤسسات التعليم العام ، والتميز الذي أظهرته البرامج الأكاديمية والخدمية في بعض الجامعات كتجربة جامعة أوريجون Oregon University وجامعة ويسكنسون Wisconsin University وتجربة جامعة ولاية نورث وست ميسوري North West Missouri University وتجربة مجلس التعليم العالي في ولاية فرجينا The State Conucil of Higher Education for Virginia

ونتيجة لاتساع التجربة ، وتراكم الآثار الإيجابية للخبرة ، أصبح نظام إدارة الجودة الشاملة ينمو وينتشر في مؤسسات التعليم العالي بين إشكالية المفهوم ، وضروريات التطبيق ، فالافتقار للمعرفة ، وقاعدة البيانات في الدول النامية ، وندرة المصادر ، وانعدام فرص التوظيف المناسب ، وتنامي الطلب الاجتماعي على التعليم العالي ، والاختلالات الناشئة في سوق العمل ، وعمل معظم جامعات هذه الدول على هوامش مجتمع المعرفة ، وخارج دائرة المجموعة العلمية الدولية بسبب افتقادها للقدرة على إنتاج المعرفة والتكيف مع أبعادها ، شكل تحديات قائمة تواجه القيادات الأكاديمية في الجامعات التي تفتقد للرؤية وعناصر التأثير ومجمل مهارات القدرة على القيادة الفاعلة التي تعمل ضمن مناخات نمطية مقولبة وتعاني من بنى إدارية تقليدية تكبح أي محاولة للإصلاح والابتكار ، وتحول دون تجديد مظاهر الحياة الجامعية.

إن التغيير أصبح قاعدة أساسية وليس استثناء ، فالثابت في التربية وإدارة النظم التربوية هو المتغير ، فالإصلاح والتطوير أصبحا ضرورية لتحقيق القدرة على المنافسة المستدامة في ظل عالم معولم تنحسر فيه مفاهيم الدولة الوطنية على نحو مطّرد ، مما يسوّغ توجه اعتماد نظام الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم العالي على الرغم من إشكالات المفهوم ، ومأخذ التطبيق والاعتماد ، والتي تطرح في تناولات ونقاشات الأكاديميين وقيادات النظم التربوية.

مفهوم إدارة الجودة الشاملة

يثير مفهوم إدارة الجودة الشاملة جدلاً واسع النطاق بين الأكاديميين والإداريين على حد السواء في نظم نشاط الآلة ، و في نظم النشاط الإنساني على وجه التحديد ، حيث يعترض بعض المربيين على تطبيق أساليب إدارة الجودة الشاملة في إدارة النظم التربوية ومؤسساتها لصعوبة تعريف المفاهيم بشكل يجعلها قابلة للقياس ، ولتعذر عزل المتغيرات المؤثرة في مخرجاتها ، فأنشطة المؤسسات التربوية عديدة ومتنوعة وأهدافها مختلفة باختلاف المراحل التعليمية وانواعها ، كما ان المؤسسات التربوية ليست وحدها المسؤولة عن ما يكتسبه الفرد من معارف ومعلومات واتجاهات ومهارات وما يمتلكه من قيم.

فضلا عن اختلاف المدخلات التربوية في جوانبها الفكرية وخلفياتها الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية ، فالتعامل مع المؤسسات التربوية ومدخلاتها ، وعملياتها ومخرجاتها كما هو الحال في المؤسسات الصناعية ، واعتبار المتعلم مدخلاً ومخرجاً بمقادير معينة يجب أن يتطابق مع مواصفات محددة سلفاً هو أمر يجانبه الصواب.

ومن وجهة نظر بديلة يبرر المدافعون عن تطبيق إدارة الجودة في القطاع التربوي إلى جانب أهمية إصدار الأحكام على فاعلية المؤسسات التربوية ومخرجاتها ، حيث تؤسس هذه الأحكام لاتخاذ قرارات الدعم المالي والمادي وتقديم المنح والهبات والتبرعات وقرارات اعتماد تلك المؤسسات والاعتراف بها والمفاضلة بينها ، وتحدد معدلات الالتحاق ببرامجها.

وبعيداً عن الخوض في هذه القضايا الجدلية تظل المؤسسات التربوية بحاجة إلى عمليات تطوير وتحسين مستمر في برامجها وأهدافها ومصادرها ، ومراجعة دائمة لممارساتها ، كما يجب عليها أن تحمي المتعلمين من أنماط التعليم الضعيف ، وأن تتعهد بتقديم الحد الأدنى المطلوب من المعارف وسبل اكتسابها ، والمهارات اللازمة للملتحقين ببرامجها ، وأن تسهم في تشكيل

الاتجاهات الإيجابية نحو الذات والآخرين والمجتمع ، وأن تعمل على تكوين المنظومة الأخلاقية لدى كافة المتعلمين وتنميتها ، وهذا الأمر لا يمكن أن ينجز بدون برامج للتقييم ، وعمليات لإصدار الأحكام التي تمهد لاتخاذ القرارات التربوية والإدارية وفقاً للمعايير الدولية الواردة في أنظمة إدارة الجودة الشاملة والتعليم النوعي المتميز. وفي هذا السياق ينظر أبو نبعة ومسعد (1998) إلى مفهوم إدارة الجودة على أنه يمثل فلسفة إدارية تقوم على رضا المستفيدين من المنتج ، ويشمل ذلك التصميم المتقن للمنتجات محل الطلب ، وتأكد المنظمة من أنها تقدم هذه المنتجات بصورة متقنة وبصفة مستمرة.

ويشير طعامنة (2001) إلى التعريف البريطاني القياسي الذي ينظر للجودة على أنها المجموع الكلي للمزايا والخصائص التي تؤثر في مقدرة سلعة أو خدمة ما على الاستجابة الفاعله لحاجات المستفيدين ، فالجودة معنية بتحديد ومعرفة حاجات المستفيد من الخدمة ، وتلبية رغباته بطريقة صحيحة خالية من النواقص والعيوب ، وبأقل التكاليف ، ومن المرة الأولى ، بحيث لا يضطر المستفيد للرجوع إلى الدائرة أو مراجعة الموظف لتصويب خطأ أو معالجة قصور قد حدث ، وهذا يتطلب التركيز على المستفيد من الخدمة ، وتحسس حاجاته بصورة مستدامة ، لتقديم الخدمة المطلوبة كماً ونوعاً بالاعتماد على مقاييس ومعايير موضوعية على درجة عالية من الصدق ، تكون قادرة على قياس سرعة تقديم الخدمة ودقتها مع خفض التكاليف ، وسرعة الاستجابة لطلب المستفيد ، الذي يحصل على الخدمة المطلوبة من المرة الأولى دون حدوث خطأ أو تقصير يحول دون تلقيه للخدمة وفقاً لتوقعاته.

إن تحويل هذا المفهوم ، وتفعيل مضامينه ، يتطلب ترسيخ قيم ومعتقدات مهنية ، تعطي دلالات لعمل الفريق ، وتقاسم المسؤولية بين جميع العاملين وقيادات النظم ، لتحقيق بعد الجودة ، وتحسين نوعية الخدمة المقدمة للمستفيدين بصورة مستدامة ، وفي هذا السياق يشير أبو دولة والنيادي (2000) إلى المراجعة الشاملة التي قام بها كامب Ciampa (1992) لأدبيات الجودة الشاملة ضمن ثلاثة مداخل أساسية ، حيث يركز المدخل الأولى على المستفيد ، ويتميز هذا التوجه بالواقعية والعملية واستجابته لمتطلبات البيئة ، والتغير المستمر في حاجات المستفيدين من الخدمة ورغباتهم ، ومع ذلك يعاني هذا المدخل من بعض المثالب من بينها صعوبة قياس المتغيرات ، وتعقد عمليات المتابعة والفحص والتنبؤ بحاجات المستفيدين.

ويركز المدخل الثاني على النتائج ، ويستند إلى معايير موضوعية صممت لقياس الجودة ، وخفض التكاليف ، ويؤخذ على هذا التناول تأسيسه على فرضية مفادها أن رضا المستفيد يرتبط بالمواصفات المحددة سلفاً في مضامين معايير الجودة ، وهو بذلك يسقط من الحساب حاجات ورغبات المستفيدين دائمة التغيير والمتنامية بمرور الزمن.

ويعتمد المدخل الثالث على الأدوات والوسائل العلمية الإحصائية لقياس نظام الجودة الشاملة ، ذلك النظام الذي يستشرف التغير في اتجاهات العاملين ، ويهتم بالكشف عن المشاكل قبل وقوعها على نحو يمكِّن قيادات النظم من وضع الإجراءات الاحترازية اللازمة ، وتوفير نظم للحماية تكون قادرة على مواجهة تحديات العمل ، بصنع قرارات بطريقة صحيحة تؤسس لاتخاذ القرار الصحيح.

ويشير البيلاوي (1996) إلى نشأة مفهوم إدارة الجودة الشاملة في سياقات عمل إدارة النظم التربوية ، حيث ترسخ هذا المفهوم في مجال التعليم بالولايات المتحدة الأمريكية بفعل الجهود المتواصلة التي بذلها مالكولم بالدرج Malcolm Baldrig الذي شغل منصب وزير التجارة في حكومة رونالد ريجان ، وبعد وفاته أعلن رونالد براون عام (1993) عن جائزة مالكولم للجودة تقديراً لجهوده ، وقد شمل التنافس على الجائزة قطاع التعليم ، بجانب الشركات الأمريكية الرائدة.

وتشمل مضامين مفهوم الجودة الشاملة في التعليم وفقاً لجائزة مالكولم ، العمل التشاركي بين الإداريين وأعضاء هيأة التدريس لتحقيق الجودة ، وضرورة اتخاذ الإجراءات الوقائية التي تحمي الطلاب من الفشل بدلاً من دراسة أسبابه بعد وقوعه ، واستخدام الوسائل الإحصائية لتعظيم عوامل القيمة التربوية.

إن مفهوم الجودة في إدارة التعليم العالي وفقاً لتناولات البيلاوي (1996) يمكن النظر إليها ضمن إطارها الاجتماعي وبخاصة دافعي الضرائب والحكومة التي يجب أن لا يقتصر دورها على توفير مصادر الدعم المالي ، وتمويل مؤسسات التعليم العالي ، بل يجب أن يتجاوز ذلك إلى المساءلة عن النواتج ، ودور تلك المؤسسات في نشر القيم وحمايتها ، وإحداث التطور ، وفيما يتعلق بالذات والمستفيدين من طلاب ، ومستثمرين ، والخبراء ، والزملاء ، والروابط المهنية ، ومؤسسات المجتمع فإنها تعد من المصادر الأساسية في تحديد المعارف والمهارات التي يجب أن تشملها أهداف مؤسسات التعليم العالي ، والمطلوب تحقيقها في مخرجاته ، وتمتلك هذه المصادر الحق في مساءلة الجامعة عن تربية أفضل ، ونواتج ذات خصائص متميزة في أبعادها المعرفية العقلانية والقيمية الأخلاقية.

إن إدارة الجودة الشاملة وفقاً لهذا التناول تعد استراتيجية حياة داخل الكلية والجامعة ، وبعث من جديد ومتجدد ، تتمكن من خلاله مؤسسات التعليم العالي من تنظيم جودة العملية التعليمية ونواتجها ، بدلاً من اقتصار دورها على البحث عن جودة المخرجات بعد انتهاء العمليات ، وذلك بموجب تأسيس نوع من الشراكة الأكاديمية بين جميع الأطراف وتفعيل دورها في عمليات التحسين والتطوير المستمر.

ويميز عشيبة (2000) بين مفهوم الجودة الذي يشير إلى المواصفات والخصائص المتوقعة في المنتجات التعليمية وفي العمليات والأنشطة التي تتحقق من خلالها تلك المواصفات ، وإدارة الجودة التي تشمل الأنشطة التي تزاولها قيادات المؤسسة والمتمثلة في التخطيط ، والتنفيذ ، والمتابعة ، والتقييم لمواجهة التحديات ، وإيجاد حلول للمشكلات ، والمساهمة المباشرة في تحقيق النتائج المتوقعة بتحسين عمليات الجودة والمحافظة عليها بصورة مستدامة.

ووفقاً لهذا المفهوم ، فإن إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي تتضمن الممارسات والأنشطة التي تزاولها القيادات الجامعية ، وفريق إدارة الجودة ومجالسها للتخطيط للجودة ، وتنفيذ أبعادها وتحسينها في جميع المجالات التعليمية والخدمية ، حيث يؤكد آل زاهر والقحطانى (2009) على أن إدارة الجودة الشاملة فى إدارة النظم التربوية تمثل أحد أهم الخيارات المطروحة لتطوير مستوى الخدمات التربوية ، وينظر إليها بوصفها استراتيجية مناسبة وقابلة للتطبيق من خلال العمل الجماعى ، واعتماد مبدأ التعليم والتدريب المستمر للعاملين والمتعلمين

فى كافة مستويات الإدارة الجامعية لضمان استمرارية الأداء وتحقيق الأبعاد النوعية فى الممارسات والنواتج ، والرضا عن بيئة التعليم والعمل.

إن مسألة مفهوم الجودة وتطبيقها في إدارة النظم التربوية تواجه العديد من التحديات ، حيث أشار محجوب (2003) إلى الصعوبات المفاهيمية ، الناتجة عن اعتماد المفاهيم على مصادر فلسفية ، تجعل من الصعب على الباحث تبني فلسفة محددة ، وذلك لأن الاختيار يحمل في مضمونه نزعات أيديولوجية تقود إلى التحيز.

وتأسيساً على ذلك يضع الباحث مفهوم للجودة التعليمية قائماً على أبعاد الخبرة والممارسة المستمدة من حقل التربية ، ويحدد مفهوم الجودة التعليمية على أنه عمليه بناء شبكة من الاتصالات بالمستفيدين (الطلبة) بهدف إكسابهم المعارف والمهارات ، والاتجاهات ، والقيم التي تمكنهم من تلبية توقعات الأطراف المستفيدة (المنظمات) من خدماتهم بعد التوظيف ، حيث يوفر هذا المفهوم في نظر الباحث مخرجاً مناسباً من التحيزات الناشئة عن تبني فلسفة محددة ، ويحمي الممارسين التربويين من الانقياد الإيديولوجي.

وهذا ما ذهب إليه الطويل (2006) الذي أكد أن هذا المفهوم معني بقيمة وصيانة مدخلات النظام التربوي وعملياته ، ومخرجاته ، وموظفاته ، وتوفير نظم للتغذية الراجعة فيه ، وأشار في الوقت نفسه إلى بعض الصعوبات التي تواجه تطبيق إدارة الجودة الشاملة في ميادين التربية والإدارة التربوية ، وبخاصة ما يتعلق منها بصعوبة تحديد مفهوم دقيق للجودة ، نظراً للتفاوتات في اتجاهات الأفراد وشخصياتهم ، وتوقعاتهم ، والطبيعة الدينامية لهذا المفهوم وصعوبة ترجمة التوقعات إلى خصائص يمكن تجسيدها من المنتج والمخرج ، والتخوف من انهماك الإدارة التربوية بتحقيق التوقعات مما قد يؤدي إلى تحجيم المقدرات الإبداعية للعاملين نتيجة لتنميطها بأطر التوقعات المحددة سلفاً ، وصعوبة ضمان تحقيق الدرجة المناسبة من مستوى النضج المطلوب لدى العاملين في النظام التربوي لتحقيق مستوى الجودة المطلوبة ، وحاجة النظام إلى تأسيس مناخات وثقافة منظمية ترسخ مفاهيم الجودة الشاملة ومعاييرها ، ويسودها الإحساس الصادق بالأمن والعدالة والاستقرار الوظيفي والثقة المتبادلة بين جميع العاملين وقيادات النظم التربوية.

ظهرت العديد من التحديات الناتجة عن اعتماد مدخل الجودة الشاملة فى إدارة النظم التربوية ، فعلى الرغم من تبني العديد من الجامعات لأساليب هذا المدخل فى مؤسسات التعليم العالى ، وظهور تحسن ملحوظ ومستمر فى جودة الخدمات ونوعية التعليم الذى يقدم للمتعلمين كالتحسن الذى حدث فى مؤسسات التعليم العالى فى ولاية متشجن Michigan State وجامعة ويسكنسون Wisconsion University, فإن التقارير عن جامعات أخرى تشير إلى أن برامج الجودة الشاملة فيها إما أسقطت تماماً أو انخفضت مستويات الاهتمام بتطبيقها(Badwin:2002).

بينت الدراسة التي قام بها برت بام Birnbaum, (1999) أن حوالي (41%) من مؤسسات التعليم العالي التي تبنت إدارة الجودة أو التحسين المستمر للجودة أوقفت هذه البرامج. فضلاً عن ذلك أظهرت دراسة قام بها كلسوكنسكى Klocinski,(1999) أن من بين (46) مؤسسة تعليم عالى نفذت برامج الجودة الشاملة فى عام (1991) بقت منها (17) مؤسسة تستخدم

هذه البرامج فى عام (1996). وفى المقابل لوحظ الزيادة السريعة فى عدد مؤسسات التعليم العالى التى نفذت برامج إدارة الجودة الشاملة ونظامها ، حيث زاد عدد هذه المؤسسات من (46) إلى (155) مؤسسة خلال الفترة نفسها (Klocinski:1999).

إن عمليات التأمل وسبر الأغوار لتأصيل مفهوم إدارة الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم العالي يتطلب التركيز على المدخلات والعمليات والمخرجات لممارسة الأدوار المتوقعة ، وتقديم الخدمة بطريقة صحيحة من المرة الأولى وفي الوقت المحدد لتقديمها مع تحسين النوعية وخفض التكلفة بصورة مستدامة ، لإرضاء المستفيد منها ، واتباع الإجراءات الاحترازية لمنع الوقوع في الخطأ ، بتوفير نظم للتغذية الراجعة وقاعدة للبيانات والمعلومات ، واتباع الأساليب العلمية والوسائل الإحصائية لتمكين مؤسسات التعلم العالي من الاستجابة الدائمة لرغبات وحاجات المستفيدين دائمة التبدل والتغيير ، وهذا بحد ذاته يمثل أهم التحديات التي تواجه إدارة النظم التربوية ضمن مساعيها الرامية لتطبيق الجودة الشاملة وتفعيل مضامينها.

وعلى الرغم من هذه التحديات ، يساعد مدخل إدارة الجودة الشاملة(TQM) على انغماس كل مستخدم في المنظمة للبحث عن التحسين المستمر ، حيث أضحت جودة المنتج والخدمة صرخة لحث المستخدمين على التركيز في أعمالهم ، وجعل كل خطوة في أعمال المنظمة وممارساتها عرضة لفحص مركز ودائم لتحسينها ، كما يقدم تدريب مركز لكافة المستخدمين في مجالات حل المشكلات ، واتخاذ القرار الجماعي واستخدام الوسائل الاحصائية لضمان الجودة ، ويتضمن مدخل إدارة الجودة الشاملة(TQM) برنامجاً رسمياً يشارك فيه جميع المستخدمين ضمن إدارة تشاركية تنشد التحسين والتطوير المستمر (Newstorm,et al:2002).

- **أبعاد إدارة الجودة الشاملة**

لقد عمل أبو دولة والنيادي (2000) على تحديد مضامين إدارة الجودة الشاملة ضمن ثلاث عشرة ركيزة ، وذلك على النحو الآتي :-

- **التركيز على المستفيد (الزبون)** :- اشتمل على ثلاثة عشر متغيراً ، تعنى بحل مشكلات المستفيد ، وتحديد مستوى رضاه عن الخدمة ، و رغباته الراهنة والمتوقعة والعمل على تلبيتها ، وإنجاز المعاملات بسرعة وإتقانها من المرة الأولى ، ومراجعة المعلومات والشكاوى الواردة من المستفيدين.
- **إبراز المظاهر الملموسة لجودة الخدمة في المنظمة** :- ويحتوى هذا المجال عشرة متغيرات تتضمن كيفية التعامل مع المستفيد ، وشكل ونظافة الخدمة المقدمة ومكوناتها ، وأدواتها ، وأماكن تقديمها والقائمين عليها ومستوى اهتمام المنظمة بالمستفيد الداخلي (الموظف).
- **دمج ثقافة الجودة في ثقافة المنظمة** : ويتكون هذا البعد من تسعة متغيرات ، تقوم على دمج ثقافة الجودة في ثقافة المنظمة ، كنشر قيم إدارة الجودة الشاملة وأفكارها ، وبثها بين صفوف العاملين ، وتصميم هياكل تنظيمية تعزز هذا الاتجاه ، ووضع متطلبات الجودة في الاعتبار عند تطوير الأهداف ووضع الاستراتيجيات ، واستخدام سبل إدارة الجودة الشاملة وأدواتها في عملية الرقابة على أداءات النظم.

- **إدارة القوى البشرية** :- اشتمل هذا البعد على ثمانية متغيرات جميعها تتعلق بالمستفيد الداخلي (الموظف) كرفع مستوى رضاه وتحفيزه وتنمية قدراته ليتمكن من القيام بأدواره الراهنة والمقبلة.
- **نظام المعلومات وبيانات الجودة** :- شكل هذا البعد ثمانية متغيرات ذات صلة بتوفير بيانات ومعلومات الجودة للمسؤولين وعرضها على هيأة ملصقات في أماكن عديدة في إدارة المنظمة ، والاحتفاظ ببيانات على درجة عالية من الثبات والاعتمادية.
- **توكيد الجودة** :- اشتمل هذا البعد على ستة متغيرات تؤكد على أهمية جودة الخدمة المقدمة ، سواء أكان هذا التأكيد داخلياً يتعلق بجودة العمليات والمعايير الموضوعة ، أم خارجياً يتصل بتحليل متطلبات وشكاوى المستفيدين.
- **العلاقة بالمورد** :- ويحتوي هذا البعد على ستة متغيرات اتجهت إلى المورد والعلاقة القائمة معه ، ومبادرته ومساهماته في وضع وتطوير الخطط التي تستجيب لحاجات المستفيدين ورغباتهم.
- **التحسين المستمر** :- يحتوي على خمسة متغيرات ركزت على عمليات التحسين المستمر للجودة ، ودعم جهودها ، سواء أكان ذلك من داخل المنظمة أم من خارجها.
- **التزام الإدارة العليا** :- اشتمل هذا البعد على خمسة متغيرات اهتمت بنشر قيم الجودة وأفكارها ، وتشجيع ممارساتها ، والاشتراك في أنشطتها.
- **تطوير العملية الإدارية** :- تكون هذا البعد من خمسة متغيرات تتعلق بمراقبة العمليات والممارسات التي تنتج عنها الخدمة ، بحيث تكون مطابقة للمواصفات والمعايير الموضوعة ، وتطويرها بصورة مستدامة.
- **المشاركة والتحفيز** :- اشتمل هذا المكون على خمسة متغيرات ركزت على تحفيز وتمكين الموظفين من المشاركة ، والمبادرة ، وتحمل المسؤولية ، وتعميق ولائهم للعمل.
- **المقارنة المرجعية** :- تكون هذا البعد من متغيرين كلاهما يؤكد على أهمية استخدام المقارنة المرجعية (**Benchmarking**) لمقارنة جودة الخدمة المقدمة مع الخدمات المنافسة ، أو مع المعايير الداخلية للمنظمة.
- **دور المنظمة تجاه المجتمع** :- يتضمن هذا البعد متغيرا واحدا ، اهتم بتحديد مدى اهتمام ومساهمة المنظمة بالصحة العامة وحماية البيئة.

ويشير طعامنة (2001) إلى اجتماع بعض الباحثين (Kline, 1992, David and Bowen, 1994, Hackman and Nagman, 1995, and Antonioni, 1996) على الأبعاد الآتية لإدارة الجودة الشاملة:-

- **مساندة الإدارة ودعمها** :- تقع مسؤولية الجودة الشاملة على عاتق الإدارة العليا ، من خلال توفير المصادر اللازمة لأغراض تعليم المستخدمين وتدريبهم.
- **الاهتمام بالمستفيدين** :- وذلك بهدف إرضاء المستفيد ، بوصفه محور إدارة الجودة الشاملة ، وتيسير الاتصال به أثناء التخطيط والتنفيذ والتقييم.

- **مشاركة المستخدمين** :- وتعني تمكين جميع المستخدمين من المساهمة في تحسين الجودة وإدارتها من خلال تفويض الصلاحيات والمشاركة الفاعلة في صنع القرارات ، ودعم الجهود المبدعة ، وتنمية مشاعر الثقة المتبادلة.
- **بناء فرق العمل** :- تؤكد مضامين هذا البعد على أن التميز في نوعية الخدمة ، وسبل تقديمها لا يتم إلا من خلال العمل الجماعي ، وتشكيل فرق
- العمل المؤقتة والدائمة في المنظمة.
- **تدريب المستخدمين** :- وذلك بهدف إكسابهم المعارف ، والمهارات ، وتنمية اتجاهاتهم الإيجابية لتحسين مستويات الأداء الفردي والجماعي.
- **احترام ذات المستخدمين وتقديرهم** :- بإشباع حاجاتهم ، والاعتراف بجهودهم ، وتقدير إبداعاتهم ، والتقييم والموضوعي لأداءاتهم.

وفي إطار العمل الأكاديمي الجامعي ، تناولت أدبيات التعليم العالي مفاهيم الجودة الشاملة وأبعادها في ضوء متغيرات وخصائص إدارة النظم التربوية والطبيعية المميزة لمضامين التربية والتعليم ، حيث يشير علون (2006) إلى مجالات إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي وذلك على النحو الآتي:-

- **جودة الإدارة الجامعية** :- وتشمل إدراك القيادات الأكاديمية لدور الإدارة في تحقيق الجودة ، وتحمل المسؤولية ، ودعم المشاركة في اتخاذ القرار ، وقيادة التغيير ، وإحداث التحول ، والسلوك القيادي الداعم لعمليات الجودة في الجامعة.
- **جودة التشريعات واللوائح الجامعية** :- وتتضمن سبعة متغيرات تتصل بسبل الاتصال ، والعمل الجامعي ، وطبيعة الأدوار ، والتعليم الجامعي ، والتدريب ، واستقرار الهدف ، ومراجعة الأنشطة الجامعية.
- **جودة التركيز على المستفيد الجامعي** :- ويتكون هذا البعد من سبعة متغيرات تتعلق بتأهيل الطالب ، والاستجابة لاحتياجات سوق العمل ، وتوافر قنوات للتغذية الراجعة ، والمشاركة في تخطيط البرامج التعليمية ، والاستجابة لمتطلبات البيئة وحل مشكلاتها ، وتأسيس مفهوم جديد للإدارة الجامعية بوصفها منتج ومستفيد.
- **التحسين المستمر** :- يشتمل هذا البعد على سبعة متغيرات تتعلق بتحقيق أهداف الجامعة القائمة على مفاهيم الجودة ، وتوظيف الوقت للتفكير في الجودة ، واستخدام المعايير والمقاييس لتحديد مستويات الأداء ، وتعظيم العلاقات الاعتمادية المتبادلة بين أقسام الجامعة وإداراتها ، والتطوير المستمر ، والسعي للحصول على شهادة الجودة.
- **جودة تقييم الوقاية** :- أي التركيز على المترتبات في النتائج المستهدفة لمنع وقوع الأخطاء ، وذلك من خلال قياس العملية التعليمية ، والفهم المستبصر لأبعادها وأهدافها ، والحد من الهدر الجامعي ، وفحص خصائص المخرجات ، وتعديل نظام الجامعة ، وتفهم الاختلافات والتمايزات في خصائص المخرجات ، وتفهم الجوانب غير القابلة للقياس في عمليات التعليم والتعلم.

وفي السياق نفسه اقترح بدح (2006) أنموذجاً لإدارة الجودة الشاملة في الجامعات الأردنية الحكومية (العامة) تكون من المجالات الآتية:-

- **القيادة:**-أي القيادة الجامعية الداعمة لتطبيق منهجية إدارة الجودة الشاملة ، والتي تمتلك رؤية قائمة على فريق عمل متناغم يشعر بالانتماء والولاء للجامعة ، ولديه تفضلات معمقة لدواعي الصالح العام.
- **رسالة الجامعة** :- تجسد توقعات الجامعة المتصلة بوضعها ومكانتها في المستقبل من خلال تطبيقها لمنهجية إدارة الجودة الشاملة ، فرسالة الجامعة تعبير واضح عن الطموحات المشركة للكوادر الإدارية والأكاديمية والتي تتحقق في الأجل الطويل المدى.
- **الثقافة التنظيمية للجامعة** :- وتشكل القيم والمعتقدات ، والمفاهيم ، والمبادئ التي يجب أن تكون شائعة في المناخ الجامعي ، والتي تدعم تطبيق إدارة الجودة الشاملة ، وبخاصة أثناء صناعة القرارات واتخاذها.
- **نظام حوسبة المعلومات وتحليها** :- تعتمد القرارات على البيانات والمعلومات المتوافرة ، لذلك يعد نظم المعلومات مطلباُ ضرورياً لحل مشكلات العمل الجامعي وتحسينه ، بصنع واتخاذ قرارات الدعم والتطوير.
- **التخطيط الاستراتيجي للجودة** :- أي وضع الخطط الاستراتيجية وترجمتها إلى خطط مرحلية تتضمن الفعاليات والوسائل التي يتم من خلالها تطبيق مفاهيم الجودة الشاملة.
- **إدارة الموارد البشرية وتنميتها** :- بموجب الاهتمام بإشباع الحاجات الإنسانية ، والارتقاء بها ، وإتاحة فرص النمو المهني المستدام للعناصر البشرية ، وتأسيس نظام للتحفيز والمكافآت ، ودعم عمليات المشاركة في صنع القرارات ، وتعميق مشاعر الرضا والولاء للعاملين في الجامعة والمتعاملين معها.
- **إدارة العمليات** :- وذلك باتباع سلسلة من الإجراءات التي تحقق هدف محدد من خلال التركيز على العمليات بدلاً من التركيز على النتائج ، والتقييم المستمر لعناصر الجودة.
- **التحسين المستمر** :- أي الانتقال بالجامعة إلى أوضاع جيدة وتمكينها من تحقيق التميز من خلال التحول المستدام.
- **رضا المستفيدين** :- يجب على إدارة الجامعة أن تحرص على تحقيق رضا الطلبة ، ومنظمات الأعمال ، والمستثمرين ، والفعاليات الاجتماعية والقيادية من خلال دراسة احتياجاتهم ، والاستجابة لها بالتركيز على المتعلم وتزويده بالمهارات والمعارف والقيم التي تتطلبها منظمات العمل.
- **التغذية الراجعة** :- أي الحصول على معلومات من المستفيدين ، تتعلق بمستوى رضاهم عن الخدمة المقدمة لهم ، ومستوى الاستجابة لمطالبهم وفقاً لتوقعاتهم ، بحيث تتمكن إدارة الجامعة من تحسين خدماتها لتحقيق رضا المستفيدين.

مشكلة الدراسة :

أظهرت التغيرات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والديمغرافية ، والتكنولوجية تحديات الكيف بمؤسسات التعليم العالي في ليبيا وازدادت هذه التحديات تعقيداً بتأكيد قيادات النظم العامة على ضرورة تحقيق مبادئ تكافؤ الفرص التعليمية ، وإتاحة التعليم العالي للقادرين عليه ، ويكاد يكون حصول المتعلم على الشهادة الثانوية أو ما يعادلها الشرط الوحيد الذي يضمن التحاقه بمؤسسات التعليم العالي.

إن تحديات الكم تؤثر في الأبعاد النوعية ، ومضامين التربية ، ومستويات المهارة ، والتمكن المفترضة من مخرجات التعليم العالي ، بحيث تكون قادرة على النمو والتطور ، بالرغم من التبدلات المتنامية في سوق العمل ، والطرقات والصدامات التي تتعرض لها البيئة الداخلية والخارجية ، فالقدرة على المنافسة ، ومواجهة التحديات تتطلب الاستجابة الفاعلة لموجات التغيير مع الحفاظ على الهوية ، وتأسيس نظم تربوية قادرة على المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة.

ويطرح هذا التناول مسألة الدور الجديد لقيادات النظم التربوية ، بوصفهم وكلاء للتغيير المستدام ، يعملون على إحداث تحولات عميقة في كيفية عمل النظم ، ويطرحون أبدال جديدة في بيئة المنظمة ، و يطورون أهداف واستراتيجيات عمل بديلة في المؤسسات التعليمية ، بتعريض جميع مستويات ومكونات النظم التربوية لعمليات المساءلة والتقييم المستمر التي تسوّغ لاتخاذ قرارات صممت بطريقة صحيحة ، تجعل من مخرجات النظم التربوية أفضل مما كانت عليه أثناء الشروع في التغيير.

أدى ضيق مسارات التعليم المتوسط ، وتنميط مؤسساته ، واعتماد الثانويات التخصصية فى إدارة النظم التربوية الوطنية إلى التوسع فى سياسات القبول بمؤسسات التعليم العالى ، وفتح الأقسام والكليات الجامعية على نطاق واسع ، وأثار ذلك العديد من الشكوك والتساؤلات المتصلة بمتطلباتها ، وحاجة القطاعات لكم المخرجات ونوعها ، وخيارات الجامعات ، ومعايير التوظيف والاستخدام لأعضاء هيأة التدريس الجامعى والعاملين الآخرين ، واجراءات توظيف المصادر ، ومواصفات الأبنية والمرافق الجامعية ، وعمليات الرقابة على الأداء الأكاديمى والإدارى ، ونظم الدراسة واسترتيجيات التقييم ، ونوعية التعليم الذى يقدم للمتعلمين.

إن التقاطعات القائمة بين بعدي الكم والكيف بمؤسسات التعليم العالي في ليبيا ، لا تزال بحاجة إلى مزيد من الفحص والتحليل ، فالكفاءة والفاعلية الداخلية والخارجية ظلت بعيدة عن دائرة الاهتمام بسبب تنامي الضغوط الاجتماعية الرافعة لشعار التعليم العالي حق للجميع ، مما جعلنا نطرح التساؤلين االآتيين:-

- ما مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراتة؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراتة تعزى لمتغير الكلية؟

- **أهداف الدراسة**

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:-

- التعرّف على مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراتة.
- التعرّف على أبعاد الجودة الإدارية والتعليمية الأكثر ممارسة فى جامعة مصراتة.
- التعرّف على ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراتة تعزى لمتغير نوع الكلية .

- **أهمية الدراسة.**

تتضح أهمية الدراسة في ضوء التوجه العام بإدارة الجودة الشاملة وطرح هذا المنحى ضمن سياقات العمل الأكثر حساسية ، فإدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي تعد مدخلاً حديثاً مقارنة بغيرها من المنظمات التجارية والصناعية التي قطعت شوطاً طويلاً في ضبط مخرجاتها وتحسينها باستخدام آليات الذكاء الصناعي ونظم المعلومات الأكثر تطوراً لتعظيم عوامل المنفعة والقيمة.

إن إدارة الجامعات وقيادة الكليات الجامعية ، والأقسام الأكاديمية تتسم بدرجة عالية من الخصوصية ، بالنظر إلى الطبيعة المعقدة للتعامل مع نظم النشاط الإنساني غير القابلة للضبط والقياس الآلي.

ولذلك فإن تحقيق مضامين هذا البعد في إدارة النظم التربوية ، يجب أن ينطلق من محددات ضمان الجودة إلى ضمان الحد الأدنى من المواصفات المطلوبة في المخرجات التي تنمو وتتطور بعد ذلك في بيئات العمل دائمة التبدل والتغيير.

وبناءً على ما تقدم يمكن تحديد الأهمية النظرية والعملية لهذه الدراسة وذلك على النحو الآتي:-

- يؤمل أن تسهم هذه الدراسة في تقديم بعض الإضافات النظرية لجسم المعرفة الإدارية التربوية ، وقد تؤسس لطرح تناولات جديدة لبعد إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي.
- يتوقع أن تسهم هذه الدراسة في نشر الوعي بخصوصية بعد الجودة في إدارة النظم التربوية ، وقد تثير جدلاً حول التعاملات الآلية مع مخرجات التعليم الجامعي.
- يؤمل أن تسهم هذه الدراسة في كشف جوانب التعقيد المصاحبة لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في نظم النشاط الإنساني ، وقد تمكن المعنيين من تصميم معايير لقياس واقع هذا البعد ضمن خصائصه وطبيعته المعقدة والتحديات التي يواجهها تفعليه في نظم النشاط الإنساني.
- يتوقع أن تسهم هذه الدراسة في دعم المساعي الرامية وتعزيزها لتحسين أداءات الإدارة الجامعية وتطويرها.

الدراسات السابقة :

أظهرت تحديات النوع فى مؤسسات التعليم العالى ، وندرة المصادر ، وتنامى الضغوط الاجتماعية الناتجة عن الرغبة المتزايدة فى توسيع قاعدة المستفيدين من الخدمات التعليمية والتربوية ، والتبدل المستمر فى سوق العمل ، والطلب على الاستخدام والتوظيف ، فضلاً عن اتساع قاعدة من هم فى سن التعليم والعمل والتغيرات السياسية فى دول التحول والبلدان الأقل تقدماً ضرورات البحث عن مداخل جديدة تضمن تحقيق بعدى الكم والنوع فى المؤسسات التربوية ، وتعالج الاختلالات الناتجة عن هيمنة أبعاد الكم على النوع ، وتحقق التوازن بين طرفى المعادلة القائمة على ضمان تعليم متميز لأكبر عدد ممكن من المتعلمين.

ونتيجة لذلك أخذ مفهوم الجودة فى الانتشار بإدارة النظم التربوية ضمن محاولة لمحاكاة تطبيقه فى المؤسسات الصناعية والتجارية ومنظمات الأعمال ، حيث أجريت العديد من الدراسات التى حاولت الكشف عن نواتج تطبيق إدارة الجودة الشاملة ، والتحديات التى تواجه تطبيقها ضمن التداخلات القائمة بين المتغيرات الشخصية والتنظيمية فى بيئات العمل الإنتاجية والخدمية.

ووفقاً لهذا التوجه هدفت دراسة (أبي دوله والنيادي) (2000) إلى معرفة القواعد الأساسية لإدارة الجودة الشاملة ومتغيراتها في بيئة الأعمال الإماراتية ، وتحديد تأثير العوامل الديمغرافية لمنظمات الأعمال والمتمثلة في الحجم والعمر على مستوى ممارسة أساسيات الجودة الشاملة.

واستخدم الباحثان أسلوب المسح لمجتمع الدراسة ، الذي تكون من (1120) منظمة حكومية عامة ، وأهلية تعمل بالقطاع الخاص.

وأظهرت نتائج الدراسة أن ركائز إدارة الجودة الشاملة الثلاثة عشر التي شملتها أداة القياس تمارس بدرجات متفاوتة ، حيث تمثلت الممارسات العالية في إبراز المظاهر الملموسة لجودة الخدمة ، والتركيز على الزبون ، وتوكيد الجودة ، ودور المنظمة تجاه المجتمع وهذه الأبعاد تشير إلى اهتمام المنظمات الخدمية في دولة الإمارات بتحقيق رضا المستفيدين من الخدمة ، أما الأبعاد الأقل ممارسة فقد شملت العلاقة بالمورد ، وإدارة القوى البشرية ، والتزام الإدارة العليا بدعم مفاهيم وثقافة الجودة ، كما أشارت نتائج الدراسة إلى تأثير العوامل الديمغرافية للمنظمة والمتمثلة في الحجم والعمر في ممارسة أساسيات ركائز إدارة الجودة الشاملة.

وفي السياق نفسه هدفت دراسة طعامنة (2001) إلى معرفة مستوى الوعي بمفهوم إدارة الجودة الشاملة لدى العاملين في وزارة الصحة الأردنية ، وتحديد مستوى ممارسة عناصر إدارة الجودة الشاملة في القطاع الصحي الحكومي ، فضلاً عن ذلك هدفت الدراسة تعرّف ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى ممارسة عناصر إدارة الجودة الشاملة تعزى لبعض المتغيرات الشخصية والمتمثلة في النوع ، والمؤهل العلمي ، والمستوى الوظيفي.

وقد تكون مجتمع الدراسة من شاغلي الوظائف الإشرافية في المستويات الإدارية العليا والوسطى والإجرائية في وزارة الصحة والبالغ عددهم (4580) اختيرت منهم عينة طبقية عشوائية بلغ حجمها (350) مفردة.

وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود مستوى متوسط من الوعي بمفهوم إدارة الجودة الشاملة لدى العاملين في وزارة الصحة ، والتي يتم ممارسة عناصرها بدرجة متوسطة ، كما تبين وجود عدد من المعوقات التي تحول دون تطبيق إدارة الجودة الشاملة كمقاومة التغيير ، وعدم وجود إستراتيجية واضحة لإدارة الجودة الشاملة ، ومحدودية فرص التدريب والنمو المهني ، وعدم الالتزام بتشكيل فرق العمل ، وعدم الاعتراف بالجهود والانجازات الفردية ، وانحسار مشاركة العاملين ، وعدم وجود معايير لقياس الجودة.

فضلاً عن ذلك أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى ممارسة عناصر إدارة الجودة الشاملة تعزى لمتغير المستوى الوظيفي ، كما تبين عدم وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى ممارسة وتطبيق عناصر إدارة الجودة الشاملة تعزى لمتغيري النوع والمؤهل العلمي ، وأكدت نتائج الدراسة على وجود علاقة ارتباط سلبية بين عناصر إدارة الجودة الشاملة ومعوقات تطبيقها وممارستها.

إن إثراء الفكر الإداري ، وتوسيع مناحي الاهتمام امتد ليشمل إدارة النظم التربوية ، وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى دراسة النعيم (2002) التي هدفت إلى التعرّف على خلفية طلبة التخصصات الإدارية بالجامعات السعودية ، واتجاهاتهم نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة ، وتحديد ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تلك المواقف تعزى للسمات الشخصية ، وخصائص الطلبة ، فضلاً عن ذلك هدفت الدراسة إلى الكشف عن ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين طلبة قسم الإدارة بفرع جامعة الإمام بالإحساء ، وطلبة كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك فيصل في اتجاهاتهم نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة.

وقد تكون مجتمع الدراسة من طلبة فرع جامعة الإمام بالإحساء والبالغ عددهم (114) طالباً ، وطلبة كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك فيصل والبالغ عددهم (617) طالب ، واستخدم الباحث أسلوب المسح الشامل ، حيث تم جمع (104) استبانة من طلبة فرع جامعة الإمام بالإحساء ، و (233) استبانة من طلبة كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك فيصل.

وتوصلت نتائج الدراسة إلى تدني مستوى عمق مفهوم إدارة الجودة الشاملة بين الطلبة ، في الوقت الذي عبر فيه معظمهم عن رغبته في العمل بعد التخرج في منظمات تطبق مفهوم إدارة الجودة الشاملة ، كما تبين أن الموقف العام يشير إلى تأييد الطلبة لاستخدام هذا المفهوم وتفعيله في واقع المنظمات ،

فضلاً عن ذلك أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في موقف الطلبة من تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة تعزى لمتغيري العمر والخبرة التي اكتسبها بعض الطلبة من برامج العمل الصيفي في المؤسسات الحكومية والخاصة ، بينما وجدت فروق في هذه المواقف تعزى لمتغيرات السنة الدراسية ، وقدرة الطلبة على استخدام الحاسوب ، والتخصص ، وبالرغم من تأييد الطلبة لتفعيل مفهوم إدارة الجودة الشاملة ، فأنه لوحظ تفوق

طلبة كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك فيصل على طلبة فرع جامعة الإمام بالإحساء فيما يتعلق بتأييد مفهوم إدارة الجودة الشاملة ودعمها.

أما دراسة الكيومي (2003) فقد هدفت إلى تعرّف درجة إمكانية تطبيق بعض مفاهيم إدارة الجودة الشاملة في كليات التربية بسلطنة عمان من وجهة نظر الإداريين وأعضاء هيأة التدريس ، ومعرفة ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في درجة إمكانية تطبيق بعض مفاهيم إدارة الجودة الشاملة تعزى لمتغيرات الوظيفة والمؤهل العلمي والخبرة.

وقد تكون مجتمع الدراسة من (600) عضوٍ ، منهم (62) إدارياً ، و (538) عضو هيأة تدريس ، اختيرت منهم عينة عشوائية بسيطة بلغ حجمها (181) عضواً ، منهم (44) إداري ، و (137) عضو هيأة تدريس.

وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود إمكانية لتطبيق بعض مفاهيم إدارة الجودة الشاملة في كليات التربية بسلطنة عمان ، كما تبين أن هذه الإمكانية كانت عالية في الأبعاد المتعلقة بالتركيز على رسالة المؤسسة ، وصناعة القرار ، والاستقلالية ، واللامركزية الإدارية ، وعمل الفريق ، والتدريب المستمر ، والتقييم المستدام ، وكانت متوسطة في بعد استخدام الطريقة العملية ، كما اتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير إمكانية تطبيق مفاهيم إدارة الجودة الشاملة في كليات التربية بسلطنة عمان تعزى لمتغير الوظيفة ولصالح الإداريين ، وبين حملة شهادة الدكتوراة مقارنة بحملة التخصص العالي (الماجستير) ولصالح حملة الدكتوراة ، وبين فئات الخبرة المختلفة ولصالح ذوي الخبرة الطويلة.

وفى السياق نفسه هدفت دراسة علاونة (2004) تعرف مستويات تطبيق مبادئ الجودة الشاملة فى الجامعة العربية الأمريكية من وجهة نظر أعضاء هيأة التدريس ، وتحديد دلالة الفروق الإحصائية فى وجهات نظرهم والتى يمكن أن تعزى لمتغيرات النوع ، والعمر ، والمؤهل العلمى ، والخبرة المهنية ، والجامعة التى تخرج فيها عضو هيأة التدريس ، والكلية التى يدرس بها.

وقد تكون مجتمع الدراسة من جميع أعضاء هيأة التدريس العاملين فى كليات الجامعة العربية الأمريكية ، اختيرت منهم عينة بلغ حجمها(70)عضو هيأة تدريس.

وأظهرت نتائج الدراسة أن الجامعة العربية الأمريكية تطبق مبادئ الجودة الشاملة بدرجة كبيرة ، كما تبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية فى وجهات نظر أعضاء هيأة التدريس والمتصلة بتطبيق مبادئ الجودة الشاملة بالجامعة تعزى لمتغيرات النوع ، والعمر ، والمؤهل العلمى ، والخبرة المهنية ، والجامعة التى تخرج فيها عضو هيئة التدريس ، والكلية التى يعمل بها.

وعملت دراسة الطويل والكورانى(2006) على تحديد مستويات إدراك مفهوم إدارة الجودة الشاملة ، والوعى بأهدافها وإمكانية تطبيقها فى جامعة الموصل. وُزِّعَتْ أداة الدراسة على (102)رئيس من رؤساء مجالس الكليات والجامعات ، وأعضائها من العمداء ، ومعاونيهم ، ورؤساء الأقسام والفروع.

كشفت نتائج الدراسة عن توافر المناخ والبيئة الجامعية المناسبة لتبنى إدارة الجودة الشاملة ، كما تبين وجود محاولات بُذِلَتْ لتحقيق التحسين المستمر فى الأبعاد التعليمية ، والبحثية ، والاستشارية من خلال التركيز على المستفيدين والاستجابة لحاجاتهم.

فضلاً عن ذلك اوضحت النتائج أن القيادات الإدارية بجامعة الموصل ترفع شعار جودة الخدمات التعليمية مسؤولية الجميع ، وتعمل فى الوقت نفسه على ترسيخ قيم الحوار ، والمشاركة ، والعمل الجماعى ، وتدعم التدريب والتعليم المستمر لتحسين مهارات العاملين ، والتدريب العملي للمتعلمين ، وتوفر قاعدة من البيانات والمعلومات الداعمة لاتخاذ القرارات الجامعية.

ولا تختلف إجراءات هذه الدراسة عن دراسة علوان (2006) التي هدفت تعرّف إمكانية تطبيق مباديء إدارة الجودة الشاملة وفلسفتها في كليات جامعة التحدي الليبية ، وتحديد ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في إمكانية تطبيق هذه الفلسفة تعزى لمتغيرات العمر ، والخبرة العملية ، ونوع الوظيفة.

ولتحقيق أهداف الدراسة طور الباحث استبانة وزعت على عينة عشوائية بسيطة تكونت من (38) إدارياً ، و (80) عضو هيأة تدريس ، سحبت من مجتمع تألف من (50) إدارياً ، و (140) عضو هيأة تدريس.

وأظهرت نتائج الدراسة عدم ملاءمة تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة وفلسفتها في كليات الجامعة في جميع أبعادها ، باستثناء جودة التشريعات واللوائح الجامعية ، وذلك بسبب عوامل البيئة التنظيمية ، والثقافة المنظمة ، كما تبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في موقف عينة الدراسة من إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة تعزى لمتغيرات العمر ، والخبرة العملية ، ونوع الوظيفة.

وفي السياق نفسه هدفت دراسة أبو فارة (2006) إلى تحليل إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية ، وقد تكونت عينة الدراسة من (234) عضو هيأة تدريس تم اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة.

وأظهرت نتائج الدراسة أن الجامعات الفلسطينية لا تولي اهتماماً جوهرياً بسبعة عناصر من عناصر إدارة الجودة الشاملة ، والمتمثلة في التركيز على المستفيد ، والثقافة المنظمية ، وتصميم العملية ، ودعم الإدارة العليا للجودة ، والتحسين المستمر ، والتركيز على العاملين ، والعلاقة مع الموردين ، كما تبين أن الجامعات الفلسطينية تولي اهتماماً واضحاً لثلاثة عناصر من عناصر إدارة الجودة الشاملة تمثلت في القياس الدقيق ، وضمان الجودة ، والبعد المجتمعي.

هدفت دراسة ماجوتوم وأخرون Magutumop et al,(2010) إلى تحديد مستوى تطبيق إدارة الجودة الشاملة في جامعة نيروبي والتحديات التي تواجه تطبيقها من وجهة نظر القيادات الأكاديمية وتكون مجتمع الدراسة من (140) فردا ، اختيرت منه عينة عشوائية بسيطة بلغ حجمها (75) مفردة وطورت استمارة استبانة لجمع بيانات الدراسة ، وأجريت سلسلة من المقابلات المقننة مع عينة الدراسة. وبعد التأكد من صدق أداة القياس وثباتها ،

كشفت نتائج الدراسة عن ممارسة جامعة نيروبي لأبعاد إدارة الجودة الشاملة بدرجة كبيرة وفي كافة العمليات الأكاديمية ، وبخاصة في بعد التخطيط الاستراتيجي لضمان تحقيق الأهداف المخطط لها ، حيث اتضح أن جميع العمليات التربوية والأكاديمية تلبي حاجات المستفيدين من الخدمات الجامعية وفقاً للضوابط القانونية والتنظيمية المعتمدة ، فضلاً عن ممارسة الجامعة لوظيفة الرقابة المستمرة لضمان مطابقة المنتج للمعايير الدولية ، كما أنها تعمل على توثيق كافة الإجراءات وتستخدم إطاراً مرجعياً يتم الرجوع إليه في حالة وجود أي انحرافات عن المعايير.

وبخصوص التحديات التي تواجه تطبيق إدارة الجودة الشاملة في جامعة نيروبي فإن التحدي الأبرز يكمن في كيفية توفير الضمانات الكافية لاستمرار قدرة الجامعة على تحمل مسؤولية تطبيق نظام الجودة الشاملة ، وتوجيه السلطة ، وفاعلية نظم الاتصالات والرقابة والمراجعة المستمرة ، كما اتضح أن الثقافة الأكاديمية بجامعة نيروبي لا تتفق بدرجة كبيرة مع متطلبات الجودة الشاملة ، فضلا عن عدم التوظيف الفعال لأوقات الدوام الرسمي لأعضاء هيأة التدريس وانخفاض معنويات العاملين بالجامعة.

وفي دراسة أخرى قامت بها دوفال وبوندرا ونيجلوسكا Dovan,Bondra,and Negleska(2011) بهدف الكشف عن معاني الجودة الجامعية ومفاهيمها ، وعمليات إدارتها وإجراءات تحسينها كما تدركها مجموعة من الأكاديميين بجامعة سبيروهيرى–Spiru Haret وطلبة الجامعة وأولياء الأمور وأرباب العمل وفقا للمبادئ الوطنية والعالمية للجودة وتوضيح مواطن الضعف التي اظهرها تقرير الدراسة الذاتية لتقييم ثقافة الجودة الجامعية خلال العام الجامعي 2009–2010 ، واجريت العديد من المقابلات مع عينة الدراسة ، وطرحت عليهم مجموعة من الأسئلة المتصلة بتصوراتهم عن دور الجامعة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتحسين الدائم لجودة التدريس الجامعي ، والرضا عن المشاركة في اعمال البحث العلمي.

اظهرت نتائج الدراسة أن هناك تطابقاً بين ثقافة الجودة في الجامعة مع بعض المعايير الوطنية والعالمية ، وإن كانت الجامعة بحاجة إلى إجراء تحسينات لتتطابق مع بعض البنود الواردة في تلك المعايير.

أما دراسة سابيت واخرون(2012) Sabet et al, فقد هدفت إلى تحديد تأثير أبعاد التمويل والتدريب والمكافآت والتقدير والتزام الإدارة العليا ، والعمل الجماعي والمشاركة في إدارة الجودة الشاملة في قطاع التعليم العالي. أُجريت الدراسة على عينة عشوائية بسيطة قوامها (112) محاضر من خمس جامعات ماليزية بعمر يتراوح بين 30–70سنة ، وجمعت البيانات من خلال استبانه تأكد من صدقها وثباتها ، وأظهرت النتائج أن بعدي التزام الإدارة العليا ، والعمل الجماعي يؤديان دوراً مهماً في تطبيق إدارة الجودة الشاملة ، ووجدت علاقة ارتباطيه ذات دلالة احصائية بين التحفيز بالمكافآت والتقدير والأداء المرتفع حيث يؤدي التحفيز إلى تحسين القدرات الإبداعية ، ويسهم في رفع مستوى الرضا المهني والدافعية للإنجاز. كما تبين أن أفراد العينة تحصلوا على المعرفة اللازمة عن إدارة الجودة الشاملة من خلال ورش العمل ، وبالرغم من نقص فرص التدريب على ممارسة إدارة الجودة الشاملة نظرا لشحه المصادر

المالية حيث ظلت البرامج التدريبية بعيدة عن اهتمامات القيادات الأكاديمية في الجامعات الماليزية.

وفي السياق نفسه اهتمت دراسة التاشيه (2013), ALTaasheh بتحديد أهم المعيقات التي تحد من تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي بدولة الكويت ، وشملت الدراسة عينة عشوائية بسيطة قوامها(20) مفردة من القيادات الأكاديمية(عمداء الكليات ووكلائها ، ورؤساء أقسامها العلمية). اجريت مقابلات معمقة مع أفراد عينة الدراسة. وبينت النتائج ان من أهم تلك المعيقات عدم وجود رؤية شاملة لإدارة الجودة الشاملة وضعف دعم القيادات العليا لبرامج الجودة الشاملة وضعف التزامها ، وقلة عدد المختصين والمؤهلين في مجالاتها ، وعدم الإلمام باستراتجيات التقييم الذاتي ، وأساليب التحسين المستمر.

على حين هدفت دراسة الزبير(2013) ,Zubair إلى تحديد مستوى ممارسة أبعاد إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي' حيث اختيرت خمس جامعات باكستانية حكومية بواقع (44) مفردة لكل جامعة ، وطورت استبانه لجمع بيانات الدراسة تمثل المقياس الذي صممه بايراكتاروزيم (2008) ,Bayraktar and Zaim لجمع بيانات دراسة مماثلة عن مؤسسات التعليم العالي في تركيا مع إجراء بعض التعديلات عليه ليلائم بيئة الجامعات الباكستانية. ووزعت الاستبانه على أفراد العينة المختارة بعد التأكد من صدقها وثباتها. وكشفت نتائج الدراسة عن ممارسة أبعاد التحسين المستمر ، والقيادة الداعمة ، والرؤية ، والتقييم الذاتي ، وتدريب الموظفين بمستويات مرتفعة في الجامعات الباكستانية.

كما هدفت دراسة مشاقبه (2014),Mashagba إلى تحديد أهم أبعاد إدارة الجودة الشاملة المطبقة في الجامعة الأردنية وتحديد متطلبات تطبيقها وملاءمتها لنظام التعليم في الجامعة من وجهة نظر أعضاء هيأة التدريس ، وتكون مجتمع الدراسة من (1200) عضو هيئة تدريس ، اخترت منه عينة عشوائية بسيطة بلغ حجمها (120) مفردة وطورت أداة لجمع بيانات الدراسة خضعت لاختبار الصدق والثبات وكشفت النتائج عن وجود تأثير إيجابي لمتابعة العملية التربوية وتنمية المصادر البشرية على كفاءة أداء أعضاء هيأة التدريس ، كما تبين أن الجامعات تعتمد فلسفة التحسين والتطوير المستمر بالإفادة من خبرات الجامعة الأردنية ، وإنها تعمل على تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة وتلتزم بها وتسعى إلى دمجها مع البيئة الجامعية.

مجتمع الدراسة وعينتها

_ تكون مجتمع الدراسة من جميع أعضاء هيأة التدريس (القارين) بجامعة مصراتة والمتفرغين بالكامل للتدريس الجامعى خلال العام الجامعى 2013-2014 ، والبالغ عددهم (1022) عضو هيأة تدريس ، سحبت منهم عينة عشوائية بسيطة بلغ حجمها (250) عضو هيأة تدريس ، وبتوزيع أداة الدراسة على العينة المختارة بلغ عدد الاستمارات المسترجعة والقابلة للتحليل الإحصائى (115) استمارة ، وبنسبة (11%) تقريباً من مجتمع الدراسة .

أداة الدراسة :

لتحديد مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراتة ، تم تطوير استبانة بالإفادة من الدراسة السابقة ، وأدبيات إدارة الجودة الشاملة ، تكونت فى صورتها النهائية من (95) فقرة موزعة على ثمانية أبعادة هي :- التركيز على المستفيد ، والثقافة المنظمية ، ودعم الإدارة العليا للجودة ، والتحسين المستمر ، والتركيز على العاملين ، ونظم المعلومات الجامعية ، وضمان الجودة ، والعلاقة مع المورد.

ووضعت أمام كل فقرة خمسة بدائل هي :- دائماً ، غالباً ، أحياناً ، نادراً ، أبداً ، وأعطيت الدرجات (5 ، 4 ، 3 ، 2 ، 1) على التوالي.

وقد تم التأكد من الصدق الظاهرى لأداة القياس بعرضها على مجموعة من المحكمين ، كما تم التأكد من ثباتها باستخدام معامل ألفا كرونباخ الذي بلغت قيمته (0.76) وهي قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة $\alpha=0.05$

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها

يمكن عرض نتائج الدراسة ومناقشتها على النحو الآتي:-

السؤال الأول ما مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراته؟

للإجابة عن هذا السؤال حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة والمتوسطات الفرضية لأبعاد أداة قياس إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي ، واستخدام الاختبار التائي (t. test) لتحديد دلالة الفرق بين المتوسطات وذلك كما هو موضح بالجدول (1).

جدول (1) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة ، والمتوسطات الفرضية لأبعاد أداة القياس والاختبار التائي لتحديد دلالة الفرق بين المتوسطات.

أبعاد إدارة الجودة الشاملة	المتوسطات الفرضية	المتوسطات الحسابية	الانحرافات المعيارية	درجة الحرية	القيمة التائية	الدلالة الاحصائية
التحسين المستمر	39	59.51	3.99	114	* 55.10	0.000
التركيز على العاملين	48	59.51	3.99	ـــــ	*30.92	0.000
ضمان الجودة الجامعية	51	58.19	6.35	ـــ	*12.15	0.000
دعم الإدارة العليا للجودة	42	50.07	3.88	ـــ	*22.33	0.000

العلاقة مع المورد	30	36.44	3.46	___	*19.97	0.000
التركيز على المستفيد	27	36.28	2.37	___	*41.98	0.000
الثقافة التنظيمية	18	21.25	1.83	___	*19.01	0.000
نظم المعلومات الجامعية	30	30.36	3.98	___	*0.96	0.34
المستوى العام للجودة	285	351.63	13.70	____	*52.15	0.000

(*) القيم التائية ذات دلالة احصائية عند مستوى α = 0.01

يتضح من الجدول (1) أن مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراته يزيد عن المتوسط ، ويتجاوز الحدود المفترضة في أداة القياس ، وبتحليل مناحي الاهتمام والتركيز النوعي يُلاحَظُ أنَّهُ بعد التحسين المستمر جاء في المرتبة الأولى ، وقد ظهر ذلك من خلال اهتمام الجامعة بتحديث الخطط والبرامج الدراسية ، وسبل ووسائل التقييم ، وتطوير خدمات المكتبات وأنظمة التعليم الالكتروني ، واهتمامها بتطوير معايير التوظيف والاستجابة للتغيرات الحاصلة في بيئة العمل وتدريب العاملين واعتماد أنظمة فاعلة في الاستقطاب والاستخدام وتقييم الأداء والترقية وإشباع الحاجات الإنسانية بناء على الجهود المقدمة وتبني أنظمة اتصال فعالة داخل الوحدات والأقسام الإدارية والأكاديمية وبين الإدارة الجامعية ومؤسسات المجتمع ، وتعزيز عمليات المشاركة في صناعة القرار الجامعي ، كل ذلك يظهره بعد التركيز على العاملين الذي جاء في المرتبة الثانية من حيث مستويات الاهتمام والتركيز في برامج إدارة الجودة الشاملة المطبقة بجامعة مصراتة.

أمّا ضمان الجودة الجامعية الذي جاء في المرتبة الثالثة ؛ فيتضح من خلال مراجعة الفقرات المكونة له تأكيد الإدارة الجامعية على ضرورة إنجاز الأدوار بطريقة صحيحة من المرة الأولى لممارستها واعتمادها لاستراتيجية الوقاية من الأخطاء بدلاً من تصحيحها بعد وقوعها وما يتطلبه ذلك من إجراءات احترازية لحماية العاملين من الوقوع في الخطأ وحماية المتعلمين من التعليم الضعيف والفشل الأكاديمي ، وتوفير الاحتياجات التعليمية والإدارية ، واستقطاب العناصر المميزة من أعضاء هيأة التدريس وقبول الطلبة وفق المعايير المعتمدة وضبط مسارات العمل الجامعي ، وتحديد مواصفات الأدوار والأنشطة الإدارية والتربوية. وتحظي هذه الممارسات بدعم الإدارة العليا لبرامج الجودة حيث جاء هذا البعد في المرتبة الرابعة في سلم أولويات إدارة الجامعة التي تمتلك قياداتها رؤية واضحة لبرامج تطبيق الجودة وخطة استراتيجية لتنفيذ تلك البرامج ، وخصصت المصادر المالية اللازمة وفقا لمبدأ اللامركزية الإدارية في التنفيذ. فضلا عن ذلك تتخذ القيادات العليا القرارات الداعمة للنشاطات الإبداعية

التي تتضمنها برامج الجودة الشاملة ، وتتعامل بشفافية ووضوح مع جميع الأطراف المعنية ، وذلك وفقاً لتقديرات عينة الدراسة من أعضاء هيأة التدريس الجامعي.

أما بخصوص العلاقة مع المورد ، فقد جاء في المرتبة الخامسة من حيث درجة تركيز الإدارة الجامعية واهتماماتها بتطبيق إدارة الجودة الشاملة ، ويعكس هذا البعد الالتزام بالإجراءات الموضوعية في الإعلان عن العطاءات وفي توريد الأجهزة والمعدات والمواد ، وعقود البناء والصيانة الجامعية ، حيث تحتفظ الإدارة بسجلات توضح سمعة الموردين وأصحاب شركات البناء والصيانة وعلاقاتهم بالجامعة ، وتعتمد اكثر من مورد لضمان استمرارية التوريد حسب مواصفات الجودة وتتخذ الإدارة القرارات الموضوعية وتلتزم مبدأ الشفافية في إجراءات الشراء واعتماد العطاءات وتضع في اعتبارها البعد النوعي والأسعار أساساً للمفاضلة بين الموردين وأصحاب الشركات ، وتأتي هذه الممارسات نتيجة تركيز الإدارة الجامعية على المستفيد في برامج الجودة المطبقة بالجامعة ، حيث جاء هذا البعد في المرتبة السادسة وفقاً لآراء أعضاء هيأة التدريس بجامعة مصراته ، وقد ظهر ذلك التركيز في صور عديدة من بينها الاهتمام بتعميق مشاعر الرضا عن البرامج الدراسية والحياة الجامعية لدى المتعلمين ، ومساعدتهم على إيجاد حلول فاعلة لمشاكلهم ، وتأسيس مناخ أكاديمي يستجيب لقدراتهم والتمايزات الحاصلة بينهم ، ودعم التميز والإبداع من خلال تصميم البرامج الثقافية الداعمة للنمو الفكري المستدام.

أما بعد الثقافة التنظيمية فقد جاء في المرتبة السابعة في جوانب تركيز نظام جامعة مصراتة ، حيث تعمل إدارة الجامعة على نشر الوعي بثقافة الجودة بين العاملين والمتعاملين معها ، وتعقد الدورات التدريبية والندوات وورش العمل لترسيخ هذه الثقافة التي تجسد مبدأ الجودة مسؤولية الجميع.

فضلا عن ذلك ، جاء الاهتمام بنظم المعلومات الجامعية الذي وصف بأنه متوسط المستوى من حيث الممارسة في المرتبة الثامنة ويعكس ذلك اهتمام الإدارة الجامعية المتوسط بتوظيف المعلومات في صنع القرارات ، ووضع الخطط الاستراتجية ، وعقد المقارنات التي تحدد تكاليف تطبيق برامج الجودة الشاملة في الوحدات والأقسام الجامعية.

وفي الصورة العامة يمكن التأكيد على أن مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراته يزيد عن المتوسط ويفوق التوقعات المفترضة لمستوياتها ، حيث كانت جميع القيم التائية ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.01 ، باستثناء بعد نظم المعلومات الجامعية الذي مورس بمستوى متوسط. واتفقت هذه النتيجة مع ما توصل إليه علاونة (2004) في دراسته التي أظهرت أن الجامعة العربية الأمريكية تطبق مبادئ الجودة بدرجة كبيرة ، ودراسة ماجتوم وآخرون(2010) ,Magutumop et al التي أظهرت ممارسة جامعة نيروبي لأبعاد الجودة الشاملة بدرجة كبيرة.

السؤال الثاني : هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مسوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراته تعزى لمتغير الكلية ؟

للإجابة عن هذا السؤال وُزِّعَتْ عينة الدراسة إلى مجموعتين ضمن المجموعة الأولى أعضاء هيأة التدريس التابعين للكليات الإنسانية ، بينما شملت المجموعة الثانية أعضاء هيأة التدريس بالكليات التطبيقية ، وحسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفرادعينة الدراسة في الكليات الإنسانية والتطبيقية كما استخدم الاختبار التائي (t.test) لتحديد دلالة الفرق بين المتوسطين وذلك كما موضح بالجدول(2).

جدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفرادعينة الدراسة حسب متغير الكلية والاختبار التائي لتحديد دلالة الفرق بين المتوسطين

متغير الكلية	عينة الدراسة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية	الدلالة الاحصائية
الكليات الانسانية	47	352.28	12.88	113	* 0.41	0.38
الكليات التطبيقية	68	51.19	14.32	_	_	_

(*) قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة α= 0.05

يُلاحظ من الجدول (2) أن مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراته كان مرتفعاً بغض النظر عن متغير الكلية ، فالممارسات المرتبطة بإدارة الجودة الشاملة التي شملت التحسين المستمر ، والتركيز على العاملين ، والاهتمام بهم ، وضمان الجودة الجامعية ، ودعم الإدارة العليا ، والعلاقة مع المورد وصفت من قبل أعضاء هيأة التدريس بجامعة مصراته بأنها مرتفعة وشمل ذلك كل التخصصات. فضلا عن ذلك يوجد تطابق في وصف ممارسات إدارة الجودة الشاملة المتصلة بنظم المعلومات الجامعية التي كانت في المستوى المتوسط .

نتائج الدراسة وتوصياتها

يمكن إيجاز نتائج الدراسة على النحو الآتي:-

أظهرت النتائج ارتفاع مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية بجامعة مصراته في صورتها العامة وفي كل أبعاد الدراسة ما عدا بعد نظم المعلومات الجامعية الذي كان في المستوى المتوسط ، كما اتضح عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في مستويات الجودة تُعْزَى لمتغير الكلية.

وبناء على هذه النتائج وبعد مراجعة أدبيات الجودة الشاملة يمكن تقديم التوصيات الآتية :-

- إجراء دراسات مقارنة للكشف عن مستوى جودة الخدمات الإدارية والتعليمية في الجامعات الليبية ، وفي إدارة النظم التربوية ومؤسساتها التعليمية.
- إجراء دراسات تهدف إلى الكشف عن الرضا المهني لأعضاء هيأة التدريس ، ورضا الطلبة عن البرامج الأكاديمية والحياة الجامعية وعلاقة ذلك بفاعلية مخرجات جامعة مصراته في المؤسسات العامة والخاصة.
- بَذْلُ مزيدٍ من الجهود الرامية إلى تطوير أنظمة المعلومات وقواعد البيانات بجامعة مصراته بالنظر إلى أهمية المعلومات في إنجاز مهمات التقييم الإداري والتربوي ، ولدورها في صنع القرارات الجامعية واتخاذها.
- العمل على الرفع من مستوى الخدمات الإدارية والتعليمية بصفة مستمرة ، والتقدم باتجاه اعتماد معايير دولية ، ذلك لأن مفهوم الجودة مفهوم متغير عبر الزمن ، ويختلف باختلاف البيئة التنظيمية والعمل على جعل مفهوم الجودة جزءًا أصيلاً من مكونات الثقافة الأكاديمية بجامعة مصراته.
- المراجعة الدائمة للمعايير الأكاديمية والإدارية في ضوء التجارب الدولية والخبرات العالمية ، وإثراء بنودها وإغناء مؤشراتها لغايات الانتقال
- بالجامعة باتجاه التنافس الدولي والتصنيف العالمي للجامعات.

المصادر :-

1- أبو دولة ، جمال والنيادي ، حمد علي(2000). تطبيقات إدارة الجودة الشاملة في منظمات الخدمة في دولة الامارات العربية المتحدة. مجلة أبحاث اليرموك : سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 16(4) ، 139-176.

2- أبو فارة ، يوسف أحمد(2006). واقع تطبيقات إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الفلسطينية. المجلة الأردنية في إدارة الأعمال ، 2(2) ، 246-280.

3- أبو نبعة ، عبد العزيز ومسعد ، فوزية(1998). إدارة الجودة الشاملة : المفاهيم والتطبيقات. مجلة الإداري ، 20 (74) ، 69-93.

4- آل زاهر ، علي بن ناصر شتوي والقحطاني ، منصور بن عوض صالح(2009). تطوير الممارسات القيادية لرؤساء الأقسام الأكاديمية في مؤسسات التعليم العالي : دراسة تحليلية في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة في القيادة الإبداعية. (ط1) ، جامعة أم القرى : مركز البحوث التربوية والنفسية.

5- بدح ، احمد محمد(2006). انموذج مقترح لإدارة الجودة الشاملة في الجامعات الأردنية العامة. مجلة اتحاد الجامعات العربية ، (46) ، 89-132.

6- البيلاوي ، حسن حسين(1996). إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي بمصر.مؤتمر التعليم العالي في مصر وتحديات القرن الواحد والعشرين ، القاهره ، مركز إعداد القادة.

7- طعامنه ، محمد(2001).إدارة الجودة الشاملة في القطاع الحكومي : حالة وزارة الصحة. مجلة ابحاث اليرموك : سلسلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، 17(1) ، 85-112.

8- الطويل ، أكرم أحمد والكوراني ، فارس يونس(2006). إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في جامعة الموصل : دراسة على مجموعة مختارة من كليات الجامعة. مجلة تنمية الرافدين ، 82(28) ، 59-89.

9- الطويل ، هاني عبد الرحمن صالح(2006). الإدارة بالإيمان : إبدال في إدارة النظم التربوي وقياداتها.(ط1) عمان : الجامعة الأردنية.

10- عشيبة ، فتحي درويش محمد(2000). الجودة الشاملة وإمكانية تطبيقها في التعليم الجامعي المصري : دراسة تحليلية. مجلة اتحاد الجامعات العربية ، (33) ، 520-566.

11- علوان ، قاسم نايف(2006). إدارة الجودة الشاملة وإمكانية تطبيقها في كليات جامعة التحدي. مجلة اتحاد الجامعات العربية ، (46) ، 215-252.

12- العلي ، عبد الستار محمد(1998). تطوير التعليم الجامعي باستخدام نظام إدارة الجودة الشاملة. مجلة الإداري ، 20(74) ، 97-113.

13- علاونه ، معزوز جابر(2004). مدى تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعات العربية الأمريكية.مؤتمر النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني ، رام الله ، جامعة القدس المفتوحة.

14- الكيومي ، عبدالله بن عيسى علي(2003). تقدير درجة امكانية تطبيق بعض مفاهيم إدارة الجودة الشاملة في كليات التربية في سلطنة عمان : ملخص رسالة ماجستير في الإدارة التربوية. مجلة الإداري ، 25(95) ، 169-223.

15- محجوب ، بسمان فيصل(2003). إدارة الجامعات العربية في ضوء المواصفات العالمية : دراسة تطبيقية لكليات العلوم الإدارية والتجارة.(ط1) القاهرة : منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية.

16- النعيم ، عبداللطيف بن صالح(2002). دراسة تحليلية لموقف طلاب الجامعات السعودية من تطبيق إدارة الجودة الشاملة : بالتطبيق على الأقسام الإدارية بفرع جامعة الإمام وكلية العلوم الإدارية بجامعة الملك فيصل بالأحساء. مجلة الإداري ، 24(90) ، 13-61.

17- Al tashah,G.H.(2013) Obstacles To the Application of Total quality Management (TQM) in Higher Education Institutions in the State of Kuwait.Eurapean scientific Journal,feb.9(4),209-220.

18- Baldwin,L.M.(2002) Total Quality Management in Higher Education : the implications of internal and external stakeholder perceptions. Digital Dissertations,63(05A),1899.(UMI No.3053637).

19- Birnbaum,R.(1999). Has The Academy Adapted TQM? Planning for Higher Education,(28),37-129.

20- Doval,Elena,Bondrea,Emilia,Nogulscu(2011).A Modle of University Quality Culture system : filing the gaps. Journal of US. China Public Administration 8(9),1058-1066.

21- Magutum,p(2010) Quality Management Practices In Kenyan Educational Institution : The case of the university of Nairobi.African Journal of Business& Management,(1) 14-28.

22- Mashagba,I.(2014)The Imact of Total Quality Management(TQM) on the Efficiency of Academic Performance- Empirical study- The University of Jordan,InternationalJournal of Scientific& Technology Research,3(4) April,358-364.

23- Newstorm,John.etal(2002).Organizational Behavior:Human at Work.McGrow.Hillcompanies,Inc NY.

24- Sabet,H.et al,(2012) A Study on Total Quality Management in Higher Education Industry in Malysia. International Journal of business and Socil science,3(17) sep.208-215.

25- Zubair,S.(2013) Higher Education Total Management in Public Sector Institutions. Journal of Business& economics,5(1) 24-55

تقييم الأداء الإداري للأندية الرياضية بمدينة بنغازي من وجهة نظر مدربي الألعاب الجماعية

* م. محمد عبد القادر الشيخي * م. يوسف عمران النجار
قسم التربية البدنية وعلوم الرياضة – كلية الآداب – جامعة بنغازي

ملخص البحث

إن تقييم الأداء الإداري والفني لإداريي الأندية الرياضية يعد في غاية الأهمية وذلك للوقوف علي النواحي الإيجابية والسلبية في أدائهم وأيضا للاطلاع علي أبرز ما يتمتعون به من خبرات بغية تطويرها والارتقاء بها إلى المستويات المطلوبة وسعيا لإنجاح العملية التدريبية التي يمثلون قطبا مهما فيها، لذلك أجريت هذه الدراسة علي عينة مكونة من 45 مدرباً من مدربي أندية مدينة بنغازي باستخدام مقياس لتقييم الأداء الإداري من وجهة نظرهم. وقد أظهرت النتائج مستويات متعددة من الأداء الإداري بين الإداريين في الاندية واتضح أن أغلب الإداريين وقعوا في مستوى متوسط فما فوق وأن أقل من 25 % من الإداريين كانوا في المستويين :مقبول وضعيف. وطبقا لهذه النتائج نوصي بالعمل على تطوير الأداء الإداري للإداريين من خلال إقامة دورات تطويرية ودورات الصقل بشكل مستمر إضافة إلى السفر للاطلاع على الخبرات الموجودة في العالم والتي تخص هذا المجال كما يجب وضع المعايير العلمية في عملية اختيارهم للقيام بهذه المهمة.

Abstract of research

The administrative and technical performance of the management of sports clubs assessment is very important in order to determine the positive and negative aspects of their performance and also to see the highlights of enjoying its experiences in order to develop and upgrade them to the required levels and in order to ensure the success of the training process, which represent an important where a pole, therefore this study made with 45 coaches of the clubs coaches Benghazi sample using a scale to assess administrative performance from their point of view. The results show multiple levels of administrative performance among administrators in the clubs and it turned out that most managers caught in the average level or above and less than 25% of managers were at acceptable levels and weak. According to these results, the researchers recommend working on the administrative performance of the administrative development through the establishment of developmental courses and refined on an ongoing basis as well as travel for the experience in the world, which is for this area should also be put scientific standards in the selection process for the task.

مقدمة البحث وأهميته :

إن تقدم الأمم والشعوب يتأثر بشكل ظاهري بالتقدم العلمي والتقني وإن هذا التقدم ينعكس على المستوى السياسي والدولي فيها ، ويعد علم الإدارة من العلوم ذات الأهمية الكبرى المؤثرة على المجتمع وفي كافة المجالات والأنشطة الرياضية المختلفة ، إذ لابد من اللجوء إليها في معالجة المشكلات التي تواجه الأفراد وفي كافة المجتمعات ، وبالتالي فإن الإدارة تتعامل مع الكثير من الحالات التى تعتمد على بعضها البعض وإن هذه الحالات متفاوتة في درجة التعقيد وفي الكم والنوع ولذلك وجب أن يكون معلوما بأن الإدارة متفاوتة بين الأفراد من ناحية الأداء وذلك لعدم ثبات الظروف من الناحية الإدارية ويعتمد ذلك حسب معطيات حدوث المواقف فمن خلال الإدارة يمكن جمع المعلومات الخاصة والمترابطة في حل المشكلات الأنية والمستقبلية.

الوصول إلى المستويات الرياضية العالمية لم يكن وليد الصدفة أو نتيجة الاعتماد على الإمكانيات فحسب بل كان ذلك نتيجة لاستخدام الأساليب العلمية المتقدمة في الإدارة الرياضية وقد أدي تنافس الدول المتقدمة في تحقيق المستويات و الأرقام العالمية والإنجازات الرياضية و ظهور العديد من المنظمات الرياضية العالمية إلى توجيه أنظار الباحثين والمهتمين بالمجال الرياضي لإجراء العديد من البحوث العلمية في المجال الرياضي بوجه عام و استخدام الأساليب والوسائل العلمية في ميدان الإدارة الرياضية بوجه خاص.

يرى سلطان محمود (2013، 28) أن نجاح الإداري الذي يعمل بالمجال الرياضى فى ملء موقعه يتأتي بتوجيه الأعمال التى تحت إشرافه وتسيرها فى يسر وسهولة كما يجب أن يفهم ويدرك مبادئ التنظيم والإدارة ويستخدمها استخداماً مناسباً ويشترط فيه أن يقدر الحاجة إلى العلاقات الإنسانية ويعرف ما تكون عليه العلاقات الصحيحة بين جميع العاملين معه ، كما أن من متطلبات النجاح في ذلك تلزمه أن يضع أهدافه بوضوح ويخطط لمرؤوسيه الإجراءات التى يتمكن تنفيذها لتحقيق هذه الأهداف ، و أن يفوض السلطة والمسؤولية الضرورية إلى الأشخاص الذين يقع على عاتقهم مسؤولية تنفيذ المراحل المختلفة للعمل ويستنبط بوعى وسائل وأدوات الرقابة التى تكفل تنفيذ الخطة علي الوجه الأمثل للأداء.

لذا ينبغي على جميع العاملين في المجال الرياضي الإحاطة بعلم الإدارة لمساعدتهم في ممارسة الأعمال الإدارية بمستوى عالي من الأداء ، فاستيعاب الأعمال الإدارية من قبل العاملين في مجال الإدارة الرياضية وتنفيذهم للمبادئ الإدارية بصورة علمية دقيقة يؤدي إلى تحقيق الأهداف المطلوبة وبأفضل الطرق والسبل، كما أن للأداء الإداري الرياضي الجيد دوراً مهماً في تسهيل الأمور الرياضية وسد كافة المتطلبات الرياضية المطلوبة و تسهل علي المدربين أداء الدور الكامل والمباشر في العملية التدريبية بتنفيذ السياسات والواجبات التي وضعت مسبقاً وترجمتها الى واقع عملي مع تذليل كافة الصعوبات والمعوقات وتسهيل العمل .

وتتجلى أهمية البحث في تقييم الأداء الإداري والفني لإداريي الأندية الرياضية الذي يجب أن يبنى بناءً علمياً وثقافياً من خلال أسس خاضعة لعملية تقييم فاعلة وذلك للوقوف علي النواحي الإيجابية والسلبية في أدائهم وأيضا للاطلاع علي أبرز ما يتمتعون به من خبرات بغية تطويرها والارتقاء بها إلى المستويات المطلوبة وسعياً للإنجاح العملية التدريبية التي يمثلون قطباً مهماً فيها.

مشكلة البحث:

إن الكثير من المنظمات الرياضية لاتزال تمارس أساليب إدارية تعكس إلى حد كبير الأسلوب البيروقراطي في الإدارة و هو ما يسهم في تفاقم الكثير من المشكلات الإدارية والتنظيمية علي سبيل المثال الضبابية في رؤية الرسالة والأهداف للمنظمة الرياضية المستقبلية وضعف في الموارد البشرية و المالية والأنظمة والقوانين.

كما أن مهمة الإداري في الأندية الرياضية ليست عملية عشوائية وليست عملية تصيد الأخطاء في نفس الوقت ، بل هي عملية استعراض لكافة المتطلبات المطلوبة لتحقيق الأهداف من خلال السياسات المستخدمة والخطط المستقبلية الرياضية وربطها بفلسفة الإدارة والتي تتوازن مع أهداف الدولة ورفع مستوى الأداء الإداري باعتماد كافة الأساليب الحديثة واتخاذ الوسائل والطرق الكفيلة بإنجاح العملية الإدارية المستخدمة في العمل الرياضي ، كما أن العملية التدريبية بالأندية الرياضية مرهون في الغالب بنجاح الإداري الرياضي في أداء دوره علي الوجه الأمثل.

ومن هنا تتجلى مشكلة البحث في عدم وجود المعايير الخاصة والمبنية على الأسس العلمية لتقييم الأداء الإداري للأندية الرياضية ولذلك ارتأى الباحثان معرفة الأداء الإداري للأندية الرياضية بمدينة بنغازى ومن وجهة نظر مدربو الألعاب الجماعية لما لهم من احتكاك مباشر مع الإداريين الموجودين في الأندية الرياضية و وضع معايير لمعرفة مستواهم الإداري.

أهداف البحث:

1 . معرفة الأداء الإدارى للأندية الرياضية بمدينة بنغازى من وجهة نظر المدربين لبعض الألعاب الجماعية (كرة القدم ، كرة السلة ، الكرة الطائرة ، كرة اليد).

2 ـ تحديد المجالات الرئيسية لتقييم الأداء الأداري من وجهة نظر المدربين لبعض الألعاب الجماعية

(كرة القدم ، كرة السلة ، الكرة الطائرة ، كرة اليد) في مدينة بنغازى.

3 . تحديد مستويات معيارية لتقييم مجالات الأداء الأداري للأندية الرياضية من وجهة نظر المدربين لبعض الألعاب الجماعية (كرة القدم ، كرة السلة ، الكرة الطائرة ، كرة اليد) في مدينة بنغازى.

فرض البحث:

يوجد مستويات متعددة ومتباينة للأداء الأداري لإداري الأندية الرياضية فى الألعاب الجماعية من وجهة نظر المدربين في مدينة بنغازى .

مصطلحات البحث:

الإدارى الرياضى :

ويعرف فايز حسين (2008، 10) الإداري بأنه الفرد الذى يشغل مركزاً ذات المسؤولية فى التنظيم الإدارى وهو بهذا الوضع يتولى اختصاصات محددة ، وعليه مسؤوليات تتطلب إجازها على هدى من السياسة العامة المرسومة وفى نطاق الخطة المعدة التى يلتزم بتنفيذها الجزءالخاص فى نطاق اختصاصه وعمله.

الأداء الإدارى الرياضى :

يقصد به حجم ومستوي العمل الذي يقوم به الشخص الإدارى والموجه نحو إنجاز المسؤوليات والواجبات والانشطة والمهام الادارية المختلفة التي تتطلبها طبيعة المؤسسة الرياضية أو الفريق الرياضي (تعريف إجرائي).

الدراسات النظرية للبحث:

المستوى الإداري ومهارات الإدارة الرياضية :

يذكر أحمد أحمد (2012، 9) الإدارة الرياضية بمستوياتها الثلاثة : (عليا ووسطى وإشرافية) فإن العمل الإداري قد يختلف في كل مستوى عن الآخر ونوع المؤسسة الرياضية وحجم نشاطها وأهدافها ويحدد مقدار هذا الاختلاف وللإدارة مهارات(فنية وإنسانية وإدارية) وتعد هذه المهارات متطلباً أساسياً في كل مستويات الإدارة الرياضية وتتمثل المهارات الفنية في المعرفة والإجراءات والأساليب المرتبطة بنوع النشاط ويجب أن يكون المدير الرياضي دارساً وممارساً للرياضة لكي يعرف متطلبات العمل الإداري. أما المهارات الإدارية فهي مهارات ترتبط بالقدرة على النظرة الشمولية للمؤسسة ككل من حيث تنظيمهاتها الفرعية وأقسامها وأنشطة كل منها وفهم العلاقات المتبادلة بين وحدات المؤسسة الرياضية والقدرة على توقع ما يمكن أن يحدث في حالة تغيير أي جزئية من جزئيات العمل. وتأتي المهارات الإنسانية لتلعب دوراً أساسياً في نجاح كل من المهارات الفنية والإدارية فهي تعتمد على دراسة نفسيات الأفراد والجماعات وكيفية التعامل باختلاف المواقف.

يرى محمود الربيعي (2006، 1) أن على جميع العاملين في المجال الرياضي أن يكونوا من ذوي الاختصاص أو الخبرة لا لتكون طبيعة الإدارة منقوصة ولا تحقق أهدافها المنشودة حتى وإن كانت المؤسسات أو الجهات ذات العلاقة مستكملة لجميع المتطلبات الأخرى من ناحية المنشات والأجهزة والمعدات ، لأن التخصص في العمل الرياضي والتفنن في تعريف شؤون ومتطلبات وإنجاز وتسيير وتنفيذ ومتابعة البرامج والمشروعات والمهام المتعلقة به تتطلب قدرات وكفاءات متميزة تحمل صفات تربوية ذات طبيعة خاصة وتتطلب جهوداً "مخلصه ، لذلك وجب الاهتمام بمن يعمل ويشغل مثل هذه الوظائف والمهام الحساسه ذات المسؤولية التربوية والوطنية من أجل أن تكون البداية سليمة تكفل وتضمن نجاح أي عمل رياضي يتم إقراره.

إن اختيار الاشخاص العاملين في الحقل الرياضي وإدارته يتطلب مراعاة طبيعة وفن إدارته وأسلوب العمل وحسن تصريف الشؤون الإدارية والفنية التي تتطلب إعداداً وتوجيهاً من يعمل كل حسب اختصاصه لأن الإدارة علم وفن وتعتمد أساساً "على حسن التنظيم والتخطيط . وفن الإداريات في هذا المجال هو الخصائص التي يمتاز بها الإداري لضمان تحقيق وتنفيذ الإدارة الناجحة في رعاية الرياضيين بدعم ومساعدة وتوجيه أصحاب الخبرة والتجربة ممن يسهلون مهمة من يعمل في هذه المؤسسات وتعويدهم على الممارسات المستمرة والقدرة على خلق مبدأ العمل الجماعي ضمن هذا المجال الحيوي والمهم وتنظيم إدارته بما ينسجم مع الأهداف المنشودة من خلال القدرة على التنسيق والتدقيق بين الأجهزة العاملة من جهة والإدارة وتنفيذ المشروعات لكي لاتفقد الجهات القيادية قدرة السيطرة و الاستمرار على تنفيذ المهام بنجاح.

وظائف الإدارى الرياضى :

يرى عبد الرحمن الصباح (2011 ، 27) أن الأعمال والوظائف والأنشطة التى على الإدارى القيام بها هى فى الواقع أنشطة قيادية وهذا يتطلب إلمامه بأساليب القيادة ويمكننا هنا أن نذكر الأنشطة الإدارية التى يقوم بها الإدارى :

1. التخطيط وتحديد السياسات والإجراءات .
2. تنظيم أنشطة الآخرين "المرؤوسين"
3. تفويض السلطة و المسؤولية .
4. الرقابة على النتائج المطلوبة .
5. الإشراف على تقييم النتائج .
6. تدريب الأفراد فى المراكز ذات المسؤولية للقيام بالعمل الإدارى .
7. التنسيق بين الجهود المختلفة المكونة للعمل الإداري.

متطلبات الإدارى الرياضى الناجح :

لكي ينجح الإدارى فى ملء موقعه عليه أن يوجه الأعمال التى تحت إشرافه ويسيرها فى يسر وسهولة وكما يجب أن يفهم ويدرك مبادئ التنظيم والإدارة ويستخدمها استخداماً مناسباً ويشترط فيه أن يقدر الحاجة إلى العلاقات الإنسانية ويعرف ما تكون عليه العلاقات الصحيحة بين جميع العاملين معه ، ومن متطلبات النجاح أن يضع أهدافه بوضوح ويخطط لمرؤوسيه الإجراءات التى يتمكن من تنفيذ هذه الأهداف ويفوض السلطة والمسئولية الضرورية إلى الأشخاص الذين يقع على عاتقهم مسؤولية تنفيذ المراحل المختلفة للعمل ويستنبط بوعى وسائل وأدوات الرقابة التى تكفل تنفيذ الحطة .

يرى مهدى زويلف (1996، 35) أنه لا توجد قواعد محدد لضمان نجاح الإدارى فى عمله ، ولكن توجد قواعد عامة للسلوك والتصرفات والسمات الشخصية التى تساعد على تحقيق النجاح ، عدد

محدود من الصفات الأساسية تولد مع الشخص ولكن الكثير منها يكتسب وينمى مع مراعاة أن الموروثة منها لاتضمن النجاح إلا إذا استطعنا تنظيمها وتهذيبها .

تقييم عمل الإدارى فى المجال الرياضى

إن عملية التقييم اساسية ومهمة من حيث إنه يتوجب على المسؤول إعطاء رأيه المستمر في المرؤوسين وتقييمهم بما يقومون من أعمال وتصرفات داخل المنظمة وبالعكس ممكن أن يعطي الدور نفسه للمرؤوسين لتقييم رؤسائهم الذين يعملون تحت إشرافهم من أجل مواكبة التطور في العمل المتواصل داخل المنظمة والذي ينعكس بصورة إيجابية في مردودة على رقي المنظمة.

ويذكر قيس النورى (1999، 311) أن رئيس المنظمة الرياضية أن يمتلك والقدرة على تقدير ووزن وإصدار احكام العاملين في المنظمة حول كيفية أدائهم بقصد التحسين أو التعديل في البرامج بشكل مستمر ودوري باستخدام السجلات التقويمية والتي تصف مقدار التقدم في نواحي الأنشطة في المنظمة وعلى تشجيعه المستمر لكل العاملين بأن يقوموا بعملية التقييم الذاتي ويعدم من ضمن الوسائل التي تؤدي إلى تطوير العمل في المنظمة وجعل الأساس في عملية تحفيز المبدعين والمتفوقين ويكافئتهم ليكونوا مثالا يحتذي به.

يشير Salih Les (1989، 293) إلي أن هناك عدد من الطرق شائعة الاستخدام في الكثير من المؤسسات والمنظمات كطريقة التقييم باستخدام قوائم معدة سلفاً او طريقة تسجيل الأحداث المهمة أو الطرق التي تعتمد على المقارنة بين العاملين حيث تستخدم فيها استمارات خاصة فيها حقول معينة تتعلق مباشرة بشخصية الفرد وعاداته وطبيعته ، وغيرها من الصفات الأخرى . ويقوم المشرف بتأشير هذه الحقول او كتابة ملاحظات أمام كل عنصر من عناصر التقييم. وأن هذه العناصر تختلف من استمارة إلى أخرى حسب نظام التقييم المستخدم إلا أنها متعددة الفقرات وتنصب باتجاه تقييم أداء الأفراد للواجبات التي يقومون بها في مؤسساتهم التي يديرونها .

الدراسات المشابهة:

1- دراسة وليد خالد همام (2004)(الأداء التنظيمى للمنظمات الرياضية بمحافظة نينوى)

أجريت هذه الدراسة في العراق على عينة من (110) بالطريقة العشوائية من أعضاء الهيئات الإدارية والمدربين واللاعبين حيث كانت النتائج المهمة على النحو الآتي :

- أداء رؤساء الأندية الرياضية في محافظة نينوى وفق المحاور الإدارية المحددة كان بدرجة كبيرة.

- الأداء التنظيمي في الأندية الرياضية في مركز المحافظة أكبر من الأداء التنظيمي للأندية خارج مركز محافظة نينوى.

2- دراسة أحمد آدم أحمد (2012) ،دور تكنولوجيا المعلومات فى تحسين أداء الإدارة الرياضية فى بعض المؤسسات الحكومية والأهلية بالسودان

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على دور تكنولوجيا المعلومات فى تحسين أداء الإدارة الرياضية فى بعض المؤسسات الحكومية والأهلية بالسودان وأكثر أجهزة تكنولوجيا المعلومات استخداماً في

مجال الإدارة الرياضية ، تكونت العينة من الإداريين العاملين ببعض المؤسسات الرياضية الحكومية والأهلية وبلغ عددهم (80) فرداً ، اعتمد الباحث على المنهج الوصفى باستخدام الاستبانة كأداة لجمع المعلومات وقد أسفرت النتائج عن الآتي-:

- أن تكنولوجيا المعلومات تعمل على تحسين أداء الإدارة الرياضية فى بعض المؤسسات الحكومية والأهلية بالسودان.

- أن أكثر أجهزة تكنولوجيا المعلومات استخداماً في مجال الإدارة الرياضية ببعض المؤسسات الحكومية والأهلية بالسودان هو الحاسب الالى

2- دراسة بندر بن محمد عبد القادر مغربي (2013) تقويم العمل الإداري بالأندية الرياضية السعودية في ضوء متطلبات إدارة الجودة الشاملة

هدفت الدارسة إلى تقويم الوضع الراهن للعمل الإدارى بالأندية الرياضية والتعرف على متطلبات الأساسية لتطبيق إدارة الجودة الشاملة بالأندية السعودية . واستخدم الباحث المنهج الوصفى واشتملت عينة البحث على الآتي (أعضاء مجلس الإدارة ـ مديرى ومشرفي الألعاب الرياضية المختلفة) حيث بلغ قوام عينة البحث (152) فرداً من 8 أندية رياضية من الدرجة الممتاز وقد أسفرت النتائج عن الآتى-:

- يوجد قصور فى ترشيح الكوادر الرياضية من قبل الإدارة العليا إلى مراكز عملية متخصصة فى الإدارة الجودة الشاملة للتدريب .

- تتوافر لدى الإدارة العاليا الكفاءات البشرية المؤهلة لتطبيق "إدارة الجودة الشاملة .

منهج البحث وإجراءاته الميدانية

منهج البحث : إن اختيار المنهج الملائم لحل المشكلة يعد من الخطوات المهمة التي يترتب عليها نجاح البحث والذي يعتمد على طبيعة المشكلة ومدى وضوحها والتي يميزها عن باقي المشاكل البحثية عند توفر المعلومات والبيانات الصحيحة وعلى هذا الأساس اختار الباحثان المنهج الوصفي بأسلوب المسح لحل مشكلة البحث.

مجتمع الدراسة : يتكون مجتمع الدراسة من جميع مدربى الألعاب الجماعية (كرة قدم ، كرةالسلة ، الكرة الطائرة ، كرة اليد) ويبلغ عددهم أثناء القيام بهذه الدراسة (30) كرة قدم و (20) كرة سلة و(20) كرة طائرة و (20) كرة يد .

عينة الدراسة : بعد أن تم تحديد مجتمع الدراسة أصبح بإمكان تحديد أفراد العينة وفيما يخص هذه الدراسة ، بلغ أفراد العينة الممثلة للمدربين كالتالى : (14) مدرب كرة قدم و بنسبة (31.11 %) من المجتمع البحثي و(12) مدرب كرة سلة و بنسبة (26.66) و(10) مدرب كرة طائرة و بنسبة (22.22) و (9) مدرب كرة يد و بنسبة (20 %). ولقد بلغ عدد أفراد العينة الكلية فى الدراسة (45) مدرباً أى تشكل نسبة (50 %) من مجتمع الدراسة ككل.

جدول (1) يبين توزيع العينة لإداري الأندية الرياضية بمدينة بنغازى

توزيع العينة	النادى	عدد المدربين				مجموع المدربين	النسبة المئوية
		كرة قدم	كرة سلة	كرة طائرة	كرة يد		
عينة التطبيق الأولى	الأهلى	1	1	1	1	4	% 25
	النصر	1	1	1	1	4	% 25
	الهلال	1	1	1	1	4	% 25
	التحدى	1	1	1	1	4	% 25
عينة التطبيق	الأهلى	3	2	3	2	10	% 22.22
	النصر	4	4	3	3	14	% 31.11
	الهلال	4	3	2	2	11	% 24.44
	التحدى	3	3	2	2	10	% 22.22

مجالات البحث :

1 . المجال البشري : يتمثل بمدربي بعض الألعاب الجماعية بمدينة بنغازى (كرة القدم، كرة السلة، الكرة الطائرة، كرة اليد).

2 . المجال الزماني : 8.15 . 2015

3 . المجال المكاني : الأندية الرياضية بمدينة بنعازى .

وسائل جمع المعلومات المستحدمة فى البحث :

استخدم الباحثان فى هذه الدراسة مقياس تقييم الأداء الإدارى من وجهة نظر المدربين الألعاب الجماعية وهذا المقياس صمم من قبل الباحثان وتم التحقق من تمتعه بالمعاملات العلمية المطلوبة.

القسم الأول : ويتكون من (50) سؤالاً ويقيس الأداء الإدارى من وجهة نظر المدربين الألعاب الجماعية من خلال أربعة مجالات وهى :

1 . مجال العملية التخطيطية (11) فقرة .

2 . مجال العملية التنظيمية والتنسيق (16) فقرة .

3 . مجال التوجية والرقابة (10) فقرات .

4 . مجال الاتصال اتخاذ القرار (13) فقرة .

بذلك يكون مجموعة أسئلة مقياس تقييم الأداء الإدارى من وجهة نظر المدربين 50 سؤالاً وتكون إجابة المبحوث عن الأسئلة أحد ثلاث إجابات وهى : تنطبق دائما ، تنطبق أحياناً ،لا تنطبق أبداً.

وفى ما يلى عدد الأسئلة فى كل مجال من مجالات المقياس :.

1 . مجال العملية التخطيطية (11) فقرة (1 ، 5 ، 9 ، 17 ، 25 ، 29 ، 33 ، 37 ، 41 ، 48).

2 . مجال العملية التنظيمية والتنسيق (16) فقرة (2 ، 8 ، 10 ، 12 ، 13 ، 14 ، 18 ، 22 ، 30 ، 34 ، 38 ، 42 ، 44 ، 46 ، 49، 50) .

3 . مجال التوجيه والرقابة (10) فقرات (3 ، 7 ، 11 ، 15، 19 ، 23 ، 26 ، 27 ، 31 ، 39).

4 . مجال الاتصال واتخاذ القرار (13) فقرة (4 ، 6 ، 16 ، 20 ، 21 ، 24 ، 28 ، 32، 36 ، 40 ،43 ، 45 ، 47).

أسلوب تصحيح الفقرات

قام الباحثان بتصحيح فقرات المقياس وذلك بإعطاء الفقرة الوزن المناسب وذلك حسب اختيار أفراد العينة لسلم التقدير وبما أن الفقرات قد صيغت باتجاهين : سلبى وإيجابى ، فقد حددت الأوزان (1 . 3) لكل فقرة من فقرات المقياس .

جدول (2) يوضح مفتاح التصحيح للفقرات الإيجابية والسلبية

إتجاه / الفقرة البدائل	تنطبق دائما	تنطبق أحياناً	لا تنطبق أبداً
إيجابى	3	2	1
سلبى	1	2	3

المعاملات العلمية للمقياس :

ثبات المقياس : استخدم الباحثان طريقة إعادة الاختبار وهذه الطريقة تستخرج تقتضي إجراء الاختبار مرتين على عينة تكون من مجتمع وخارج نطاق عينة البحث وتفصل بينهما فترة زمنية معينة وبعد ذلك يتم التحقق من وجود الارتباط بين الاختبارين والقيمة التي تستخرج تمثل معامل ثبات الاختبار، ومن أجل ذلك تم إعادة الاختبار على (10) مدربين لبعض الألعاب الجماعية من أندية مدينة بنغازى وبعد مرور 14 يوماً من الاختبار الأول يوم 12/ 4/ 2015 وبعد جمع نتائج الاختبارين قام الباحثان باستخراج معامل الارتباط لبيرسون كما هو موضح بالجدول (3).

جدول (3) يبين قيمة معامل ثبات الاختبار ارتباط بيرسون وقيمة (ت) للدلالة على معنوية الارتباط

معامل الثبات	قيمة (ت)		درجة الحرية	نسبة الخطأ	الدلالة
	المحتسبة	الجدولية			
0.77	4.32	2.26	9	0.05	معنوى

وقد أظهرت النتائج معنوية الارتباط وهذا يدل على الاستقرار فى إجابات الأفراد على الاختبار بعد فترة زمنية معينة وهذا يدل على معمل ثبات الاختبار .

صدق المحك الداخلي : وهي قدرة المقياس على قياس السمة المراد قياسها وذلك يتبين من خلال التعرف على علاقة كل فقرة بالدرجة الكلية للمقياس ولذلك لجأ الباحثان لاستخدام قانون الارتباط البسيط بيرسون (وهو مايسمى بالاتساق الداخلي " ويعد ذلك معياراً لصدق الاختبار") .

جدول (4) يبين معاملات الارتباط بين درجات فقرات المقياس والدرجة الكلية للمقياس

ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط	ت	معامل الارتباط
1	0,778	15	0.553	29	0.495	43	0.679
2	0,473	16	0.666	30	0.942	44	0.389
3	0,421	17	0.544	31	0.589	45	0.567
4	0.886	18	0.633	32	0.691	46	0.782
5	0.827	19	0.395	33	0.472	47	0.341
6	0.683	20	0.448	34	0.665	48	0.445
7	0.566	21	0.432	35	0.454	49	0343
8	0.462	22	0.601	36	0.567	50	0.601

9	0.531	23	0.553	37	0.390
10	0.472	24	0.432	38	0.563
11	0.455	25	0.454	39	0.345
12	0.414	26	0.378	40	0.673
13	0.623	27	0.564	41	0.564
14	0.663	28	0.343	42	0.468

كيفية الحكم على مستوى الأداء الإدارى من وجهة نظر المدربين فى الألعاب الجماعية :

إن المستويات المعيارية هي معايير قياسية تمثل الهدف أو الغرض المطلوب تحقيقه لأي صفة خاصة لأنها تتضمن درجات تبين المستويات الضرورية ولهذا يتم إعداد المستويات على أفراد ذوي مستوى عال من الأداء. ولغرض تحديد المستويات المعيارية من الممكن استخدام منحنى التوزيع الطبيعي لانه يعد من أهم التوزيعات التي يعتمد عليها في مجال التربية الرياضية وذلك لأنها قريبة من المنحنى الطبيعي ، وقد اختار الباحثان أن تكون هناك خمسة مستويات لمقياس الأداء الإداري للأندية الرياضية، إذ إن الدرجات المعيارية المعدلة تتكون من (60) درجة والمستوى الواحد يمثل وحدة معيارية واحدة = 12درجة معيارية معدلة وعند توزيع الدرجات على المستويات التي اعتمدت بحيث ظهرت لنا المستويات المعيارية وكما مبين في الجدول (5) ولغرض التعرف على مدى قرب وبعد أجابات عينة البحث عن التوزيع الطبيعي قام الباحثان بحساب معامل الالتواء وكما مبين في الجدول (6).

جدول (5) يبين المستويات والدرجات المعيارية والدرجات الخام لمقياس الأداء الإداري ومجالاته

الدرجة فى المنحنى	المستويات	الدرجة المعيارية	الدرجة الحام للمقياس	العملية التخطيطية	العملية التنظيمية	التوجيه والرقابة	الاتصال واتخاذ القرار
3.67	جيد جداً	68 . 80	130 . 150	29–33	42–48	27–30	34–39
22.25	جيد	56. 68	110 . 129	25–28	36–41	23–26	29–33
41.23	متوسط	44. 56	90. 109	21–24	29–35	19–22	23–28
25.34	مقبول	32. 44	70 . 89	16–20	23–28	15–18	18–22
5.67	ضعيف	20 . 32	69 . فما دون	15 . فما دون	22 . فما دون	14 . فما دون	17 . فما دون

جدول(6) يبين الوسط الحسابي والانحراف المعياري والوسيط ومعامل الالتواء لعينة الاستطلاعية

المعاملات الإحصائية	الوسط الحسابى	الانحراف المعيارى	الوسيط	معامل الالتواء
القيمة	120.6	16.06	98.23	0.48

الوسائل الإحصائية

1 . النسبة المئوية. 3 . الوسيط 5 . الأنحراف المعيارى

2 . الوسط الحسابي. 4 . معامل الالتواء 6 . معامل الارتباط البسيط

وقد استخدم الباحثان نظام spss في عملية التحليل.

عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها

نتائج مقياس الأداء الأداري للأندية الرياضية:

جدول(7) يبين مستويات مقياس الأداء الإداري للأندية الرياضية والنسب المئوية لها

المستويات الأداء الإداري ودرجات الخام	مدربى الالعاب الجماعية								متوسط النسبة للمدربى الأندية
	كرة قدم		كرة السلة		كرة الطائرة		كرة يد		
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	
جيد جداً 150 . 130	2	%14	1	%8	1	% 10	0	% 0	% 8
جيد 129 . 110	4	% 29	3	% 25	2	% 20	2	% 22	% 24
متوسط 129 . 110	6	% 43	5	% 42	5	% 50	4	% 45	% 45
مقبول 89 . 70	1	%7	2	% 14	1	% 10	2	%22	% 13
ضعيف69 . فما دون	1	%7	1	% 8	1	% 10	1	11 %	% 9
المجموع	14	100 %	12	100 %	10	100 %	9	100 %	100 %

بعد تطبيق مقياس الأداء الإداري للاندية الرياضية ومن وجهة نظر المدربين حصل الباحثان على عدة مستويات وكما مبين في الجدول (7) والذي يمثل مستويات مقياس الأداء الإداري للأندية الرياضية حيث جيد جداً يترواح بين (150 – 130) ومستوى جيد بين (– 110) 129ومستوى متوسط بين (109 – 90) ومستوى مقبول بين (89 – 70) ومستوى ضعيف بين (69 ـ فمادون) ويتبين لنا أن الإداريين الذين حصلوا على مستوى جيد جداً ومن وجهة

نظر المدربين كان عددهم (4) وبنسبة مئوية (8.8 %) وأن الإداريين الذين بلغوا مستوى جيد من وجهة نظر المدربين كان عددهم (11) وبنسبة مئوية (24.4 %) والذين حصلوا على مستوى متوسط كان عددهم (20) وبنسبة مئوية (44.4%) ، والذين حصلوا على مستوى مقبول كان عددهم (6) وبنسبة مئوية (13.3) ، أما الذين حصلوا على مستوى ضعيف كان عددهم (4) وبنسبة مئوية (8.8 %) من المجموع.

ويعزو الباحثان سبب وجود هذه المستويات المتباينة إلى أن الإداريين يتمتعون بسمات معينة تجعلهم قادرين على معايشة الظروف المتباينة للأندية مع عمليات التغيير المستمر فيها يكونون قادرين على التعامل معها من خلال مواجهة المواقف الصعبة وكيفية معالجتها وتظافر الجهود فيما بين الإداريين وتحمل المسؤولية وتوفير كافة الظروف والأجواء للعمل الإداري بما فيها توفير الأجهزة الملائمة للعمل بما يضمن نجاح الأداء الإداري. وهذا مايؤكده محمود داود الربيعي (2010، 37) الإدارة الناجحة هي القدرة على مواجهة الأمور وتحديد المشكلات والأسراع بدراستها ومعالجتها بالتعاون مع الآخرين والذي يعد من أركان العمل الإداري وذلك بالالتزام والاحترام والشعور بالمسؤولية وحب العمل وحسن أداء الواجب، إضافة الى توفير مستلزمات العمل الإداري الكفء .

نتائج مجال العملية التخطيطية من مقياس الأداء الأداري:

جدول (8) يبين عرض نتائج مجال العملية التخطيطية من مقياس الأداء الإداري وتحليلها ومناقشتها

المستويات الأداء الإداري ودرجات الخام	مدربي الالعاب الجماعية								متوسط النسبة للمدربى الأندية
	كرة قدم		كرة سلة		كرة طائرة		كرة يد		
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	
جيد جداً 33 . 29	2	%14	1	%8	1	% 10	0	% 0	% 8
جيد 28 . 25	4	% 29	2	% 17	2	% 20	2	% 22	% 22
متوسط 24 . 21	5	% 36	6	% 50	4	% 40	5	% 56	% 46
مقبول 20 . 16	2	%14	1	% 8	2	% 20	1	%11	% 13
ضعيف 15. فما دون	1	%7	2	% 17	1	% 10	1	% 11	% 11
المجموع	14	% 100	12	% 100	10	% 100	10	% 100	% 100

يبين الجدول (8) أن مستوى (جيد جدا) في مجال العملية التخطيطية من مقياس الأداء الأداري للإداريين ومن وجهة نظر المدربين تحدد بين (33 . 29) ومستوى جيد بين (28 . 25)

ومستوى متوسط بين (24 . 21) والمستوى مقبول تحدد من (20 . 16) والمستوى الضعيف (15 . فما دون) ويتبين لنا أيضا أن الإداريين الذين حصلوا على مستوى جيد جداً ومن وجهة نظر المدربين هم (4) وبنسبة مئوية (8.88 %) ، أما بالنسبة للمستوى جيد فأن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين (10) وبنسبة مئوية (22.22%) ، ويبين أيضا المستوى متوسط أن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين (20) وبنسبة مئوية مقدارها (44.44 %) أما بالنسبة للمستوى مقبول فإن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين عددهم (6) وبنسبة مئوية مقدارها %) (13.33، أما بالنسبة للمستوى ضعيف فإن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين هم (5) وبنسبة مئوية (11.11%).

ويعزو الباحثان سبب وجود هذا التباين في المستويات إلى أن الأداريين يختلفون في كيفية التعامل مع العملية التخطيطية وتحديد الأهداف وكيفية تحقيقها من خلال الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة من خلال الكلفة والمجهود والوقت وتحديد الموارد البشرية والمادية (كما ونوعا) واتخاذ القرارات المهمة من خلال حجم وخطورة المشكلات الموجودة حسب المواقف وتحديد الخطة وبدائلها حيث يتطلب تحقيق الأهداف التعاون بين جميع العاملين حيث يعد معياراً للأداء الإداري.

وهذا ما يؤكده فائق حسني أبو حليمة (2004، 40) التخطيط عبارة عن مجموعة من الأنشطة الإدارية المصممة من أجل تحضير المنظمة لمواجهة المستقبل ، والتأكد من أن القرارات الخاصة باستغلال الأفراد والموارد (الوسائل) تساعد المنظمة على تحقيق أهدافها (الغايات) .

نتائج مجال العملية التنظيمية والتنسيق من مقياس الأداء الإداري :

جدول(9) يبين نتائج مجال العملية التنظيمية والتنسيق من مقياس الأداء الإداري من وجهة نظر المدربين

المستويات الأداء الإداري ودرجات الخام	مدربي الألعاب الجماعية								متوسط النسبة للمدربى الأندية
	كرة قدم		كرة سلة		كرة طائرة		كرة يد		
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	
جيد جداً 42 . 48	2	%14	1	%8	1	% 10	0	% 0	% 8
جيد 36 . 41	3	% 22	3	% 25	2	% 20	2	% 22	% 22
متوسط 29 . 35	6	% 43	5	% 42	4	% 40	4	% 45	% 43

مقبول 23 . 28	2	%14	1	% 8	1	% 10	2	%22	% 14
ضعيف 22 . فما دون	1	%7	2	% 17	2	% 20	1	% 11	% 13
المجموع	14	% 100	12	% 100	10	% 100	9	% 100	% 100

بعد تطبيق تقييم الأداء الإداري للإداريين ومن وجهة نظر المدربين فقد حصل الباحثان على عدة مستويات لمجال العملية التنظيمية والتنسيق وكما مبين من الجدول (9) أن مستوى (جيد جداً) في مجال يتراوح مابين (48 . 42)،ومستوى جيد بين (41 . 36) ومستوى متوسط من (35 . 29) والمستوى مقبول تحد من (28 . 23) والمستوى الضعيف (22 . فما دون).

كما يبين الأعداد والنسب المئوية إذ إن الإداريين الذين بلغوا مستوى جيد جداً ومن وجهة نظر المدربين كانوا (4) وبنسبة مئوية (8.88 %) ، أما بالنسبة للمستوى جيد فإن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين (10) فهم يشكلون بذلك نسبة مئوية %) (22.22، والذين حصلوا على المستوى متوسط ومن وجهة نظر المدربين كان عددهم (19) وبنسبة مئوية مقدارها (42.22 %) ، أما بالنسبة للمستوى مقبول فإن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين عددهم(6) وبنسبة مئوية مقدارها (13.33%) ، أما بالنسبة للمستوى ضعيف فإن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين عددهم (6) وبنسبة مئوية(13.33%).

ويعزو الباحثان سبب حصول الإداريين من وجهة نظر المدربين على هذه المستويات المتباينة في مقياس الأداء الإداري إلى أن اهتمام الإداريين بمبادئ التنظيم وقواعد التنسيق مراعاتها واعتبارها أساساً يعتمد عليه في عملهم خصوصاً مبدأ تقسيم العمل وتوزيع المهام فيما بينهم والذي يعد المبدأ الأبرز في مجال العمل الإداري كأداريين يتعاملون مع أفراد متعددين لهم قابليات مختلفة ومتباينة وأفكار متنوعة ، الأمر الذي يحتاج من الإداريين امتلاك الكيفية التي تمكنهم من التعامل مع مختلف الشخصيات التي يقودوها وجميع ذلك يتطلب إمكانية تنظيمية تسهم في تحقيق الأهداف المشتركة الرئيسية للأندية الرياضية وارتباطها المباشر مع التنسيق. وهذا ما يؤكده عبد الحميد شرف (1997، 24) لإتمام عملية الإدارة في أي منشأة رياضية يجب تحقيق عنصر التنظيم ولكي يتحقق عنصر التنظيم يجب أولاً إنشاء هيكل تنظيمي بحيث يراعى فيه تقسيم الأعمال وتصنيفها بالأسلوب الذي يحقق أهداف هذه المنشأة الرياضية ويراعى أيضا أن يتم تقسيم الأعمال على أفراد الهيأة الرياضية بطريقة تضمن كفاءة التنفيذ والإشراف . ويذكر أيضا مروان عبد المجيد (2000,78) أن التنظيم يحقق التنسيق بين مختلف الجهود الجماعية وهو بهذا يقلل من التفاوض والاحتكاك بقصد تحقيق الأهداف التي من أجلها أنشئ التنظيم.

نتائج مجال التوجيه والرقابة من مقياس الأداء الإداري:

جدول (10) يبين عرض نتائج مجال التوجيه والرقابة من مقياس الأداء الإداري وتحليلها ومناقشتها

المستويات الأداء الإداري ودرجات الخام	المدربون								متوسط النسبة للمدربى الأندية
	كرة قدم		كرة سلة		كرة طائرة		كرة يد		
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	
جيد جداً 27 . 30	1	%7	1	%8	1	% 10	0	% 0	% 6
جيد 23 . 26	3	% 21	2	% 17	2	% 20	1	% 11	% 17
متوسط 19 . 22	5	% 36	6	% 50	4	% 40	5	% 56	% 46
مقبول 15 . 18	3	%21	1	% 8	1	% 10	2	%22	% 15
ضعيف 14 . فما دون	2	%15	2	% 17	2	% 20	1	% 11	% 16
المجموع	14	% 100	12	% 100	10	% 100	9	% 100	% 100

من الجدول (10) يتبين أن مستوى (جيد جدا) في مجال التوجيه والرقابة قد بلغ (30 . 27)، ومستوى جيد بين (26 . 23) ومستوى متوسط (22 . 19) والمستوى المقبول تحدد من (18 . 15) والمستوى ضعيف والمستوى مقبول تحدد من (23 – 18) ومستوى متوسط من 22 إلي 26 والمستوى ضعيف (14. فما دون)، و يبين أيضا الأعداد والنسب المئوية لها وذلك حسب مستويات المجال ويتبين من خلال ذلك أن الإداريين الذين بلغوا مستوى جيد جدا ومن وجهة نظر المدربين كانوا (3) وبنسبة مئوية(7 %) ، أما بالنسبة للمستوى جيد فإن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين (8) فهم يشكلون بذلك نسبة مئوية (18%) ، والذين حصلوا على المستوى متوسط ومن وجهة نظر المدربين كان عددهم (20) وبنسبة مئوية مقدارها (44 %) ، أما بالنسبة للمستوى مقبول فإن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين عددهم (7) وبنسبة مئوية مقدارها (16%) ، أما بالنسبة للمستوى ضعيف فإن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين هم (7 %) .وبنسبة مئوية(16%) ويتبين بأن

النسبة الأكبر هي من المستوى متوسط فما فوق حيث يبلغ عددهم (31) وتبلغ نسبتها المئوية (69%).

ويعزو الباحثان سبب وجود المستويات المتباينة لمجال التوجيه والرقابة إلى أن هؤلاء الإداريين بهذا المجال كونه يمثل الدعامة الرئيسية التي يعتمدها الإداري في طبيعة عمله وكذلك الأسلوب الناجح الذي يتخذه الإداري في عمليتي التوجيه والرقابة لما لها من الأثر البالغ على نفسية العاملين ومن شأنه أن يؤدي العمل الإداري الى أعلى المستويات وذلك لأن هذا المجال حساس جداً ويحتاج من الإداري أسلوباً خاصاً يتعامل به لكي لا يفسر العاملين تصرفات هؤلاء الإداريين تفسيرات خاطئة مما يؤثر على العملية النهائية وهي النتائج.

وكذلك الاستخدام الأحسن للوسائل العلمية الذي يجعل الأمر مقبولاً من قبل العاملين مع المدرب واللاعب (مما يسهل عمل الإداري ويعطي النتائج الصحيحة للوصول إلى الأهداف وهذا ما يؤكده طارق عبد الحميد البدري (2001، 46) أن وظيفة الرقابة ضرورية وحتمية لنجاح المنظمة ، والرقابة كعنصر من عناصر الإدارة هي مقياس تصحيح أداء المرؤوسين ، وعن طريقها نعرف أن أهداف المنظمة والخطط الموضوعة لبلوغها قد تحققه.

نتائج مجال الاتصال واتخاذ القرار من مقياس الأداء الإداري:

جدول(11) يبين فقرات مجال الاتصال واتحاذ القرار من مقياس الأداء الإداري من وجهة نظر المدربين

المستويات الأداء الإداري ودرجات الخام	المدربون								متوسط النسبة للمدربى الأندية
	كرة قدم		كرة سلة		كرة طائرة		كرة يد		
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	
جيد جداً 34 . 39	2	%14	1	%8	1	% 10	0	% 0	% 8
جيد 29 . 33	4	% 29	3	% 25	2	% 20	2	% 22	% 24
متوسط 23 . 28	6	% 43	5	% 42	4	% 40	5	% 56	% 45
مقبول 18 . 22	1	%7	2	% 17	2	% 20	1	%11	% 14
ضعيف 17 . فما دون	1	%7	1	% 8	1	% 10	1	% 11	% 9

المجموع	14	% 100	12	% 100	10	% 100	9	% 100	% 100

يتبين لنا من الجدول(11) أن نتائج مجال الاتصال واتخاذ القرار من تقييم أداء الإداريين ومن وجهة نظر المدربين فقد حصل الباحثان على عدة مستويات متباينة حيث إن مستوى (جيد جدا) في مجال يتراوح ما بين (39 .34) ومستوى جيد بين (33 . 29) ومستوى متوسط من (28 . 23) والمستوى مقبول تحدد من (22 . 18) والمستوى ضعيف (17 . فما فوق) .

و يتبين لنا أيضا الأعداد والنسب المئوية لها للذين بلغوا مستوى جيد جداً ومن وجهة نظر المدربين كانوا (4) وبنسبة مئوية (% 8.88 %) ، أما بالنسبة للمستوى جيد فإن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين (11) فهم يشكلون بذلك نسبة مئوية (24.44 %) ، والذين حصلوا على المستوى متوسط ومن وجهة نظر المدربين كان عددهم (20) وبنسبة مئوية مقداره (44.44%) ، أما بالنسبة للمستوى مقبول فإن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين عددهم (6) وبنسبة مئوية مقدارها (13.33%) ، أما بالنسبة للمستوى ضعيف فإن الإداريين الذين حصلوا على هذا المستوى ومن وجهة نظر المدربين هم (4) وبنسبة مئوية (8.88%) كما ويبين أن النسبة الأكبر هي من المستوى متوسط فما فوق حيث كان عددهم (35) وبنسبة مئوية مقداره (78%)

ويعزو الباحثان سبب ظهور المستويات المتباينة في مجال الاتصال واتخاذ القرار إلى أن هؤلاء الإداريين تعاملوا مع اتخاذ القرار تعاملا منطقياً بعيداً عن الأهواء الشخصية والاجتهادات والمجاملات البعيدة عن الموضوعية بحيث أصبح واضحاً في قرارتهم أن الموضوعية هي المعيار الأساسي في اتخاذ أي قرار ويعد هذا الأمر عملاً مهماً وأساسياً لنجاح موضوع اتخاذ القرار وحسمه وعندما ينجح الإداري في اتخاذ قرارته يضمن أن الأداء الإداري يسير وفق المعايير العلمية وبخلاف ذلك فإن أي قرار يصدر بدون دارسة مسبقة ومعمقة ويعتمد على آراء غير ناضجة فسوف يكون قراراً غير صائب وسيؤدي بالعملية الإدارية إلى الفشل.

ويشير إلى ذلك بشير العلاق (1998، 70) لضمان أقصى قدر ممكن من النجاح في اتخاذ القرارات الرشيدة هو ترشيد القرار إلى أقصى حد ممكن بعيدا عن الحكم والاجتهادات والتصورات الشخصية ويؤكد عقيل الكاتب وآخرون (1996، 26) أن اتخاذ القرار هو أساس الإدارة وقلبها" أما بالنسبة للاتصال فإن الباحث يدرك أن مهارات الاتصال تبنى على المستوى الإداري الذي يمتلك الإداري وعليه يتطلب هنا من الإداري أن يكون على مستوى من التحصيل إذ يجب عليه أن يفسر ويحلل ويقيم المعلومات المراد إيصالها إلى الأفراد المرؤوسين وينتقي الأسلوب أو المهارة المناسبين ، إذ نرى أن محتوى المعلومات تتكون من الفكرة التي يحملها الإداري ومن ثم التعبير ، أي أن الإداري يرغب في إيصال المعلومات للأفراد و المرؤوسين من كفاءة الأداء الإداري.

ويشير إلى ذلك كمال الدين عبد الرحمن ومحمد صبحي حسنين "(153,2004) أن الأداري الرياضي الناجح يجب أن يبحث عن الطرق التي تكفل النهوض بالإفصاح عن الذات سواء في السياق الذي يتضمن مواجهات شخصية أم سياق تنظيمي.

الاستنتاجات والتوصيات

اولا الاستنتاجات :

1- ظهور مستويات متعددة في مقياس الأداء الإداري للأداريين من وجهة نظر المدربين.

2- طبقا للنتائج التي تم الوصول اليها من خلال تطبيق مقياس الأداء الإداري للإداريين وبمجالاته المختلفة يتضح أن أغلب الإداريين وقعوا في المستوى متوسط فما فوق.

3- أن أقل من 25 % من الإداريين للأندية الرياضية كانوا في المستويين مقبول وضعيف .

ثانيا التوصيات :

1-توفير كافة الأدوات والمستلزمات والوسائل والأجهزة التي يحتاج إليها الإداري لغرض إنجاز العملية الإدارية وإنجاحها .

2-توفير الجانب المادي للإداريين والذي يتناسب وحجم المهمة التي يقوم بها.

3-العمل على تطوير الأداء الإداري للإداريين من خلال إقامة دورات تطويرية ودورات الصقل بشكل

مستمر إضافة إلى السفر للاطلاع على الخبرات الموجودة في العالم والتي تخص هذا المجال.

4-ضرورة الاطلاع المستمر من قبل إداريي الأندية على فقرات المجالات الرئيسية في المقياس للاستفادة منها في العمل الإداري.

5-وضع معايير مقننة لاختيار للإداريين في الأندية الرياضية تكون مبنية على أسس علمية تنسجم الحاصل في العملية الإدارية.

المراجع المستخدمة في البحث

أولاً : المراجع العربية :

1. أحمد آدم أحمد ،دور تكنولوجيا المعلومات فى تحسين الأداء الإدارة الرياضية فى بعض المؤسسات الحكومية والأهلية بالسودان ، بحث غير منشور ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، كلية التربية البدنية و الرياضية ، 2012 م .
2. بشير العلاق، مبادئ الإدارة ،ط1 ،عمان،دار اليازوري،1999 .
3. بندر بن محمد عبد القادر مغربي ، تقويم العمل الإداري بالأندية الرياضية السعودية في ضوء متطلبات إدارة الجودة الشاملة ،رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التربية البدنية ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2013 .
4. سلطان محمود عرفات ، الإدارة والتنظيم فى التربية الرياضية ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، 2013 .
5. طارق عبد الحميد البدري :الأساليب القيادية والإدارية في المؤسسات التعليمية ،ط1 ، عمان ، دار الفكر ،2001 .
6. عبد الحميد شرف ، الإدارة في التربية الرياضية بين النظرية والتطبيق ، القاهرة ، مركز الكتاب للنشر،1999 .
7. عبد الرحمن الصباح ،الرقابة الإدارية ، عمان ، دار زهران للنشر والتوزيع ، 2011 .
8. عقيل عبد الله الكاتب وآخرون : الإدارة والتنظيم في التربية الرياضية ، لكليات التربية الرياضية في العراق، جامعة الموصل ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ،1986 .
9. فائق حسني أبو حليمة ، الحديث في الأدارة الرياضية ، عمان ، دار وائل للنشر والتوزيع ، 2004
10. فايز حسين ، سيكولوجية الإدارة العامة ، ايتراك للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2008 .
11. قيس النوري ، السلوك الإدارية وخلفياته الاجتماعية ، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد، الاردن ، 1999.
12. كمال الدين عبد الرحمن ومحمد صبحي حسنين : التسويق والاتصالات الحديثة وديناميكية الأداء البشري في أدارة الرياضة، ط1 ، القاهرة ، دار الفكر العربي، 2004 .
13. محمود داود الربيعي ، تصورات مستقبلية لإدارة العمل الرياضي ، بحث غير منشور،مجلة علوم التربية الرياضية – جامعة بابل، العدد الثالث،المجلدالخامس، 2006 .
14. مروان عبد المجيد : الإدارة والتنظيم في التربية الرياضية ، ط1 ، عمان ، دار الفكر للطباعة والنشر ،2000 .
15. مهدى زويلف ، الرقابة الإدارية ، (منظور كمى) ، الكويت ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ،1996 .
16. وليد خالد همام النعمة ، الأداء التنظيمي للمنظمات الرياضية في محافظة نينوى ، بحث منشور ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11 ، العدد2 ، كلية التربية الأساسية ، قسم التربية البدنية ، جامعة الموصل ، 2004 .

ثانياً المراجع الأجنبية:

17. Salih, S. Les Carriers dans to profession bancaires, These Doctrat, University Rennes, France (1986).

عنوان البحث : آراء العلماء – قدماء ومحدثين – في عملية التعريب

إعداد

الدكتور/ إبراهيم أحمد سلّام الشيخ عيد

Prepared by:

Dr. Ibraheem Ahmed Sallam Al Sheikhed

أستاذ النحو والصرف المشارك

البريد الإلكتروني : alsheikhed@hotmail.com

قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الأقصى – غزة– فلسطين

1437هـ– 2016م

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ "**آراء العلماء – قدماء ومحدثين– في عملية التعريب**" ، بالدراسة والتحليل قضية التعريب إلى اللغة العربية من اللغات الأخرى ، وهي من القضايا التي شغلت أذهان العلماء والمفكرين ، وقد وجدت منذ العصر الجاهليّ في بعض الألفاظ غير العربية التي وجدت فيه ، وانتشرت الألفاظ الدخيلة في المجتمع المدني أكثر منه في البوادي ؛ لتمسّكهم بسليقتهم ، وبمجيء الإسلام عرّب العلماءُ بعض الألفاظ لتوافقَ لغتَهم ؛ إما بتغيير وزنها وإمّا حروفها ، واختلف التعريب عندهم من تعريب اللفظ وتعريب النصّ ، وأصدرت مجامعُ اللغة العربية قراراتٍ حول التعريب ، ومنهم من نادى بتعريب التعليم بأشكاله ، ورأَوا أنه يدور حول الأستاذ والطالب والكتاب ، وقد وجد التعريب عند القدماء والمحدثين.

Abstract

This research is marked by :"**The viewpoints of the scientists –older modern in the Arabization**" by studying and analysis of the issue of localization into Arabic form other languages of the issues that occupied the minds of scholars and intellectuals , and it has existed since the pre-Islamic era in some words of non-Arab , and spread words exotic in civil society rather than in deserts ; because their adherence innate , and by the coming of Islam Arabs scientists some words to agree their language ; either change the weight or the alphabet , and differed localization have of Arabization pronunciation and localize the text , and Arabic language academies issued decisions about localization , and some of them called Arabization education forms , and saw that it revolves around the teacher, student and the book , The localization found at ancient and modern .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلام على خاتم النبيّين ، النبيّ الأمّيّ ، والرسول العربيّ ، أفصحِ العرب لساناً ، وأعظمهم بياناً ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغرِّ المحجَّلين ، وبعد:

فقضية التعريب من القضايا التي شغلت العلماء ، وتعددت فيها الآراء والمواقف ؛ بل تعارضت في بعض الأحيان ، واختلفت تحديداتها على مرّ العصور باختلاف الزمان والمكان ، فمدلولاتها عند اللُّغويّين القدامى تختلف عن مدلولها عند المحدثين ، وهو عند المشارقة غيره عند المغاربة ، وقد اختلف قبلهم في تعريفها اللُّغويّون الأوّلون ، وإن اختلف علماؤنا المحدثون حول مفهوم التعريب إلا أنهم أجمعوا على الحاجة إليه ؛ لكن وفقاً لضوابطَ وقوانين وأنظمةٍ معيّنة ، فهم متفقون على أنه لا ينبغي إطلاقه إطلاقاً عامّاً دون قيد ، وحدّ هذا القيد –بوجه عام– هو عدم وجود ما يرادفه من المصطلح القديم .

سأتحدث عن أهمية التعريب في توسيع اللغة العربية ؛ ممهّداً لذلك بالألفاظ المعربة في الجاهلية وصدر الإسلام.

إن الناظر في الأدب الجاهليّ يلحظُ أن هناك ألفاظاً غير عربية في أصلها ، عرّبتها العرب في جاهليتها ، لكن هذه الألفاظ الدخيلة على اللفظ العربي بقيت قليلة محدودة.

والألفاظ الدخيلة التي انتشرت في المجتمع المدنيّ أكثر منه في البوادي ، ولعل ذلك راجع إلى سببين:

1- انغلاقهم على أنفسهم.

2- اعتدادهم بأنفسهم وبلغتهم.

ولما جاء الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وتعددت الأجناس والألسنة ، واتصلت الثقافة العربية بغيرها من ثقافات العلوم الأخرى ، دخلت كثير من الألفاظ الأعجمية إلى العربية فعرّبها العلماء لتوافِق لغتهم ؛ إما بتغيير وزنها وإمّا حروفها ، وكان جُلّ هذه الألفاظ في أسماء الأدوية والمدن والألبسة والأطعمة والنبات والحيوان وشؤون الحياة والوظائف الإدارية.

الدراسات السابقة:

1- التعريب في الوطن العربي : مجلة التعريب ، العدد الأوّل ، دمشق ، 1991م.

2- التقريب لأصول التعريب : الشيخ طاهر الجزائري ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، (د. ت).

3- تعريب التعليم العالي : محمود إبراهيم ، عمّان ، دار آفاق للنشر ، 1994م.

أهمية البحث : تكمن أهمية البحث في كونها تتناول موضوعاً له أهمية في تناول قضية التعريب عند العرب ، وقد تفتح هذه الدراسة آفاقاً جديدة أمام الدارسين للكشف عن حقائقَ أخرى للتعريب.

حدود الدراسة : اقتصرتِ الدراسة على دلالة قضية التعريب في اللغة العربية وإثرائها للغة بوجود ألفاظ غير عربية فيها.

منهج الدراسة : اتبع الباحث المنهج الوصفيَّ الذي يدرس الظواهرَ اللُّغويّة.

خطوات الدراسة : يسعى الباحث إلى دراسة قضية التعريب في اللغة العربية من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأوّل : جماليات التعريب عند العرب.

المبحث الثاني : الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث : مقارنة بين مصطلحات الأعجمي : (المولّد ، والدخيل ، والمعرب) .

وتليها خاتمة وتوصيات وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأوّل– جماليات التعريب عند العرب : تظهر جماليّات التعريب في النقاط الآتية:

– المساهمة في إثراء اللغة العربية في ميادين المصطلحات والرموز والمعاجم المتخصصة.

– إثراء المكتبة العربية بالكتب العلمية المؤلفة في اللغة العربية.

– ربط التراث العلمي العربي بالحاضر ، وإنهاء القطيعة بينهما.

– تنمية روح الإبداع والتأليف لدى الطالب منذ تلقيه العلم.

– تدريس المواد العلمية باللغة العربية يحفز بصورة تلقائية المدرس ، والمترجم على ترجمة هذه المواد باللغة العربية ، الأمر الذي يدفعه إلى الأمام ، وإلى دعم تجربته وممارسة الترجمة .

وهناك أهمية لُغوية أخرى للتعريب ، وهي الخوض في ألفاظ تردُّ إلى لغات أجنبية ، مردّها اللغة العربية ، وهذا يفتح ويسهم في إثراء الدراسات اللُّغويّة المقارنة ؛ فقد تنبّه الدارسون والباحثون على كثير من الألفاظ المشكوك فيها ، وفي معرفة ألفاظ ومصطلحات غربية ، هي في الأصل عربية ، مثل : مصطلحات المعادن ، وألفاظ أثبتها علماء عرب ، بعد أن شكّك علماء الغرب بأصلها ، وردّوها إلى أصولها العربية ، فمكنت الدارسين من الوقوف أمام الألفاظ الدخيلة ، التي لا تتناسب وذوق اللفظ العربي (عبد الله عبد العزيز ، 1975م : 105).

وكانت طريقة العرب في نقل الألفاظ الأجنبية أو التعريب تقوم على أمرين:

1– تغيير حروف اللفظ الدخيل ، وذلك بنقص بعض الحروف أو زيادتها أو إبدال حرف عربيّ بالحرف الأعجمي.

2– تغيير الوزن والبناء حتى يوافق أوزان العربية ويناسب أبنيتها ؛ فيزيدون في حروفه أو ينقصون ، ويغيرون مدوده ؛ مراعين بذلك سنن العربية الصوتية ؛ كمنع الابتداء بساكن ، ومنع الوقوف على متحرك ، ومنع توالي ساكنَين... إلخ (شاهين ، د.ت : 337–338).

المقاييس الفنيّة للفظ الأعجمي : استخدم القدماء مقاييسَ فنيةً من خلالها يستطيعون الحكم على أعجمية اللفظ ، ومن هذه المقاييس التي تعرف عجمة الاسم بها:

1– النقل ؛ بأن ينقل ذلك أحد أئمة العربية.

2- خروجه عن أوزان الأسماء العربية ، نحو : (إبريسيم) ؛ فإن مثل هذا الوزن مفقود في بنية الأسماء في اللسان العربي (السيوطي ، 1998م : 1/ 270).

3- قال الخليل : فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذّلق أو الشفوية ، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف واحد أو اثنان أو فوق ذلك ؛ فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة (الفراهيدي ، 1989م : 1/ 52).

4- لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، وكل كلمة تجتمع فيها ؛ فإنها معربة ، مثل : (الجوق).

5- وكذلك الصاد والجيم مثال : (الجص) (الجواليقي ، د.ت : 11-12).

6- أن يكون آخره زاي بعد دال ، نحو : (مهندز) ؛ فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية (السيوطي ، 1998 : 270/1).

7- لا تقع نون بعدها راء في اللفظ العربي ، مثل : (نرجس).

8- لا تكون الطاء مع الجيم، لذلك عُدَّت كلمة (الطاجن) أعجمية (أنيس ، 1978م : 127).

9- لا تجمع السين والذال في كلمة من كلام العرب ، نحو : (الاسفيذاج).

10- لا تجمع الطاء والتاء في كلمة من كلام العرب.

11- لا تجتمع الباء والسين والتاء في كلمة عربية، قال الجواليقي : لم يحكِ أحدٌ من الثقات كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء.

12- قال الخليل بن أحمد : أُهمِلت السين مع الزاي في كلام العرب (الجواليقي ، د.ت : 22-23).

13- ليس في كلام العرب وزن فعلان كخرسان ، وليس في كلامهم وزن فاعيل كقابيل (محمد عيد ، 1980م : 12).

14- ليس في كلامهم وزن (فعاويل) كسراويل.

15- وأن وزن فاعيل ، مثل : آمين غير عربي، وأن العرب لا تعرف في لغتها وزن فعلل إلا في كلمة درهم وبعض كلمات أخرى (أنيس ، 1978م : 127).

16- ليس في العربية فاعل بضم العين ، مثل : آنك، برامج .

17- ليس في العربية فعالل ، نحو : سرادق وجوالق .

18- لا يوجد في العربية فعلل ، نحو : نرجس ، وغير ذلك فهو مصنوع (الجواليقي ، د.ت : 25)

19- أن يجر بالفتحة عوضاً عن الكسرة (السيوطي ، 1998م : 213/1 وما بعدها).

أما المقاييس التي عدّها العرب ناقلة اللفظ الأعجمي إلى اللفظ العربي ؛ فهي:

1–إلحاقه بأبنية العرب.

قال سيبويه : اعلم أنهم مما يعيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتة ، فربّما ألحقوه بأبنية كلامهم ، وربما لم يلحقوه ، فأما الذي ألحقوه ببناء كلامهم فنراهم ألحقوه ببناء هجرع ، وبهرج ألحقوه بسلهب (سيبويه ، 1988م : 303/4 ، ومحمد عيد ، 1980م : 119–120).

ثم عاد سيبويه يقول : وربما تركوا الاسم على حاله ، إذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم ، أو لم يكن ، نحو : خرسان وخرم والكركم (سيبويه ، 1988م : 303/4 ، ومحمد عيد ، 1980م : 120).

2– أن يعرب الأعجمي بتحريك آخره.

3– أن تدخل على الأعجمي الألف واللام.

4– الاشتقاق من الأعجمي يجعله عربيّاً (شاهين ، د.ت : 337–338).

أما دليلهم على معرفة الدخيل فهو أحد ثلاثة طرق:

1– فقدان الصلة بينه وبين إحدى مواد الألفاظ العربية ، مثل : بستان ، ليس في العربية مادة بست.

2– أن يجتمع فيه من الحروف ما لا يجتمع في الكلمة العربية ، وإلا فهي معربة ، مثل : الجيم والقاف في جوسق (القصر الصغير) والجوق (الجماعة من الناس) ، وكذلك الصاد والجيم ، مثل : الجصّ –بفتح الجيم وكسرها– وتعني (ما يطلى به البيوت من الكلس) وصولجان وهي (عصا معقوفة الرأس) ، وكذلك لا يجتمع الطاء والجيم ، مثل : الطاجن ؛ أي (المِقلَى) ؛ فإنها كلمة أعجمية.

3– أن تكون على وزن ليس في العربية ، نحو : إبْرِيْسَم : وهو(الحرير الخام) (أحسن الحرير) وهي فارسية ، وزنه افعِيْل.

– التعريب بين القدماء والمحدثين:

من المعلوم أن اللغات تقترض من بعضها بعض الألفاظ والتراكيب ، وهذه الظاهرة عرفت بين اللغويين بظاهرة الاقتراض اللُّغوي (أنيس ، 1978م : 124) ، ومنهم من أطلق عليها استعارة الألفاظ ، وليس غريباً أن تسلك اللغة العربية مسلك غيرها من اللغات بحيث تعير وتستعير ؛ فالعربية من أوسع اللغات لساناً وأعظمها بيانيّاً مع هذا ؛ فإنها استعارت ألفاظاً أجنبية كثيرة من دون أن يرى علماؤنا القدماء في هذا الأمر غضاضة أو ضرراً ؛ بل إن بعضهم أجاز وقوع الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم ، ومن ذلك قول ابن دريد في لفظ القسطاس : إنه الميزان بالرومية ، إلا أن العرب قد تكلمت به وجاء في التنزيل (ابن دريد ، 1987م : 345).

وقول ابن عطية : إن العرب كانوا على الاتّصال بالأمم الأخرى فعلقت بهم بعض الألفاظ الأعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخطيف العجمة ، واستعملتها في

أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصريح ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن فإن جهلها العربي كجهله الصريح بما وقع في لغة غيره (الرازي ، 1957م : 276).

ويبدو أن الهمذاني تأثر فيما ذهب إليه في أصل كلمة "الله" ورده إلى اللغات السامية بقول آرثر جفري : "وقد أجمع علماء الغرب على أن مصدر هذه الكلمة موجود في أحد الأديان الأقدم في المنطقة السامية".(آرثر جفري ، 1938م : 84).

ومن ذلك قول ابن النقيب : القرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه للغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير (السيوطي ، 1974م : 1/ 268).

ومن المحدثين الذين ذهبوا إلى ذلك عبد القادر المغربي قال : "إن احتواء القرآن شيئاً من الكلمات الأعجمية المعرّبة لا يخرجه عن العروبة ، ولا ينزع عنه لباس الفصاحة لأن مولى القوم منهم ، ولأن سلمان الفارسي قد أصبح –بعد إسلامه– واحداً من آل بيت رسول الله –ﷺ– (المغربي ، 1980م : 48).

وقد استخدم العلماء مصطلحات للدلالة على الألفاظ الأعجمية أو المعربة ؛ فتارة يقولون الألفاظ الأعجمية ، ومرة الألفاظ المعربة ، وأخرى الألفاظ الدخيلة وأخرى الألفاظ المولّدة (السيوطي ، 1998م:22 ، والسيوطي ، 1974 : 268/1 ، والأنطاكي ، د.ت : 349).

وتسمّي العربُ اللفظَ الأعجميَّ الذي أدخلتْه في لغتها مُعرّباً ، ويقال فيه : عربته العرب وأعربتْه.

والتعريب لغة : صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية.

أما اصطلاحاً فهو : نقل اللفظ الأعجميّ إلى العربية ، وليس لازماً فيه أن تتفوّه به العرب على منهاجها ، كما قال الجوهريّ ، فما أمكن حملْه على نظيره حملوه عليه ، وربّما لم يحملوه على نظيره بل تكلموا به كما تلقّوه ، وقالوا : أعرب الأعجميُّ وتعرّب واستعرب ، إذا فُهم كلامُه بالعربية ، ويتفق في ذلك اللُّغويّون على أن العلم الأعجمي ليس بمعرّب ، بل يقال فيه أعجمي كما يقول الفيومي (ابن منظور ، د.ت : 2865/4).

استعمل التعريب بمعناه الاصطلاحي لأربعة معانٍ رئيسة ، ويمكن توضيحها فيما يلي:

أوّلاً– التعريب هو نقل الكلمة الأجنبية ومعناها إلى اللغة العربية ، سواء تم هذا النقل دون تغيير في الكلمة أو تم بعد إجراء تغيير وتعديل عليها.

فإذا تم النقل دون تغيير سُمّي (دخيلاً) ، وإذا وقع عليه التغيير سُمّي (مُعرّباً).

ثانياً– التعريب : بمعنى الترجمة ، حيث أخذ التعريب في العصر العباسي والحديث مفهوماً آخر ؛ وهو نقل فكرة أو مفهوم من لغة إلى أخرى ، أو نقل معنى نصّ من لغة أجنبية إلى اللغة العربية ، وبهذا يكون التعريب مرادفاً للفظ (الترجمة).

ثالثاً– التعريب : هو استخدام اللغة العربية لغة للإدارة في مختلف فروع المعرفة ، كلاماً وكتابة ودراسة وتدريساً وترجمةً وتأليفاً.

رابعاً– التعريب : هو اتخاذ قُطر بأكمله اللغة العربية لغة حضارية له ؛ أي تصبح لغة التخاطب والكتابة السائدة فيه ، ممثّلةً للثقافة العربية الإسلامية.

"إن منهج العرب في التعريب يؤذن بأنهم كانوا حريصين أشدّ الحرص على تذويب المعرّب في لغتهم ، وصبغه بصبغتهما ، وطبعه بطابع أساليبها ، وصياغة كلماتها إذا ما اضطروا إلى الاقتراض اللُّغويّ ، وهو أمر واقع لا ريب فيه ، ويرجع ذلك إلى عاملين رئيسين : عامل الاتصال والاختلاط بالأعاجم ، وعامل الحاجة إلى أخذ أشياء غير معروفة في المجتمع العربي ، فتدخل العربية بأسمائها الأعجمية ، فإذا انقضى زمن عليها تدخل ضمن اللسان العربي حتى يتخيل إلى من لا يعرف أصلها أنها عربية الأصل" (مجلة مجمع اللغة العربية ، 1999م : 3).

"هذا هو منهج القرآن الكريم في التعريب ، حتى أنكر كثير من العلماء أن فيه شيئاً منه (الشافعي ، 1979م : 41–42 ، وأبو عبيدة ، 1390هـ : 17 ، والجواليقي ، د.ت : ص4 المقدمة). وقد ذهب بعض الصحابة والتابعين إلى وجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم (السيوطي ، 1974م : 127/2 وما بعدها) ، وكثير من العلماء من وَفّق بين وجهتَي النظر (ابن فارس ، 1997م : 62–63 ، وابن الجوزي ، 2001م : 82 ، والمغربي ، 1980 : 14). ومن ذلك قول ابن سلّام : "وكلاهما مصيب –إن شاء الله– ، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل ، فقال أولئك على الأصل ، ثم لفظت به العرب على ألسنتها فعربته فصار عربيّاً بتعريبها إياه فهي عربية في هذا الحال (الجواليقي ، د.ت : 53).

وقول ابن فارس : إن هذه الحروف وأصولَها عجميةٌ ، كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ المعجم إلى ألفاظها فصارت عربيةً ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال عجمية فهو صادق" (ابن فارس ، 1997م : 62– 63).

ويرى الباحث أن منهج ابن فارس وغيره من العلماء أحقّ أن يتّبع هذا المنهج الذي تعامل مع تعريب اللفظة على مرحلتين ؛ فهي عجمية في أصلها عربية في استعمالها ، وهذا يتماشى مع نظرة العلوم الحديثة التي تسعى إلى تعريب الألفاظ الأعجمية والاستفادة منها بعد أن يقوم المعرِّبون بتعريبها ؛ وفقاً لثقافتنا العربية وتماشياً مع سلوكنا الحضاري ؛ لأن التعريب إذا لم يخضع لضوابط فقد يؤدي إلى تغيير في سلوكنا المعيش.

وذكر الجوهريّ : "التعريب هو أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نهجها" (الجوهري ، 1984م : 179/1).

وعرفه السيوطي بقوله : هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتنا" (السيوطي ، 1998م : 268/1).

أما سيبويهِ ؛ فذهب إلى أن التعريب : "أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية مطلقاً ، فهم تارة يلحقونها بأبنية كلامهم ، وطوراً لا يلحقونها بها" (سيبويه ، 1988م : 303/4).

فإذا سرنا على منهج الجوهري ينبغي أن نقول في تعريب كلمة pasteurisation مثلاً (البسترة) ، مثلما فعل مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وأن نقول في تعريب كلمة appertisatio (الأبرته) سيراً على المنهج المذكور.

فلفظ appertisatio مشتق من اسم Appert العالِم الذي أوجد طريقة لتصبير المعلبات ، كما أن pasteurisation مشتق من اسم العالِم الذي اكتشف طريقة التعقيم.

فحسب الجوهري لا يسوغ لنا إلا أن نقول لتعريب هذين المصطلحين البسترة والأبرته ؛ حيث وردت الأخيرة في لغة العرب (أبَرَتْهُ : لسعتْهُ) ، ولا يجوز لنا بحال أن نقول : باستور يزاسيون وأبيرتيزا سيون.

وإذا خصّصنا القول عند المحدثين نجدهم قد استفادوا من المناهج اللسانية الحديثة في الدلالة على مصطلح التعريب ، وقَوْلبة هذا المصطلح وفقاً للعلوم الحياتية.

وعليه ، فإن مفهوم التعريب الذي أجمع عليه أخيراً المشتغلون بعملية التعريب هو إيجاد مقابل عربي للفظ أعجمي لم يكن له ، ولم يعرف له مقابل عربي من قبل.

والعلماء العرب الأوائل في ظل الفتوحات الإسلامية واتساع دولة الخلافة– كانوا مجبرين على تعريب الكثير من الألفاظ لتوافق ألسنتهم ؛ فهذا ابن جنّي يجعل المعرّب جزءاً من كلام العرب ، وينبغي أن يقاس عليه فيقول : "ما قيس على كلام العرب فهو جزء من كلام العرب" (ابن جنِّي ، د.ت : 356/1).

والمتتبع لطرائق اللغويين القدماء في تعريبهم للألفاظ يجدها في طريقتين:

أوّلاً– الطريقة الصوتية : يقول الجواليقي : اعلم أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها ؛ فيبدلون الحروف التي ليست في حروفهم إلى أقربها مخرجاً (الجواليقي ، د.ت : 54) ، وقد عدّوها من أهم الطرق التي من خلالها يتم تقريب اللفظ ، ويقصدون بها إبدال حرف بحرف ، يقول أبو عبيد القاسم بن سلام : "العرب يعربون الشين سيناً ؛ يقولون : نيسابور وهي نيشابور ، وكذلك الدشت يقولون دست ، فيبدلونها سيناً (السيوطي ، 1998م : 275/1).

ثانياً– الطريقة الصرفية : لم يشترط بعض العلماء الوزن العربيَّ في الكلمة المعربة ، ومن هؤلاء سيبويه حيث يقول : "واعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتة ، فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه ، فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدرهم ألحقوه بهجرع ، وبهرج ألحقوه بسلهب ، ودينار ألحقوه بديماس... ، وقالوا : إسحاق فألحقوه بإعصار ، ويعقوب ألحقوه بيربوع وجورب ألحقوه بفوعل. وقالوا : آجور فألحقوه بعاقول ، وقالوا شبارق فألحقوه بعذافر... وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم ، كان على بنائهم أو لم يكن نحو : خراسان وحرمٍ ، والكركم (سيبويه ، 1998م : 303/4–304).

وقال أبو حيان : الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام ؛ قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها محكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد ، والوزن حكم أبنيته الأسماء العربية الوضع ، نحو : درهم وبهرج ، وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها ، فلا يُعتبر فيه ما يُعتبر في القسم الذي قبله ، نحو : آجُرَّ وإبرَيْسَم ، وقسم تركوه غير مغير : فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعدّ منها ، وما ألحقوه بها عدّ

منها ، مثال الأوّل : خراسان ، لا يثبت به فعلان ، ومثال الثاني : خرم ألحق بسُلم ، وكركم ألحق بقمقم (السيوطي ، 1998م : 269/1–270 ، والأندلسي ، 1998م : 146/1).

وبنقسم التعريب إلى تعريب اللفظ وتعريب المعنى:

1– تعريب اللفظ : هو التفوّه باللفظة الأعجمية على منهاج العرب في النطق والوزن ، قديمًا قيل : ترياق ؛ وهو (دواء للعلاج من السموم) ، وناطور ، وسوسن وهو (نوع من فصيلة السوسنيات طيب الرائحة) ، وفردوس.

وحديثاً قيل : ترام ؛ ويعني (مركب عام يسير بالكهرباء على قضبان حديدية) وقلم ، وأكسيد... وأجازت مجامع اللغة العربية التعريب ؛ إذا عجزت الطرائق الأخرى عن توليد المصطلح ؛ فإن وافقت اللفظة الأصوات والأوزان العربية ؛فهي معربة ، وإذا لم توافق عُدّت دخيلة ، مثل : جغرافيا ، وأهليلج ؛ أي (شجرة على هيئة حب الصنوبر تنبت في الهند) وغليسرين ، وتلفزيون... إلخ. وقيل : المعرب والدخيل واحد.

2– تعريب النصّ : هو نقل النصّ من إحدى اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وهذا بمعنى الترجمة ، ويقابل هذا الضرب من التعريب التعجيم ، وهو نقل النص من العربية إلى لغة أجنبية.

وقيل : إن تعريب النص يفيد معنى إعطائه صبغة عربية ، فيكون التعريب بهذا المعنى أجود من الترجمة وأشمل ، وقيل : الترجمة هي نقل المعرفة من لغة إلى لغة ؛ فإذا كان غايتها تنمية ثقافتنا العربية لتتحاور مع الثقافات الأخرى والحضارة العالمية فهي تعريب.

لذا هناك ترابط بين المصطلح والترجمة والتعريب ترابطاً وتلازماً ، والتعريب يتحقق وينهض بهما ؛ فيمهدان الطريق للتأليف العلميّ بالعربية ، والبحث المتصف بالابتكار والإبداع.

وبهذا التلاقي المترابط والمتلازم تنمو اللغة العربية.

وإن كان هناك خلاف –أحياناً– في الطريقة التي يتم عليها هذا الإيجاد ، فهل يتم عن طريق الوضع بالاشتقاق أم المجاز أم النحت ، أم عن طريق التعريب ؛ الاقتباس بنوعيه : الصياغي والصوتي ، أو ببعث المقابل العربي من مدْفنه في بطون الكتب القديمة المتخصصة إن كان معناه معروفاً عند العرب الأوائل من قبل؟.

فنحن –مثلاً– نجعل قبالة لفظ medecin الطبيب ، أو عندما نجعل لفظ المريض قبالة لفظ Le malade ، فإننا لم نزد على أن ترجمنا هذه الألفاظ.

لكن عندما جعل مجمع اللغة العربية كلمة (سيارة) قبالة لفظ automobile فقد عرّب هذا اللفظ الأعجمّي إذا أوجد له مقابلاً عربيّاً لم يكن معروفاً بمعناه من قبل لا عند القدماء ولا عند المحدثين.

لكن عندما نستعمل نحن لفظ (سيارة) الذي اقتبسه المجمع لا نكون عرّبناه بل ترجمناه ، والذي عرّبه هو الذي أوجد له المقابل وأدل عليه المجمع.

ولفظ سيارة يعني في المعاجم العربية (القافلة) ، والسيارة : القوم يسيرون ، أُنّثت على معنى الرفقة والجماعة ، ووردت في القرآن الكريم في سورة يوسف : **﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾** (سورة يوسف : الآية ، 10).

بهذا يكون المَجمَعُ استعمل لفظ سيارة على سبيل المجاز ، ويجوز أن يكون استعمله على سبيل الحقيقة بمعنى الكثيرة السير ، بوصفِه صيغةً للمبالغة التي تأتي على وزن (فعّال) و (فعّالة).

كما يجوز استعماله على صيغة اسم الآلة مثل : "ثلّاجة ، وسمّاعة" ، فمهما يكن فإن المجمع قد وُفّق في هذا التعريب.

دور مجامع اللغة العربية في التعريب :

1- مجمع القاهرة : يقوم منهج العمل في هذا المجمع لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة ، وعملها الاتصال بالمؤسسات المصرية الحكومية المختلفة ؛ كالجامعات والمدارس وغيرها ، حيث تبعث المؤسسات ما لديها من مصطلحات إلى اللجنة لدراستها ، ثم تضع اللجنة ما تراه من الألفاظ العربية التي يمكن أن تقابل الألفاظ الأجنبية ، وتقوم بشرح كل لفظ أو مصطلح وتعريبه باللغة العربية تعريباً علمياً.

وبعد النظر فيه من أعضاء المجمع والعلماء المتخصصين ، ومناقشته وإبداء الملاحظات ، يعرض على مؤتمر المجمع السنوي ، ليقرّ ما يراه صالحاً منها فينشر في مجلة المجمع (مجموعة القرارات العلمية ، 1984م : 187).

ومن قرارات المجمع اللُّغويّ بالقاهرة ، في دورته الأولى في الجلسة 33:

- يفضل اللفظ العربيّ على المعرب القديم ، إلا إذا استشهد بالمعرّب.
- ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب.

2- مجمع دمشق : يختلف منهج هذا المجمع عن مجمع القاهرة اختلافاً كليّاً ؛ فلم يكن له منهج ثابت مكتوب في وضع المصطلح العلميّ كما في مجمع القاهرة ؛ حيث أعطى لأعضائه الحق في العمل على ترتيب المصطلحات ووضعها ، ونسبة هذا العمل إليهم ، فالمجمع لا يقرّ الألفاظ العملية التي يضعها أو يحققها أعضاؤه أو غير أعضائه مما ينشر في مجلته ، وهذه الألفاظ – على وجاهة الكثير منها– لا تعبّر إلا عن رأي أصحابها ، فالمجمع لا يجيز لنفسه إقرارها والتثبت بها ، بل يرى أن ذلك إنما هو حق مجمع لغويّ يشترك فيه ممثلون للبلاد العربية (الشهابي ، 1965م : 64– 65).

وتُعدّ الجامعاتُ السوريّةُ صاحبةَ الريادة في تعريب التعليمِ الجامعيّ، حيث تم تطبيقُ التعريب في كليّة الطبّ بجامعة دمشقَ عام 1919م، وتواصلت عمليةُ التعريبِ في الكليات الأخرى كالصيدلة والهندسة والزراعة وغيرها، وتبع ذلك حركةُ تأليفٍ وترجمةٍ للمصادر وتصنيف عدد كبير من المصطلحات وتأهيل العاملين في مجال التعريب، حيث ظلت حركةُ التعريب مستمرةً، وأُلّفت كميةٌ كبيرةٌ من المصادر التي تعتمد عليها بعضُ الجامعات اليوم. وتجدر الإشارة إلى أن العلوم

الطبيّة تمثل شريحةً واسعةً من العلوم ، ومن ثم فإن تعريبَ علوم الطبّ يُعتبر مدخلاً لتعريب العلوم الأخرى (السباعي ، 1421هـ : 30).

3– مجمع الأردن –عمّان–:

أما نشأة ودور المجمع اللُّغويّ الأردني في تعريب التعليم الجامعي:

ففي عام 1921م أسس الأمير عبد الله بن الحسين (ت1951م) إمارة شرق الأردن ، وكان الأمير أديباً شاعراً ، جمع حوله الكثير من رجالات الشعر والأدب ، فكان للغة العربية أهمية خاصة ، فأصدر عام 1924م مرسوماً يدعو فيه إلى تأسيس مجمع علمي ، يكون مقرّه عمان عاصمة شرق الأردن ، وانتخب سماحة الشيخ سعيد الكرمي (ت1944م) رئيساً له ، وضم عضويتُه كلّاً من : رضا توفيق بك ، والشيخ مصطفى الغلاييني ، ورشيد بك بقدونس ، ومحمد بك الشريقي.

وكان لهذا المجمع أعضاء شرفيون ، منهم : أحمد زكي باشا ؛ رئيس المجمع العلمي بدمشق ، والسيد محمد كرد علي ، لكن المجمع لم يستمرّ طويلاً ؛ نظراً للظروف الصعبة التي كانت تعصف بالمنطقة...

أما الحسين بن طلال (ت1999م) فقد عمل منذ تولّيه زمامَ الأمور على نشر اللغة العربية ؛ فأنشأ المؤسساتِ العلميةَ والتعليمية ؛ لتكون مركزاً للإشعاع الفكري والحضاري ، ولتساهم في بناء حضارة الإنسان الحقّة ، فأصدر مرسوماً ملكيّاً يدعو بإنشاء المجمع اللُّغويّ الأردنيّ عام 1976م ؛ ليقود هذا المجمع مسيرة اللغة العربية نحو الأمام ؛ متخذاً من التعريب وسيلته لتحقيق العلم والتعلُّم ، فباشر بوضع خطة تهدف إلى تعريب العلوم.

مشروع المجمع في تعريب التعليم العلمي الجامعي:

استمراراً لحركة تعريب العلوم في الوطن العربي ، خطا الأردن خطوة سريعة وجريئة ؛ فقد رأى مجمعه اللُّغويّ من منظور علمي وقومي ضرورة تعريب التعليم الجامعي ، "وأن يتجاوز مرحلة المنادي بالمبادئ والحوار والمناقشة حول قدرة اللغة وأهليتها وتجاربها التاريخية إلى مرحلة التطبيق العلمي" (عبد الكريم خليفة ، 1978م : 17) ، من هنا وضع المجمع مشروعه في تعريب التعليم العالي ؛ مرتكزاًعلى نصّ القانون الذي يقضي بأن تكون لغة التدريس في الجامعات هي اللغة العربية (عبد الكريم خليفة ، 1987م : 17) ؛ ومتماشياً مع الأهداف العامة التي رسمها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، الداعية إلى تعريب التعليم العلمي في الوطن العربي ، فالمجمع رأى أن التعريب ضرورة منهجية ذات فوائد جمة على المستويين العلمي والقومي ، ونتائجها ذات أثر بعيد في مسيرة الوطن العربي الحضارية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية.

بدأ المجمع تنفيذ مشروعه كجزء من خطته الرامية إلى تعريب التعليم والمصطلحات العلمية عبر مراحل زمنية متعاقبة (مدخل إلى مجمع اللغة العربية الأردني ، 1988م : 1– 2) ، فشكل أربع لجان لهذه الغاية من أصل لجانه الإحدى عشرة ، واللجان الأربع ، هي:

– لجنة التأليف والترجمة للعلوم الإنسانية.

– لجنة التأليف والترجمة للعلوم التطبيقية الهندسية والزراعية.

– لجنة التأليف والترجمة للعلوم الصحية.

– لجنة التأليف والترجمة للعلوم الأساسية.

بدأ المجمع عمله في ثلاثة اتجاهات ، هي : ترجمة الكتب العلمية ، التأليف العلمي باللغة العربية ، تعريب الرموز العلمية.

وقد نظّم المجمع الأردني برنامجاً لاتصال الهيئات والمؤسسات والشركات العامة والخاصة ، وطلب من كل منها تزويده بما لديها من مصطلحات أجنبية ، وذلك للعمل على وضع المصطلحات العربية التي تقابلها ، وإن تعذّر له ذلك –بعد البحث والتنقيب– قام بتعريبها ، وقد استجاب من الدوائر الحكومية وزارة الصناعة والتجارة.

وبهذه الاستجابة تم بينهما وبين المجمع تعاون مشترك ؛ الأمر الذي أدى بالمجمع إلى تكوين لجنة فنيّة من أعضائه ، ومن الخبيرين الفنيين من مديرية المواصفات والمقاييس في وزارة الصناعة والتجارة ؛ وذلك للقيام بترجمة المصطلحات أو تعريبها على وفق منهج المجمع المتّبع ؛ لمناقشتها بحضور الخبيرين (مصطلحات الدهانات والورنيشات ، 1989م : ص4 المقدمة).

4– مجمع بغداد : خطا الخطوة نفسها التي سارت عليها المجامع الثلاثة ؛ وذلك بالاتصال بالدوائر المختصة والوزارات...إلخ ، يطلب منها التعاون على جمع ما عندها من مصطلحات وما نقلته من كلمات ، ليدرسها ويرى فيها رأياً ، وألّف لجاناً من أعضائه ومن غيرهم ، لوضع مصطلحات مما يرد في الكتب التي يقرر ترجمتها.

بيد أن طريقته تختلف عن طريقة المجامع الأخرى ؛ لأن المجمع يدرس المصطلح المعروض عليه بالبحث عن أصله ونشأته على يد المتخصصين ، ثم يجمع ما يضيفونه من كلمة عربية يمكن أن تقابل هذا المصطلح المعروض عليه ، ولا يثبت أو يعدّ مصطلحاً مقبولاً إلا بعد ستة أشهر من تاريخه (مطلوب ، 1983م : 189–190).

– أما قضية التعريب في التعليم الجامعي:

فباديء ذي بدء نقول : إن قراراتٍ كثيرةً صدرت في عدة مؤتمرات وندوات تؤكد أن اللغة العربية هي الأداة الطبيعية للتعليم الجامعي والعالي ، إذ إن الفكر الأصيل لا يخلق في الأمة إلا إذا تمكنت اللغة من ألسنتهم قراءة وكتابة وتأليفاً.

فقضية تعريب التعليم العالي والجامعي ترتكز على محاور ثلاثة ، هي : الأستاذ والكتاب والطالب.

1– الأستاذ:

هو الدور الرئيس في التعريب ، ولا سبيل إلى تعريب التعليم الجامعي إلا أن يكون الأستاذ على قناعة قوية بأهمية التعريب ، وترسخ في ذهنه ، باعتباره ؛ أي (التعريب) قضية قومية ووسيلة فعّالة للارتقاء بمستوى التعليم ، وبجانب قناعته وإيمانه بذلك تتوافر أحدث المراجع العلمية

باللغة العربية ، ويكون له دورٌ كبير في ذلك ترجمةً وتأليفاً وتعريباً للمصطلحات مع تأهيله للتدريس بالعربية لتحسن لغته ويستقيم لسانه.

2- الكتاب:

الملحوظ أن المراجع العلمية –لاسيما في العلوم البحتة- قليلة للغاية ، إضافة إلى عزوف الأساتذة عن التأليف بالعربية أو ترجمة أمهات الكتب ، والمراجع ، بيد أن الترجمة ضرورية لتحقيق التواصل الفكري الدائم بيننا وبين العالم الغرْبي العارج في الرقيّ ، كما أن اللغة العربية تزداد غنىً وثراءً بالترجمة وتتسع آفاقها بالحصيلة الجديدة التي تضاف إلى مذخور تراثها ، وتصبح قادرة على تأدية رسالتها على أكمل وجه بفضل عملية التلاحم التي تضطلع بها الترجمة.

وهنا مشكلة تعوق عملية التعليم والتعريب تخصّ الكتاب الجامعي ؛ لأن الكتب المؤلَّفة باللغة العربية قليلة ولا تفي بالغرض ، وسبب ذلك يعود إلى قلة المؤلفين العِلميّين باللغة العربية.

أما على صعيد الكتب المترجَمة ؛ فهي أيضاً قليلة جدّاً ، على الرغم من وجود مكتب التعريب والترجمة والنشر التابع للمنظمة العربية والثقافة والعلوم بدمشق ؛ الذي أسس عام 1991م ، ولعل سبب تفاقم مشكلة الترجمة يعود إلى:

– قلة الكتب العلمية المترجمة في الوطن العربي بشكل عام ، وهذا يؤدي إلى افتقار المكتبة العربية إلى الكتب العلمية ، ووفرتها ، الأمر الذي يعوق البحث العلمي لدى الطالب ؛ الذي يفتقر دائماً إلى وفرة الكتب العلمية المترجمة ، وعليه فلا بدَّ من مواجهة هذا كلِّه من خلال:

1- إعطاء حوافزَ تشجيعية للمؤلفين ، واعتماد التأليف العلمي باللغة العربية في الترقيات العلمية.

2- الترجمة الجيدة ، والتوزيع السريع للكتب المؤلفة أو المترجمة.

3- تدريب أكفَاء في التحرير والإخراج الفنّي.

4- الدقة في انتقاء الكتب العلمية المراد ترجمتها ، وتوخي الدقة العلمية عند التأليف (خليفة ، 1987 : 144).

3- الطالب:

بعد الدراسة لوحظ ازدياد كبير في أعداد الطلاب وذلك في أواخر القرن الماضي ، الأمر الذي صعّب مهمّة الأستاذ في تأدية واجبه ، حيث أصبحت علاقته بالطالب ضعيفة.

ولا أبالغ إن قلتُ : معدومةً ؛ إضافة إلى ما يلاقيه معظم الطلاب من مشقة وصعوبة في فهم المادة العلمية التي تُلقَى عليهم بلغة أجنبية ؛ مما أثّر سلباً على مستوى الطلاب وآدائهم.

قلة المراجع العلمية ، وقلة إيمان هيئة التدريس بالتعريب يؤثّر –كذلك- سلباً في الطالب الجامعي في المجالات العلمية ؛ لأن الطالب يتلقى علومه بلغة أجنبية ، ليست لغته الأم ، فتصبح اللغة الأجنبية لغة التفكير بالنسبة إليه ، واللغة الأم لغة السوق ولغة التعامل اليومي لا لغة العلم ؛

لذا فلابدّ من توحيد لغة العلم والحياة اليومية ، واللغة التي يفكر بها يجب أن تكون هي اللغة التي يتعامل بها مع المجتمع لتصبح لغة الحوار ، والنمو والإبداع (خليفة ، 1987 : 147).

ونجاح حركة التعريب مرتهنة كذلك بمستوى الطالب في اللغة العربية وفي اللغات الأجنبية.

المبحث الثاني– الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم:

1– آراء العلماء في وقوع الأعجمي في القرآن:

اختلف العلماء في وقوع اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم ؛ فمنهم من أنكره ، ومنهم من أجازه ، ومنهم من توسط الرأيين ؛ فمن أنكر وجودَ اللفظ الأعجميّ في القرآن الكريم استدلَّ بقوله تعالى : **﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾** (سورة فصلت : الآية ، 44) ، وقوله تعالى : **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾** (سورة الشعراء : الآية ، 195) ، وقوله تعالى : **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (سورة الزخرف : الآية ، 3) ، وقوله تعالى : **﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾** (سورة الرعد : الآية ، 37) ، وقوله تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾** (سورة إبراهيم : الآية ، 4).

ومنهم الذين قالوا بهذا الرأي:

1– الإمام الشافعي:

فقال منهم قائل : إن في القرآن عربيّاً وأعجميّاً ، والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب.

ولعل من قال : إن في القرآن غير لسان العرب وقبل ذلك منه : ذهب إلى أن من القرآن خالصاً يجهل بعضه بعض العرب.

فإن قال قائل : ما الحُجّة في أن كتاب الله محض بلسان العرب ، لا يخلطه فيه غيره فالحجة فيه كتاب الله ، قال تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾** (سورة إبراهيم : الآية ، 4).

فإن قال قائل : فإن الرسل قبل محمد –ﷺ– كانوا يرسلون إلى قومهم خاصة وإن محمداً بُعث إلى الناس كافَّة ، فقد يحتمل إنه بعث بلسان قومه خاصة ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه ، وما أطاقوا منه ، ويحتمل أن يكون بُعث بألسنتهم فهو دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون ألسنة العجم ، قال تعالى : **﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾** (سورة الشعراء : الآية ، 192– 195).

قال تعالى : **﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾** (سورة الرعد : الآية ، 37) ، وقال تعالى : **﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾** (سورة الزمر : الآية ، 28).

فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله ، ويتلو به كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير،... وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحدٌ جهل سعة لسان العرب (الشافعي ، 1979م : 41).

2- قال أبو عبيدة : نزل القرآن بلسان عربيّ مبين ، فمن زعم أن فيه غيرَ العربية ، فقد أعظم القول ، ومن زعم أن (طه) في لغة العرب بالنبطية فقد أكبر ، وإن لم يعلم ما هو ، فهو افتتاح كلام وهو اسم للسورة وشعارها ، وقد يوافق اللفظُ اللفظَ ويقاربه ، ومعناهما واحد وأحدهما بالعربية ، والآخر بالفارسية أو غيرهما (أبوعبيدة ، 1390هـ : 1/ 17).

3- قال الزركشي : إن القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهرَه وأحكامه (الزركشي ، د.ت : 1/ 14).

قال محمد سليم الحاج محقق كتاب غريب القرآن وتفسيره لليزيدي : أنزل اللهُ تعالى القرآنَ الكريمَ على الرسول الأمين –ﷺ– بلسان عربيّ مبين ، لقوله تعالى : **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (سورة يوسف : الآية ، 2).

وقد نزل القرآن في عصر ازدهرت فيه اللغة العربية ، ولم يكن قد دخل الألسنةَ شيء (اليزيدي ، 1985م : 8).

قال محمد حسن إسماعيل –محقق كتاب فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي– : القرآن عربي البنى والتراكيب ، واستعمل لغةَ العرب أنفسهم وتحدَّاهم بها (ابن الجوزي ، 2001م : 82) ، وقال تعالى : **﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾** (سورة النحل : الآية ، 103).

4- قال مهدي عرار : لا ريب أن للتنزيل العزيز دوراً جليّاً في نشأة الدراسات اللُّغويّة ؛ فقد نزل بلسان عربي مبين على سبيل التحدي والإعجاز ، فأقحم أهل اللغة والفصاحة (عرار ، 2003 : 257).

وذهب آخرون إلى وقوع اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم ، وأجابوا عن قوله تعالى : **﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾** بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تُخرِجُه عن كونه عربيّاً ، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية ، وعن قوله تعالى : **﴿أَأَعْجَمِيٌّ﴾** بأن المعنى من السياق "أكلام أعجمي ومخاطب عربي!". واستدلُّوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو : "إبراهيم" ؛ للعلَمية والعُجمة ، ورد هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف ، فالكلام في غيرها موجه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس.

5- رأي السيوطي : وأقوى ما رأيته للوقوع –وهو اختياري– ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح... أبي ميسرة التابعي الجليل قال : في القرآن من كل لسان.

6- رأي **ابن النقيب** : من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم ، والقرآن احتوى على لغات العرب ، وأُنزِل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير (السيوطي ، 1974م : 40/3).

7- رأي الخوبي : قال : إن قيل : إن "إستبرق" ليس بعربي وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة ، فنقول : لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك ، وذلك رأيه (السيوطي ، 1974م : 40/3).

8- رأي أبي حاتم الرازي : في القرآن شيء من ألفاظ العجم ولغاتهم ، وروى أبو عبيد عن عدة علماء في أحرف كثيرة في القرآن أنها بلغات العجم ، روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جُبير وعكرمة وطاوس وعطاي وغيرهم ، فمنها قوله : طه واليم والطور والربّانيون والربّيون ، قال : يقال إن هذه الأحرف بالسريانية (الرازي ، 1957م : 135- 136).

9- رأي صبحي الصالح : وإنّ في تجمع الألفاظ العربية في أصل واحد ينتظم فروعها لما يسهل على الباحث التمييز بين الأصل والدخيل ، فليس في العربية مادة سردق حتى نظن (السرادق) مشتقّاً منها ؛ ولا مادة (سبرق) حتى نحسب (الإستبرق) متفرعاً عنها ، ولا (سندس) حتى نخال (السندس) مقيساً عليها ، بل (السرادق) فارسي معرب ، أصله (سرادار) وهو الدهليز ، وليس في كلامهم اسم مفرد ثالثه ألف وبعدها حرفان" (الصالح ، 1980م : 178).

وهناك رأي توسط الرأيين السابقين:

1- رأي ابن فارس : (سبق ذكره في ص7 في هذا البحث).

2- رأي الجواليقي : هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ، ونطق القرآن المجيد وورد في أخبار الرسول- ﷺ- والصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم أجمعين- وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل فقال أولئك على الأصل ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته فصار عربيّاً بتعريبها إياه في عربية في هذا الحال أعجمية الأصل" (الجواليقي ، د.ت : 3-5).

3- رأي ابن الجوزي : قال المصنف : وقرأت على شيخنا أبي منصور اللُّغويّ ، عن أبي عبيد ، أنه قال : ذهب أبو عبيدة إلى مذهب وغيره إلى مذهب ، وكلاهما مصيب ، إن شاء الله تعالى وذلك أن في القرآن حروفاً بغير لسان العرب في الأصل ، ثم لفظت بها العرب فعربتها فصارت عربية بتعريبها إياها ، فهي عربية في هذه الحال أعجمية الأصل فهذا القول يصدق الفريقين جميعاً (ابن الجوزي ، 2001م : 82).

4- رأي أحمد شاكر : والعرب أمة من أقدم الأمم ، ولغتها من أقدم اللغات وجوداً كانت قبل إبراهيم وإسماعيل ، وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية وغيرها ، بله الفارسية وقد ذهب فيها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم (مدينتهم) الأولى قبل التاريخ ، فلعل الألفاظ القرآنية ، التي تظن أن أصلها ليس من لسان العرب ولا يعرف مصدر اشتقاقها لعلها من بعض ما فقد أصله وبقي الحرف وحده" (الجواليقي ، د.ت : 13).

رأي الباحث : قبل الإدلاء برأيي لا بدَّ أن أقف عند ما قاله المفسرون حول الآيتين.

قوله تعالى : **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾** ، وقوله تعالى : **﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾**.

"بلسان عربي مبين" يقول : لتنذر قومك بلسان عربي مبين ، يبين لمن سمع أنه عربي وبلسان العرب نزل ، والباء من قوله (بلسان) من صلة قوله : "نزل" وإنما ذكر تعالى ذِكْرُه أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع ؛ إعلاماً منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك ، لئلا

يقولون : إنه نزل بغير لساننا ، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه ، لأنا لا نفهمه ، وإنما هذا تقريع لهم" (الطبري ، 2010 : 8/ 626).

أما تفسير الآية الثانية ، يقول تعالى ذِكْرُه : ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه يا محمد أعجميّاً لقال قومك من قريش : "لولا فُصِّلت آياتُه" ، يعني : هلّا بيّنتَ أدلَّتَه وما فيه من آية ، فنفقَهُ ونعلم ما هو وما فيه "أأعجمي" ؛ يعني أنهم كانوا يقولون إنكاراً له : أأعجمي هذا القرآن ولسان الذي أنزل عليه عربي (الطبري ، 2010م : 20/ 446).

ومن هنا أستطيع القول : إن القرآن الكريم نزل بلغة عربية خالصة ، وأن هذه الألفاظ التي قيل بأعجميتها ليست بالعجمية من شيء ، وتأويل ذلك أن هذه الألفاظ قد هضمت واستخدمت في المجتمع العربي وأصبحت من جنسه.

فاللغة العربية قديمة قِدم الزمان ، فقد ذهب من أوزانها الشيء الكثير ، وهذا الرأي قد اعتنقه الدكتور أحمد شاكر ، ولو لاحظنا الكلمات التي قيل بأعجميتها لوجدناها تنسب للغة السريانية ، العبرية ، الحبشية ، الآرمية ، والفارسية ، وأن هذه اللغات قد تكون من أصل واحد.

المبحث الثالث– مقارنة بين مصطلحات الأعجمي : المولّد ، والدخيل ، والمعرب:

خلطت العرب في المصطلحات المستخدمة لوصف هذه الألفاظ ، فنجدهم يقولون الألفاظ الأعجمية ، ويقصدون بها الألفاظ المعربة ، وآخرون يطلقون اللفظ الدخيل على اللفظ المولّد.

أولاً– المولّد:

المولّد لغة : هو المحدث من كل شيء ومنه المولّدون من الشعراء ، قال الزبيدي : المولد هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم ، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح وهذا بخلافه (الزبيدي ، د.ت : 29/1).

المولد اصطلاحاً : هو اللفظ الذي استعمله الناس قديماً بعد عصر الراوية (مصطفى وآخرون ، 2004م : 31/1) ، ثم إن المولدين كما غيروا الأبنية غيروا هيئة التركيب والأورزان أيضاً.

وقد قسم الخفاجي المولّد إلى نوعين ؛ الأوّل : ما عربه المتأخرون من الألفاظ الأعجمية مثل آبيين بمعنى العادة ، و"أناهيد" اسم الزهرة معرب من الفارسية ، والثاني : ما استحدث بعد الإسلام إلى يومنا هذا من معاني الألفاظ عربية كان لها معان أخرى ، فنقلت من المعنى القديم إلى المعنى الجديد مثل : إذعان بمعنى الإدراك ، أحدثه المتأخرون (الخفاجي ، 1954م : 23).

ويمكن القول : إن المولد يبدأ من حيث ينتهي الفصيح وذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار عصر الاحتجاج بالشعر ، فالمولد نشأ بعد عصر الاحتجاج سواء أكان عربياً أم أعجميّاً ، وقد نادى الخفاجي إلى أن ما عرّبه المتأخرون يعدُّ مولّداً (محمد عبد العزيز ، 1990م : 50)

المولّد كونه مصطلحاً يطلق على الظاهرة اللُّغويّة أو غيرها ، مثال : أبو تمام شاعر مولّد ، وجرير شاعر مولّد ؛ أي لا يحتجّ بشعرهما ، وطائفة المولّدين في العصر العباسي : وهو لفظ

يطلق على غير العرب ، أما المصطلح اللُّغويّ لكلمة (مولّد) فمعناها "هو ما عرّبته الأجيال التي ولدت في العصر الأموي وما بعده" (إبراهيم ، 2000 : 130).

وهناك الأعجمي المولّد ، وهو ما استعمله المولّدون من ألفاظ أعجمية لم يعربها فصحاء العرب ، ونص بعضهم –كما في مختصر العين للزبيدي– : بأنه لا يُحتجّ به كما ذكر السيوطي(شاهين ، د.ت : 147).

آراء المحدثين في المولّد:

إن آراء المحدثين في المولد –إذا ما طالعناها– نجدها مستنبطة من تعريفات القدماء وتفاسيرهم:

1– عبد القادر المغربي قسم المولد إلى ثلاثة أقسام ، هي:

القسم الأول : هو اللفظ الذي اشتقه المولدون من كلمة عربية ، لكن هذا اللفظ لا يعرفه أصلاً أهل اللغة العربية ، ومثال ذلك كلمة (فسقية) وهي الحوض الصغير الذي له أنبوبة في وسطه ينبثق منها الماء ويخرج بقوة وهذه الكلمة مشتقة من مادة الفسق وهو في اللغة العربية بمعنى الخروج.

القسم الثاني : هو الكلمات المولدة من غير العربية بطريقة التعريب تسمى هذه الكلمات مولّدة ؛ لأنها لم يعربها عرب يحتجّ بكلامهم.

القسم الثالث : وهو الكلمات المولدة المستعملة على طريقة التشبيه والكتابة ؛ أي كلمات عربية استعملها أهل اللغة العربية بمعنى ، ثم استعملها المولدون بمعنى آخر على طريقة التشبيه والكناية ، مثل القَطْر الذي كان يستعمله العرب بمعنى المطر ، فأضاف إليه المولدون معنى آخر غير معروف من قبل وهو السكر المذاب والمغلي على النار(المغربي ، 1980 : 62–65).

2– مصطفى الشهابي : يتنوع المولد عنده إلى أربعة أنواع ؛ الأوّل ما اشتقه المولدون على أساليب القياس العربي ؛ كالاشتقاق من الأعيان ، مثلك "كهرب" من الكهرباء ، والاشتقاق من أسماء المعاني منها : المصادر كاشتقاق المستشفى من الاستشفاء. الثاني : الألفاظ التي نقلت من معناها الأصلي إلى معناها العملي كالقطار. الثالث المعربات التي نقلت إلى العربية بعد صدر الإسلام. الرابع ما ارتجله المولدون من الألفاظ التي لا يوجد لها أصل في اللغة العربية ، وألفاظ حرفت عن اللغة العربية الصحيحة ، وهذان هما العامي والدارج ، ولا يرى ضيراً في استعمال الألفاظ المولدة ، شريطة الاضطرار بعد التأكد من صحة ألفاظ ويتولَّى مجمعٌ لغويٌّ هذا الأمرَ (مجلة مجمع دمشق ، 1975/4م : 714–715).

3– طه الراوي : حصر المولد في كل لفظ عربي الأصل تناولته العامية بتغيير ، إما ساكناً حركته ، وإمّا مهموزاً تركت همزه أو بالعكس أو غيرته بالحذف والتقديم ، وغير ذلك من تغييرات أحدثتها فيه (الراوي ، 1949م : 47).

4– محمد الأنطاكي : وهو ما عربه المولّدون الذي لا يحتج بألفاظهم والمولّدون هم الأجيال الأولى التي ولدت في صدر الإسلام ، والمولّد أكثر من المعرب ولك بسبب اختلاط العرب بشتى الأمم" (الأنطاكي ، د.ت : 349–352).

5- الشبيبي : حدده بأنه : "كل لفظ عربي الأصل طرأت عليه التغييرات من إبدال أو تقديم أو تأخير" (مجلة مجمع بغداد ، 1956م : ص403 الحاشية).

ثانياً- التعريب:

التعريب لغةً : الإبانة والإفصاح ، قال ابنُ الأعرابيّ : التعريب التبيين ، ومنه قوله : الثيّب تعرب عن نفسها.

اصطلاحاً : فهو استخدام العرب للألفاظ الأجنبية للدلالة على ألفاظ لغتها ، ويظهر ذلك من خلال تعريف شهاب الدين الخفاجي : اعلم أن التعريب نقل الألفاظ من العجمة إلى العربية (الخفاجي ، 1954م : 33- 34).

والمعرَّب : هو ما استعملتْهُ العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها (السيوطي ، 1998م : 268/1).

قال الجوهري في الصحاح : تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوَّه به العرب على منهاجها ، تقول : عرَّبَتْه العربُ وأعربته أيضاً" (الجوهري ، 1984م : 179/1).

فالمعرّب هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها بحيث يصبح عربيّاً ، إذ يدخل في اللغة العربية ويشتق منه ، ويدخل في الميزان الصرفي والصيغ العربية (صبيح وآخرون ، 2000م : 44).

ويشترط بعضُ اللُّغويّين ، ومعهم الجوهريُّ : "أن التعريبَ يكون حين تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نهجها وأسلوبها ، وأن الكلمات عند العرب إما عربية أصلية وإمّا معربة دخيلة ، مثل : "درهم وفرند وآجر" ، وعند الجوهري ومن معه : إما عربية أصيلة وإمّا معربة إذا نطقت به على نهجها وأسلوبها وألحقته بأبنيتها ، مثل : "درهم وهجرع" ، وإما أعجمية وردت في كلام العرب ، نطقت به العرب ولم تلحقه بأبنيتها مثل : "خراسان ، وآجر ، وآمين" (شاهين ، د.ت : 152).

نشطت حركة الترجمة والتأليف في بداية القرن الثاني الهجري ، وهذا التوسع أحدثته الدولة العباسية من توسع ثقافي وسياسي واجتماعي زاد الحاجة لكلمات جديدة ومصطلحات جديدة ، ففي هذا نشطت حركة الترجمة متمثلة بابن المقفع ، مع زيادة الترجمة والتأليف نشطت حركة التعريب مركزة على أمرين:

1- التصرف في مدلول الكلمات العربية الأصل الفاعل والمفعول والموضوع والمحمول ، وذلك بتحويل المعنى اللُّغويّ إلى معنى اصطلاحي.

2- نقل الألفاظ الأعجمية نفسها إلى اللغة العربية ، وأكثر ما كان ذلك في أسماء النبات والحيوان والآلات والأمراض والمآكل وسلع التجارة" (عيد ، 1980م : 110).

"ويقابل ظاهرة المعرب "التعريب" في العصر القديم ظاهرة الاقتراض.

الاقتراض المعجمي مصطلح أُطلق حديثاً على تنقل الألفاظ من لغة إلى أخرى وهو يرادف في العربية التقريب ، وسمي اقتراضاً لأنَّ كل لغة مستعملة أو حية تأخذ وتعطي ، أي تقترض

وتقرض ، فليس هناك لغة على ظهر الأرض لا تخضع لناموس التأثير والتأثر إلا إذا كانت لغة ميتة" (إبراهيم ، 2002م : 3-4).

فاللغة العربية سلكت مسلكَ غيرها من اللغات فاقترضت قبل الإسلام وبعدها ألفاظاً أجنبية كثيرة ، ولم يجد العرب القدماء في ذلك غضاضة أو ضيراً بلغتهم التي أحبوها واعتزوا بها (أنيس ، 1978م : 124) ، وكانوا في اقتراضهم يأخذون كلمات تتطلبها الحياة والحضارة ، ولقد كان الأعشى من أشهر من عُرف بين الجاهليين باقتباس الفارسية في شعره ، يقول:

عليهِ ديابوذٌ تسربلَ تحتهُ أَرَنْدَجَ إسْكَافٍ يُخالِطُ عِظلِما

ديابوذٌ : ثوب ينسج على نِيرَيْنِ ؛ وهو مُعَرَّب فارِسيَّته دُوبُوذ ، وأَرَنْدَج : جلد أسود ، وإسْكَاف : الصانع الحاذق ، وعِظلِم : نوع من الشجر يستخرج منه صبغ أسود يخضب به الشعر ؛ فهو يصور بذلك ثوراً أبيض الظهر قوائمه سوداء (إبراهيم ، 2002م : 3-4 ، وابن قَيْس ، 295).

ثالثاً- الدخيل/ الضيف والنزيل:

الدخيل اصطلاحاً : الدخيل هو اللفظ الأجنبي الذي دخل اللغة العربية دون تغيير كالأكسجين والتلفون (مصطفى وآخرون ، 2004 : 31/1 المقدمة) ، وعرّفه د.علي عبد الواحد وافي بقوله : "كل كلمة دخلت العربية من مفردات أجنبية سواء ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم أو عرب الأمصار ، ويقصد بـ (العرب الفصحاء) عند المحدثين هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أوسط القرن الرابع الهجري ، وعرب الأمصار هم عرب الحضر إلى نهاية القرن الثاني الهجري ؛ وهذا ما يسمى بعصر الاحتجاج (وافي ، 2004 : 153).

ويمكن القول : إن الدخيل يشبه -إلى حدٍّ ما- التعريب ؛ لأنه يدل -أيضاً- على دخول ألفاظ أجنبية إلى العربية سواء أكانت بلفظها أم بتغيير طريقة نطقها لتوافق اللفظ العربي ، والجدير ذِكْره في هذا المقام أنه كثر في المصطلحات الحديثة.

تعريف الدخيل بالدخيل ويغلب على هذه المصطلحات الخروج عن أوزان اللغة العربية وطول بنيتها مقارنة بالكلمات العربية التي لا تزيد على خمسة في الأسماء المجردة وسبعة في المزيدة.

وخلاصة القول : إن مصطلح الدخيل أعمُّ من مفهوم المعرّب ؛ إذ يشمل ما نقل إلى اللغة العربية سواء جرت عليه أحكام التعريب أم لم تجرِ عليه ، سواء أكان في عصر الاستشهاد أم بعده (محمد عبد العزيز ، 1990 : 247).

يعرّفه **د.صادق** : هو كل ما دخل في العربية من غيرها من اللغات ، سواء في زمن العرب الخُلَّص أم بعد حتى هذه الأيام" (مجلة جامعة الأزهر 2001م : 63).

وتعريف **د. إبراهيم صبيح** : فهو الألفاظ التي دخلت العربية من لغات أخرى وحافظت على شكلها ، ولم تخضع للميزان الصرفي ولم يشتق منها ألفاظ (صبيح وآخرون ، 2000م : 44).

أقسام الدخيل:

1- **معرّب** : وهو ما نطق به الجاهليون ومن يحتج بلغتهم من الكلام الأعجمي وهو أصغر الأقسام جميعاً ؛ بسبب عزلة العرب في الجاهلية وعدم احتكاكهم بالأمم المجاورة ، وأكثر ما نقله الجاهليون ينحصر في أسماء العقاقير أو الأدوات والمعادن.

2- **المولّد** : وهو ما عربه المولّدون وهم الأجيال الأولى التي ولدت في صدر الإسلام ولا يحتجّ بألفاظهم والمولّد أكثر من المعرب.

3- **عامّي محدث** : والمحدثون هم من عاشوا بعد المولّدين في أيامنا هذه ويسمى كلامهم عامّيّاً" (الأنطاكي ، د.ت : 349-352).

ومن العلماء لم يفرقوا البتة بين المعرّب والدخيل واستعملوه بمعنى واحد ، ومن هؤلاء شهاب الدين الخفاجي في كتابه : شفاء الغليل ، والسيوطي في كتابه : المُزهر في علوم اللغة (أبو مغلي : 2011م : 51- 52).

فوقفت عند هذه المصطلحات لأكشف الغمة واللُّبس عنها من لسان غيره سواء كان من لغة الفرس أو الروم أو الحبش أو الهند أو البربَر أو الإفرنج أو غير ذلك.

الخاتمــة والتوصيـات

من خلال البحث الموسوم "آراء العلماء – قدماء ومحدثين– في عملية التعريب" توصلتُ إلى النتائج الآتية:

1– التعريب مهم جدّاً للغة العربية حتى تواكب الحضارات العالمية الأخرى.

2– أن تكون الألفاظ الأعجمية المعربة على منهاج العرب في النطق والوزن.

3– العلاقة الوطيدة بين المصطلح والترجمة والتعريب ؛ لأن التعريب يتحقق وينهض بالمصطلح والترجمة ، فيمهدان الطريق للتأليف العلمي بالعربية ، والبحث المتصف بالابتكار والإبداع ، ويدعو إلى نمو اللغة العربية.

4– يجب التركيز على الأستاذ والكتاب والطالب عند التعريب في التعليم الجامعي.

5– إن التعريب ليس عملاً لُغويّاً خالصاً ؛ إذ يشتمل على بناء الإنسان بناءً سويّاً سليماً بتعميق وعيه بتراثه وقوميته وتصحيح نظرته إلى العالم من موقع الثقة بالنفس والاعتزاز بالماضي والمستقبل.

6– التعريب طريق الكشف والإبداع ، وذلك لتقبّل المعرفة باللغة الأم أدعَى على استيعابها بالنسبة إلى لفرد وأولى إلى توظيفها بالنسبة إلى لمجتمع.

7– التعريب المفتاح إلى الحضارة العالمية من موقع متميز ولا سيما جانب الثقافة العلمية ، والتعريب تفاعل يتيح نقل المجتمع من مجتمع مقلِّد إلى مجتمع مُنتِج.

8– التعريب جهد لُغويّ وثقافي يترك آثاراً ظاهرة على جميع الأصعدة.

9– قواعد المجامع التعريبية تحتاج إلى التطوير والتوسيع والتدقيق ؛ لأنها لم تكن مفصّلة تشتمل كلّ القضايا المتعلقة بالتعريب ، وعلى المجامع وضع قواعد مطردة للتعريب من اللغات العالمية الحديثة.

10– ضرورة توحيد وضع المصطلحات العربية والمعرّبة في الوطن العربي ، واستعمال أجهزة الإعلام العربية ، والمؤسسات اللغوية والعلمية في نشر ما يتم إنجازه من هذا العمل التوحيدي ، حتى يصل إلى الجماهير في القرى والمدن ، ويستعملوه.

11– ضرورة تسمية الحروف المضافة إلى العربية من قبل المجمع ، وإدخالها في ترتيب الحروف الهجائية العربية ؛ ليعرفها الجميع حينما يصادفونها في القراءة.

قائمة المصـادر والمراجــع

*** القرآن الكريم.**

أوّلاً– المصادر والمراجع:

– الإتقان في علوم القرآن : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1394هـ–1974م.

– ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، 1998م.

– الاشتقاق والتعريب : عبد القادر المغربي ، مطبعة الهلال ، الفجالة ، مصر ، 1980م.

– الاقتراح في علم أصول النحو : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد الشافعي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ–1998م.

– الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية في ضوء الدرس اللُّغويّ الحديث : د. رجب إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار القاهرة ، 2002م.

– البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، (د.ت).

– تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد بن محمّد عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، الكويت ، (د.ت).

– تاريخ علوم اللغة العربية : طه الراوي ، بغداد ، 1949م. (د.ط).

– تعريب الألفاظ والمصطلحات وأثره في اللغة والأدب : سميح أبو مغلي ، الطبعة الأولى ، دار البداية للنشر والتوزيع ، عمّان ، 2011م.

– التعريب في القديم والحديث : د. محمد حسن عبد العزيز ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1990م.

– التعريب ومستقبل اللغة العربية : عبد العزيز عبد الله ، منشورات معهد البحوث والدراسات الإسلامية ، القاهرة ، 1975م.

– تفسير الطبري المسمّى جامع البيان في تأويل القرآن : الطبري ، خرّج الأحاديث وعلّق عليها : إسلام منصور عبد الحميد ، دار الحديث ، القاهرة ، المجلد الثامن ، 2010م.

– جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1987م.

– حركة التعريب في العراق : د.أحمد مطلوب ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت 1983م.

– الخصائص : ابن جنّي ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، (د.ت).

– دراسات في الدلالة والمعجم : د. رجب عبد الجواد إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار غريب ، مصر ، 2000م.

– دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح ، الطبعة الثامنة ، دار العلم للملايين،1980م.

– دراسات في فقه اللغة : محمد الأنطاكي ، دار الشروق العربي ، (د.ت).

– ديوان الأعشي الكبير : ميمون بن قيس ، شرح وتعليق : د. محمد حسين ، المطبعة النموذجية ، مصر ، (د.ت).

– الرسالة : الإمام الشافعي : تحقيق وشرح : أحمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، مكتبة التراث ، 1979م.

– شفاء الغليل في كلام العرب من دخيل : شهاب الدين الخفاجي ، تحقيق : عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ، 1954م. (د.ط).

– الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها : ابن فارس ، تعليق : أحمد حسن بسج ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ-1997م.

– الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطّار ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1404هـ-1984م.

– ظاهرة اللبس في العربية جدل التواصل والتفاصل : د. مهدي عرار ، الطبعة الأولى ، دار وائل للنشر ، عمّان ، 2003م.

– عبد القادر المغربي وآراؤه في اللغة والنحو : د. محمد عبد الله ، الطبعة الأولى ، ، دار المواسم ، بيروت ، 1997م.

– عوامل تنمية اللغة العربية : د. توفيق محمد شاهين ، مكتبة وهبة ، مصر ، (د.ت)

– غريب القرآن وتفسيره : أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي ، حققه وعلق عليه : محمد سليم ، الطبعة الأولى ، 1985م.

– فقه اللغة : د.علي عبد الواحد وافي ، نهضة مصر ، الطبعة الثالثة ، 2004م.

– فنون الأفنان في عيون القرآن : ابن الجوزي ، تحقيق : محمد إسماعيل ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م.

– في رحاب اللغة العربية : د. إبراهيم صبيح وآخرون ، الطبعة الثانية ، دار الحامد ، عمّان ، 2000م.

– القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د.ت).

– الكتاب : عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1408هـ-1988م.

– كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية : أبو حاتم الرازي ، عارضه : حسين الهمذاني ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ، 1957م.

– كتاب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، المكتبة الوطنية ، بغداد ، 1989م.

– لسان العرب : ابن منظور ، تحقيق : عبد الله الكبير وآخرون ، دارالمعارف ، مصر ، (د.ت).

– اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث : عبد الكريم خليفة ، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، عمّان ، 1987م.

– مجاز القرآن : أبو عبيدة ، علّق عليه : د. محمد فؤاد سزكين ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1390هـ.

– المُزهر في علوم اللغة : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ-1998م.

– مصطلحات الدهانات والورنيشات ، ط1 ، (منشورة مجمع عمّان 1989م) ، المقدمة.

– المصطلحات العلمية : الأمير مصطفى الشهابي ، مطبعة دمشق ، دمشق ، الطبعة الثانية ، 1965م.

– المظاهر الطارئة على الفصحى : د. محمد عيد ، ، نشر عالم الكتب ، مصر،1980م.

– المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى وآخرون ، مطبعة الشروق الدولية ، القاهرة ، 1425هـ- 2004م.

– المعرّب من كلام الأعجمي على حروف المعجم : أبو منصور الجواليقي ، تحقيق : أحمد شاكر ، دار الكتب ، (د.ت).

– من أسرار اللغة : إبراهيم أنيس ، الطبعة السادسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1978م.

ثانياً- المجلات:

– مجلة جامعة الأزهر ، غزة : العدد (4) ديسمبر ، 2001م.

– مجلة مجمع بغداد : أصول اللهجة العراقية ، 1956م ، الحاشية.

– مجلة مجمع اللغة العربية : العدد الخامس والثمانون ، القسم الثاني ، مصر ، 1420هـ-1999م.

– مجلة مجمع دمشق : انتحال الألفاظ المولدة ، 1975/4م.

– مجلة المعرفة السعودية : دفاع عن تعليم الطب باللغة العربية ، زهير السباعي ، العدد (65)، شعبان 1421هـ. مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً من 1934-1984م :

أخرجها وراجعها ، محمد شوقي أمين ، وإبراهيم الترزي ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1404هـ - 1984م.

- مدخل إلى مجمع اللغة العربية الأردني : عمّان ، مجمع اللغة العربية الأردني ، 1988م.

المراجع الأجنبية:

(1)The Foreign vocabulary of the Quran : Arthur Geffery, Oriental Institute, Baroda, 1938, Page 84.

قراءةٌ في أبنية اسم الفاعل والصفة المشبهة

الدكتورة نجاة سعد محمد الورفلي
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية
كلية الآداب / جامعة بنغازي
2016 م

ملخص البحث

- كل فعل لازم جاء منه اسم مشتق دلَّ على من اتصف بالفعل ، ودلَّ على الثبوت فهو صفة مشبهة ، أو اسم فاعل على غير قياس.
- الصفة المشبهة : اسم فاعل غير قياسي.
- الاسم المشتق من الفعل الثلاثي اللازم ، والدالُّ على من اتصف بالفعل له أوزان كثيرة في العربية ، وهي أوزان سماعية ، مثل : طاهر ، وسالم ، وذاهب ، عفيف ، بخيل ، شجاع ، فَرِح.
- الاسم المشتق من الفعل الثلاثي المتعدي ، اسم فاعل قياسي ، يدل على من قام بالفعل حقيقة ، على وجه الحدوث والتجدد ، مثل : كاتب ، وغافر.
- الاسم المشتق من الفعل غير الثلاثي المتعدي ، والدالُّ على من قام بالفعل ، اسم فاعل قياسيّ ، مثل : مُخْرِج ، ومُحْسِن ، ومُحَسِّن.
- الاسم المشتق من الفعل غير الثلاثي اللازم ، والدالُّ على من اتصف بالفعل ، مثل معتدل القامة ، مشتدّ العزيمة ، منطلق اللسان ، ومنبسط الوجه ، ومطمئن الضمير ، صفة مشبهة على وزن اسم الفاعل.
- تأكيد القول بأن سيبويه لم يقعِّد لأوزان اسم الفاعل ، أو الصفة المشبهة ، وإنما تركها للسياق؛ فعندما نقول : رجل أسير ، أسير بمعنى مأسور ، اسم مفعول ، وعندما نقول : زأر الاسد زئيرا ، زئير مصدر ، وعندما نقول : عليم ، عليم بمعنى عالم للمبالغة ، وعندما نقول كريم ، كريم صفة مشبهة.
- إذا دل الوصف على الفاعل نحو : الله غفور ، فغفور على وزن فعول ، وهو وصف اشتُق من الفعل غفر المتعدي ، وهذا الفعل اشتُق منه غافر اسم فاعل ، فغفور مبالغة لغافر. أما إذا دل الوصف على الفاعل ، نحو : وقُر الشيخُ ، والشيخ وقور ، فوقور على وزن فعول ، وهو وصف اشتُق من الفعل وقُر اللازم ، ولم يشتق منه وصف على وزن فاعل ، فهو ليس مبالغة. ولك أن تطلق على هذا الوصف اسم فاعل على غير قياس ، أو تطلق عليه صفة مشبهة باسم الفاعل. وجدير هنا أن يُتَفَقَ على مصطلح واحد وهو اسم فاعل غير قياسي.

Research Summary

o Every intransitive verb came from Del derived the name from the already characterized, indicated by the constancy is likening recipe, or an actor's name on the non-measurable.

o Almhbhh character he played in the name of non-standard.

o derived from triple intransitive verb name, a signifier of already characterized him many weights in Arabic, an acoustic weights, such as : Tahir, and Salem, and going, chaste, stingy, gritty, joy.

o derived from the triple act infringer's name, record an actor's name, shows already the fact, on the face of the occurrence and regeneration, such as : a writer, and, forgiving.

o derived from the verb is triple the infringer name, and indicative of the already made, record an actor's name, such as : director, and philanthropist, and philanthropist.

o derived from the verb is too full name, and a signifier of already characterized, such as upright, Mstd determination, tongue out, and a flat face, reassuring conscience, likening the recipe on the weight of the actor's name.

o confirmation to say that Sibawayh did not sit for the weights of the actor's name, or the character Almhbhh, but left to the context; when we say : a man prisoner, a prisoner in the sense captured by, the name of the effect, and when we say : roaring lion roar, the roar of the source, and when we say : Knowing, Knowing, the sense of the world to exaggerate, and when we say cream, cream recipe likening.

o If Del description on the actor about : God is forgiving, Vghafoor potent on a weight, a description derived from the verb forgiven infringer, this verb derived from it, forgiving agent noun, Vghafoor exaggeration to, forgiving. If Del description on the actor, about : revered Sheikh and Sheikh sedate, Vokor potent on a weight, a description derived from the verb revered too much, not derived to describe the weight of an actor, it is not an exaggeration. You can call this description is an actor's name on the measure, or call it a recipe likening the name of the actor. It should be here to agree on a single term, a non-standard agent noun.

مقدمة

يَرد في كثير من المؤلفات الصرفية الحديثة دراسة باب اسم الفاعل وأوزانه ، منفصلا عن باب الصفة المشبهة ، وأوزانها ، وفي هذا يتبعون مذهب من جعل لاسم الفاعل وزنا واحدا ، وهو وزن فاعل ، وللصفة المشبهة أوزانًا سماعية كثيرة ، ويمثل هذا المذهب الزمخشري ومن نهج نهجه في دراسة الأبنية.(الزمخشري ، 2002 : 290 ، 296) (الأستراباذي ، 1982 :143/1) (الحديثي ، 1965م ، 259) وهناك مذهب آخر ، لايذكر أبنية للصفة المشبهة ، ويفصِّل القول فيها بوصفها عاملا في التراكيب النحوية ، ويجعل أبنية الصفة المشبهة أوزانا سماعية لاسم الفاعل ، وأشهر من يمثِّل هذا المذهب ابن مالك في ألفيته.

وهذا اختلاف في التصنيف بين النحويين ، كما أن خروج كثير من الصفات على قواعد الصرفيين يجعل وضع ضوابط للصفة المشبهة أمرًا مُسْتَبْعَدًا ، من ذلك بناء فعيل ، يأتي وزنا لصفة مشبهة ، مثل : ظريف ، وبخيل ، وكريم ، وشريف. ويأتي وزنا لاسم مفعول ، مثل قتيل وجريح ، ويأتي وزنا لمبالغة لاسم الفاعل ، مثل : رحيم ، ونصير ، ويأتي وزنا لاسم فاعل من الفعل جالَس ، أي مُفَاعِل ، مثل جليس بمعنى مجالس ، ويأتي وزنا لمصدر سماعي ، مثل : رحيل.

وهذه أمور دفعتني لمحاولة قراءة بنائي اسم الفاعل والصفة المشبهة؛ فهل كان الأفضل دراستهما في باب واحد يحمل عنوان اسم الفاعل؟

أم كان الأفضل فصلهما في الدراسة؟

ولعل الإجابة عن هذه الأسئلة ستكون في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول :

عنوانه **اسم الفاعل والصفة المشبهة في التراث الصرفي.**

ويتضمن عرض سيبويه لأبنية الفاعل ، والصفة المشبهة ، وعرض بعض النحويين بعده.

المبحث الثاني :

عنوانه **تطبيقٌ على أبنية وردت في القرآن الكريم.**

ويتضمن ذكر بعض الأسماء المشتقة التي تحمل دلالة الحدث والذات ، وتحليل أبنيتها من خلال السياق الذي يرد فيه كل اسم.

ثم الخاتمة التي ستحتوي أهم النتائج.

والله الموفِّق.

المبحث الأول : اسم الفاعل والصفة المشبهة في التراث الصرفي

لم يرد عند سيبويه مصطلح (اسم الفاعل) بوصفه صيغة صرفية ، وإنما جاء ذكره في سياق كلامه عن أبنية الفعل الثلاثي؛ يقول سيبويه : "الأفعال تكون على ثلاثة أبنية : على فَعَلَ يفعُل ، وفَعَلَ يفعِل ، وفَعِلَ يفعَل. ويكون المصدر فَعْلا ، والاسمَ فاعلا." (سيبويه ، 1975 : 4 / 5) ومثّل لهذه الصيغ بأمثلة منها قوله : "فأما فَعَلَ يفعُل ومصدره فقتل يقتل قتلا ، والاسم قاتل..." (سيبويه ، 1975 : 4 / 5) ولهذا قيل : "لم يكن لسيبويه رأي واضح في تحديد معنى اسم الفاعل ، وبيان صيغه." (الحديثي ، 1965 : 260) أما الصفة المشبهة فجاءت عنده في سياق الرفع بعامل اسمي ، وذلك في باب عنونه بقوله : **هذا باب الصفة المشبَّهة بالفاعل فيما عملت فيه** ، فأطلق مصطلح الصفة المشبهة بالفاعل ، ويقصد بالفاعل اسمَ الفاعل؛ لأنه قال : "لم تقوَ أن تعمل عمَلَ الفاعل؛ لأنها ليست في معنى الفعل المضارع؛ فإنما شُبِّهت بالفاعل فيما عملت فيه..." (سيبويه ، 1966 : 1 / 194) وذكر أحوال معمولها ، ودخول الألف واللام عليها ، وتنوينها. (سيبويه ، 1966 : 1/ 194. 205) ولم يذكر بناء الصفة المشبهة ، ولم يفرّق بين أبنيتها وأبنية اسم الفاعل. (الحديثي ، 1965 : 276) وعُرِفَ المصطلحان الصرفيان (اسم الفاعل ، والصفة المشبهة) عند علماء العربية بعد سيبويه ، فعرَّفوا اسم الفاعل بأنه "ما يجري على يفعل من فعله كضارِب ، ومُكْرِم ، ومُنْطلِق ، ومُسْتخرِج ، ومُدحرِج ، ويعمل عمل الفعل في التقديم والتأخير ، والإظهار ، والإضمار ، كقولك : زيد ضارِب غلامه عمرا ، وهو عمرا مُكْرِمٌ ، وهو ضاربٌ زيدا وعمرا؛ أي وضاربٌ عمرا." (الزمخشري ، 2002 : 290) كما عُرِّف بأنه "اسم مشتق من المضارع لمن قام به الفعلُ،" (العيني،2007 : 119) وأنه "وصف مشتق من مصدر الفعل المبني للمعلوم؛ ليدل على من وقع منه الفعل أو قام به؛" (أبو المكارم ، 2007 :238) أي يدل على من قام بالحدث أو اتصف به ، يصاغ من الثلاثي المجرد المتصرف متعديا كان أو لازما على وزن فاعل بكثرة من الفعل فعَل . بفتح العين . من المتعدي نحو : ضارب ، قاتل ، شاكر ، شارح ، كاتب ، صانع. ومن اللازم نحو : ذاهب ، قاعد ، جالس.

ومما جاء في تعريف الصفة المشبهة قول الزمخشري : "هي التي ليست من الصفات الجارية ، وإنما هي مشبَّهةٌ بها في أنها تُذَكَّر وتُؤنَّث ، وتُثَنَّى وتُجمع ، نحو كريم ، وحَسَن ، وصَعْب ، وهي لذلك تعمل عمل فعلها؛ فيقال : زيدٌ كريمٌ حَسَبُه ، وحسنٌ وجهُه ، وصعْبٌ جانبه." (الزمخشري ، 2002 : 296) ومعنى قوله : ليست من الصفات الجارية ؛ أي ليست من الصفات التي تجري مجرى الفعل في الحركات والسكون ، مثل اسم الفاعل واسم المفعول من غير الثلاثي. "وهي تدل على معنى ثابت؛ فإن قُصِدَ الحدوث ، قيل : هو حاسِنٌ الآن ، أو غدا ، وكارمٌ ، وطائل،" (الزمخشري ، 2002 : 296)[1] وهذا يعني أنه يمكن اشتقاق فاعل من الصفة المشبهة إن دلّ على الحدوث والتجدُّد؛ ولكن هل سُمِعَ عن العرب ذلك؟

استشهد الزمخشري بقوله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ (هود ، آية 12) فضائق وصف من الفعل ضاق ، وضاق : فعل ثلاثي لازم ، والوصف منه ضَيِّق ، ومثله سيِّد من ساد ، فإذا أريد الحدوث قيل : هو سائد غدا ، وفي اللسان ضاق المكان ، فهو

ضَيِّقٌ ، ويقال : ضائق ، وتُجمع على ضاقة ، ومثلها سائد وجمعها سادة.(ابن منظور ، مادة ضيق)

وذكر الرضيُّ اطّراد تحويل الصفة المشبهة إلى فاعل عند قصد الحدوث ، (الرضي ، 1996 : 3 /431) (السامرائي ، 2007 : 66) وعرَّف ابن الحاجب الصفة المشبهة؛ فقال : "الصفة المشبَّهة : ما اشتُقَّ من فِعْل لازم ، لمن قام به على معنى الثبوت... وصيغها مخالفة لصيغة الفاعل على حسب السماع ، كحَسَن ، وصَعْب ، وشديد ، وتعمل عمل فعلها." (الرضي ، 1996 : 3 / 431 ـ 432) وجاء في ألفية ابن مالك :

كفَاعِلٍ صُغِ اسْمَ فَاعِلٍ إذَا مِنْ ذِي ثلاثةٍ يكُونُ كغَذَا

يقول ابن عقيل : "إذا أريد بناء اسم الفاعل من الفعل الثلاثي جِيءَ به على مثال فاعل ، وذلك مقيس في كل فعل على وزن فَعَلَ . بفتح العين . متعديا كان أو لازما ، نحو ضرب ، فهو ضارب ، وذهب فهو ذاهب ، وغذا فهو غاذٍ. فإن كان الفعلُ على وزن فَعِلَ . بكسر العين . فإما أن يكون متعديا أو لازما ، فإن كان متعديا فقياسُه أيضا أن يأتي اسمُ فاعله على فاعِل ، نحو ركِبَ ، فهو راكب ، وعَلِمَ ، فهو عالم ، وإن كان لازما ، أو كان الثلاثي على فعُل . بضم العين . فلا يقال في اسم الفاعل منهما فاعل ، إلا سماعا." (ابن عقيل ، 1990 : 2/ 126) مثل : أمِنَ ، فهو آمِنٌ ، وسلِمَ ، فهو سالم ، وعقِرت المرأةُ ، فهي عاقر ، وشرِب ، فهو شارب وحَمُضَ؛ فهو حامض.

وذكر سيبويه قاعدة اسم الفاعل من الفعل الأجوف ، نحو قائل وبائع؛ فقال : "اعلم أنَّ فاعلا منها مهموز العين ، وذلك أنهم يكرهون أن يجيء على الأصل مجيء مالا يعتل فَعَلَ منه ، ولم يصلوا إلى الإسكان والحذف فيه فيلتبس بغيره ، فهمزوا هذه الواو والياء ، إذ كانتا معتلتين وكانتا بعد الألفات ، كما أبدلوا الهمزة من ياء قضاء وسِقاء حيث كانتا معتلتين وكانتا بعد الألف ، وذلك قولهم : خائفٌ ، وبائعٌ." (سيبويه ، 1975 : 4 / 348)

ومعنى كلام سيبويه أن اسم الفاعل من الفعل الأجوف يأتي مهموز العين ، مثل : قال ، وقاد ، وباع ، وعاش ، قلبت ألفه همزة ، سواء أ كان أصل الألف واوا أم ياءً ، فقيل في اسم الفاعل : قائل ، قائد ، بائع ، عائش ، والأصل فيها : قاول ، وقاود ، وبايع ، وعايش. وذكر سيبويه أن سبب الإعلال هو أن فعَل حدث فيه إعلال ، نحو قال ، فإن عينه واو قلبت ألفا ، أما إذا كان الفعل غير معتل الوسط بقيت الواو أو الياء كما هي دون قلبها همزة ، نحو : حاول ، وعاور ، وصايد ، وغايد. من حَوِلَ ، وعَوِرَ ، وصَيِدَ ، وغَيِدَ.

معنى الفعل صَيِدَ : أصابه داء فلا يستطيع الالتفات ، ومَلِكٌ أصْيَد : يرفع رأسه كِبْرًا ، فلا يلتفت يمينا ولا شمالا. والفعل غَيِدَ : لان من شدة النعمة.

ويرى سيبويه أن قاعدة الإسكان والحذف لا يمكن تطبيقها في نحو قاول وبايع ، لأن تسكين حرف العلة وحذفه يجعل الكلمة تلتبس بغيرها؛ فإن حذفت الواو من قاول تصبح الكلمة قال؛ فتلتبس بالفعل قال. وإن حذفت الياء من بايع تصبح الكلمة باع؛ فتلتبس بالفعل باع. وإن حذفت الألف من قاول وبايع تصير قول وبيع ، فيحدث لبس بينهما وبين المصدر (قول وبيع)؛ لذلك قلبت الواو والياء همزة. وقاس سيبويه الإعلال في نحو خائف وبائع على الإعلال في قضاء

وسِقاء ، فالأصل : قضاي ، وسقاي ، والياء معتلة بعد ألف زائدة؛ والفعل قضى يقضي قضاي ، وسقى يسقي سقاي. الياء في المضارع هي الألف في الماضي ، وتصير ياء في الاسم؛ فهي معتلة بعد ألف زائدة تقلب همزة.

وقال ابن مالك في بناء اسم الفاعل:

وَهْوَ قَليلٌ في فَعُلْتُ وَفَعِلْ غَيْرَ مُعَدًّى بَلْ قِياسُهُ فَعِلْ

وَأَفْعَلٌ فَعْلانُ نَحْوُ أَشِرِ ونَحْوُ صَدْيَانَ ونَحْوُ الْأَجْهَرِ

وشرحه ابن عقيل ، فقال : "إتيانُ اسم الفاعل على وزن فاعل قليلٌ في فعُل . بضم العين . كقولهم : حمُض فهو حامض ، وفي فعِل . بكسر العين . غير متعدٍّ ، نحو أمِن ، فهو آمِن... بل قياسُ اسم الفاعل من فَعِلَ المكسور العين إذا كان لازما أن يكون على فَعِلٍ ، بكسر العين ، نحو : نَضِرَ ، فهو نَضِرٌ ، وبَطِرَ ، فهو بَطِرٌ ، وأشِرَ ، فهو أَشِرٌ ، أو على فَعْلان ، نحو عَطِشَ فهو عطشان ، وصَدِي فهو صَدْيان ، أو على أفعل ، نحو : سَوِدَ ، فهو أَسْوَدُ ، وجَهِرَ ، فهو أجهر." (ابن عقيل ، 1990 : 2 / 126 ـ 127)

فهذه صفات خالفت الوزن القياسي لاسم الفاعل من الثلاثي ، وابن مالك يريدها أوزانا سماعية لاسم الفاعل ، وزاد عليها بقوله :

وفَعْلٌ اوْلَى وَفَعِيلٌ بِفَعُلْ كَالضَّخْمِ والجَمِيلِ والفِعْلُ جَمُلْ

وأَفْعَل فِيهِ قَليلٌ وفَعَلْ وبِسِوَى الفَاعِلِ قَدْ يَغْنَى فَعَلْ

يقول ابن عقيل : "إذا كان الفعلُ على وزن فعُل ـ بضم العين ـ كثر مجيء اسم الفاعل منه على وزن فَعْلٍ ، كـ ضَخُمَ فهو ضَخْمٍ ، وشَهُمَ ، فهو شَهْمٌ ، وعلى فعيل ، نحو : جَمُلَ فهو جميل ، وشَرُفَ فهو شريف ، ويقل مجيء اسم فاعله على أَفْعَل نحو خظُب ، فهو أخظب ، وعلى فَعَلٍ ، نحو : بطُلَ فهو بَطَلٌ." (ابن عقيل ، 1990 : 2 / 127 ـ 128)

والملاحظ على هذه الأفعال . التي جاءت أمثلة عند ابن عقيل . أنها أفعال لازمة ، والوصف من اللازم يطلق عليه صفة مشبهة ، من باب أن الفاعل لهذه الأفعال لم يقم بالفعل ، وإنما اتصف به.

وقد يستغنى عن صيغة فاعِل من فَعَل . بفتح العين . بغيرها؛ فيأتي اسم الفاعل منه على غير وزن فاعل ، وهذا قليل ، نحو : طاب ، فهو طيّب ، وساد ، فهو سيّد ، وشاخ ، فهو شَيْخٌ ، وشاب ، فهو أشيب ، وعفَّ فهو عفيف. وهذا معنى قول ابن مالك : **وبسوى الفاعل قد يَغْنَى فعَل.**

فالفاعل في التركيب النحوي اسم مرفوع يدل على من قام بالفعل على الحقيقة ، نحو : قام زيد ، وقعد عمرو ، أو قام بالفعل مجازا؛ أي اتصف به ، نحو : نبت الزرع ، واشتد الحرّ. (الحريري ، 2002 : 52) فيقال في الوصف : زيد قائم ، وعمرو قاعد. كما يقال : كَرُمَ الرجل ، وهو كريم. فالرجل فاعل اتصف بالكرم ، ولم يُحدثه ، وكذلك الزرع نَبْتٌ ، والحرُّ شديدٌ.

ويمكن عرض بعض الصفات التي جاءت في كتاب سيبويه ، والتمعن في دلالة أفعالها ، وهي:

- الصفة على وزن فَعِل ، وفعلها فَعِلَ يفْعَلُ فَعَلا ، مثل : أَجِمَ ، سَنِقَ ، غَرِضَ ، هَوِي ، وجِعَ ، حَبِطَ ، حَبِجَ ، مضارعها يَفْعَلُ ، يأَجَمُ ، يَسْنَقُ ، يَغْرَضُ ، يهوَى ، يَوْجَعُ ، يحبَطُ

، يَحْبَجُ ، ومصدرها على وزن فَعَل ، أَجَم ، سَنَق ، غَرَض ، هوًى ، وَجَع ، حَبَط ، حَبَج ، والصفة على وزن فَعِل ، هو أَجِمٌ ، سَنِقٌ ، غَرِضٌ ، هَوٍ ، وَجِعٌ ، حَبِطٌ ، حَبِجٌ. (سيبويه ، 1975 : 4 / 16 ـ 17)

وفي المعجم اللغوي : أَجِمَ يأجَم أجَمًا وهو أجِمٌ ، وأجَمَ يأجِمُ أجْمًا ، وهو آجِم ، أَجِمَ الطعامَ كَرِهَهُ ، والوصف يأتي على فاعِل : آجِم ، وعلى فَعِلٍ : أَجِم.

سنق؛ السَّنَق : البَشَم ، سَنِقَ الرجلُ : بَشِمَ ، وهو مثل التُّخْمة ، والسَّنِقُ : الشَّبْعان.

غرِض؛ الغَرَضُ : الضجر والملل ، وهو غَرِضٌ : أي قَلِقٌ.

هوِي : أحبَّ.

الوجع : اسم جامع لكل مرض مؤلم.

حبِط؛ الحَبَطُ : وجع في بطن البعير من كثرة الأكل ، وهو انتفاخ بطنها.

حبِج؛ الحَبَجُ : ورم في بطن البعير. ومثله : بَطِنَ:عظمت بطنه ، والثَّمَل : السُّكْر ، وهو ثَمِلٌ : أي أخذ منه الشراب والسكر ، طبِن:فطِنَ؛ أي الفطنة للخير.

- الصفة على وزن فعيل ، يقول سيبويه : "قد يجيء الاسم فعيلا،" (سيبويه ، 1975 : 4 / 17) ويقصد بالاسم الفاعل ، ويبدو أن الفاعل هنا اتصف بالفعل ، ولم يُحدثه ، ومثَّل له بمريض من مَرِضَ يمرَضُ مَرَضًا ، وسَقِيم من سَقِمَ يَسْقَمُ سَقَمًا ، وقيل سَقُمَ ، ومثله كريم من كَرُمَ كَرَمًا ، وعَسِير من عَسُرَ عَسَرًا ، وحزين من حَزِنَ حَزَنًا ، وما جاء على هذا الوزن يحمل دلالة المرض ، والحزن جعلوه بمنزلة المرض ، لأنه داء.
- الصفة على وزن فَعِل ، ومثل الوجع في بناءِ الفعل ، والمصدرِ وقُربِ المعنى : وَجِلَ يَوْجَلُ وجَلا وهو وَجِل. رَدِيَ يرْدَى وهو رَدٍ. (سيبويه ، 1975 : 4 / 17)

وبهذا يمكن أن يطلق على الوصف من الفعل اللازم صفة مشبهة ، لأن فاعل الفعل اتصف به ، ويمكن أن يطلق عليه اسم فاعل سماعي ، ومن هنا اختلف النحويون في التصنيف.

وجاءت أوزان كثيرة من هذا النوع ، مثل :

- فَعِلٌ؛ ويحمل دلالة الأمور الطارئة على الذوات ، وهذه الأمور تطرأ وتزول ، مثل الفرح والحزن والألم ، فهو فرِحٌ ، وتَعِبٌ ، وحَذِرٌ ، وأشَرٌ ، وطرِبٌ ، وضَجِرٌ. ومؤنثه على وزن فعِلة ، مثل فَرِحَة.
- أفْعَلُ ويحمل دلالة الألون والحالة الظاهرة الدائمة في البدن ، وهذه أمور تثبت وتبقى ، مثل أخضر وأكحل ، وألمى ، وأعور ، وأعمى ، وأحول ، وأعور ، وأهيف ، وأغيد. ومؤنثه على وزن فَعْلاء ، مثل خضراء.
- فَعْلان ويحمل دلالة الامتلاء أو الخلو ، وهذه أمور تطرأ وتزول ببطء ، مثل شبعان ، وريان ، وعطشان ، وظمآن ، يقظان ، ومؤنثه على وزن فَعْلى ، مثل شبعى.
- فعيل ، مثل ظريف ، وبخيل ، وكريم ، شريف ، نبيه.
- فَعْل ، مثل ضَخْم ، وسَهْل ، صَعْب ، .
- فَعَل ، مثل حَسَن ، بَطَل.

- فَعَال ، مثل رجل جَبَان ، وامرأة حَصَان ، وهي العفيفة.
- فُعَال ، مثل شجاع ، فُرَات.

فُعُل ، مثل فُسُح من فسُح المكانُ ، وهو فُسُحٌ. (أبو المكارم ، 2007 : 251 ـ 252) ويرى النحويون أن الصفة المشبهة تدل على صفة ثابتة؛ فالصفة تثبت في صاحبها على وجه الدوام ، مثل : جميل ، طويل ، كريم ، أحمق ، أسمر ، أبيض.(السامرائي ، 2007 : 65)

ومما سبق يمكن صياغة تعريف للصفة المشبهة بأنها اسم يصاغ من الفعل اللازم للدلالة على معنى اسم الفاعل ، ومن ثم سمّوه الصفة المشبهة؛ لأنها تشبه اسم الفاعل في المعنى ، وهي تدل على وصف من اتصف بالفعل ، ولم يقم به على وجه الحقيقة؛ ولذلك السياق هو الفيصل في تحديد نوع الاسم المشتق ، وهذا مايُستنبط من كلام سيبويه ، فعلى سبيل المثال قوله : "فأما فَعَلَ يفعُل ومصدره فقتل يقتُل قتْلا ، والاسم قاتِل ، وخلقه يَخلقُه خلْقًا ، والاسم خالق ، ودقَّه يدقُّه دقًّا ، والاسم داقٌّ..." (سيبويه ، 1975 : 4 / 5) والفعل المتعدي (قتل ، خلق ، دقّ) اشْتُقَّ منه وصف من قام بالفعل حقيقةً على وزن فاعل ، والصفات : (قاتل ، خالق ، داقّ) اسم فاعل قياسي.

ومن الأبنية التي ذكرها سيبويه للفاعل بناء فعيل؛ قال فيه : "جَرُؤ يَجْرُؤ جُرأة وجَرَاءةً ، وهو جريء... عظُم يعظُم عِظَمًا ، وهو عظيم... قَوِيَ يقوَى قَوايةً ، وهو قويٌّ ، كما قالوا سَعِدَ يَسْعدُ سَعادة ، وهو سعيد....." (سيبويه ، 1975 : 4 / 28 ـ 37)

الفعل اللازم (جرُؤ ، قَوِيَ ، عظُم) اشْتُقَّ منه وصف من اتصف بالفعل؛ بمعنى أن الفاعل لم يقم بالفعل على وجه الحقيقة ، وإنما اتصف الفاعل بالفعل ، والصفات : (جَريء ، عظيم ، قويّ ، سعيد) اسم فاعل غير قياسي ، أو صفة مشبهة.

المبحث الثاني : تطبيقٌ على أبنية وردت في القرآن الكريم.

معلومٌ أنّ الفيصل في تحديد نوع الاسم المشتق السياق الذي ورد فيه؛ ولذلك سيُعرض في هذا المبحث أسماء مشتقة في سياقاتها؛ لربط دلالة الاسم في سياقه بنوع المشتق.

جاء في قوله تعالى : ((هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (الحديد ، آية 3) أسماء على وزن فاعل ، دالّةٌ في سياقها على الذات الإلهية؛ أي دلت على الحدث والذات التي قامت بالحدث أو اتصفت به؛ وهي:

📖 ـ الآخر ، ومعناه : "المتأخِّر عن الأشياء كلها،" (الزجاج ، 1975 : 60) و"الباقي بعد فناء خلقه كله." (ابن منظور ، مادة أخر) وهو نقيض الأوَّل ، والآخِرة فاعلة ، وهي خلاف الدنيا ، (الفارابي ، 2003 : 857) وجاء هذا اللفظ علماً مفرداً على الذات الإلهية ، وآخِر من مادة أخر ، والتأخير ضد التقديم ، (الفارابي ، 2003 : 885) وهو وصف يدل على ذات ومعنى ، ويُستبعد أن يكون وزنه أفْعِل ، بكسر العين؛ لأن هذا الوزن قليل في الأسماء؛ وقال سيبويه : "لا نعلمه جاء صفة،" (سيبويه ، 1975 : 4 / 245) فضلاً عن كثرة مجيء وزن فاعل ، بكسر العين ، اسماً ، وصفةً،(سيبويه ، 1975 : 4 / 249) كما أنه لو كان على وزن أفعِل لسُمِعَ تحقيق الهمزة الثانية من آخِر. (ابن منظور ، مادة أخر) وبهذا يكون آخِر صفة مشبهة على وزن فاعِل ، ومجرَّد أخَّرَ لم يُستعمل في العربية ، وإنْ استُعْمِل فسيكون فعلاً لازماً.

📖 ـ الظاهر : "الذي ظهر فوق كل شيء ، وعلا عليه،" (ابن منظور ، مادة ظهر) خلاف الباطن ، وظَاهِر على وزن فاعِلٍ،(الفارابي ، 2003 : 186) مشتق من "قول العرب : ظهر فلانٌ فوق السطح إذا علا،" (الزجاج ، 1975 : 60) وقيل : "ظَهَرَ يَظْهَرُ ظُهُوراً ، فهو ظاهر وظهير." (ابن منظور ، مادة ظهر) وظاهر من ظهر اللازم ، وهو صفة مشبهة جاءت على وزن فاعل ، أو اسم فاعل غير قياسي.

📖 ـ الباطن : "العالم ببطانة الشيء؛ يقال : بطَنْتُ فلاناً وخبرتُه إذا عرفت باطنه وظاهره،" (الزجاج ، 1975 : 61) وهو خلاف الظاهر،(الفارابي ، 2003 : 192) مشتق من قول العرب : "بَطَنْتُ فلاناً وخَبَرْتُهُ ، إذا عرفتُ باطنه وظاهره." (الزجاج ، 1975 : 61) قيل : "بَطَنَ فلانٌ بفلانٍ يَبْطُنُ به بُطوناً وبطانةً إذا كان خاصاً به داخلاً في أمره،" (ابن منظور ، مادة بطن) فهو اسم فاعل قياسي من الفعل بَطَنَ الثلاثي المتعدي.

وفي قوله تعالى ((هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (الحشر ، آية 24) جاءت أسماء دالة على الحدث والذات الآلهية؛ وهي : الخالق ، البارئ ، المصور ، العزيز ، الحكيم ، ويمكن معرفة نوع المشتق فيها من خلال التطبيق الآتي:

📖 ـ الخالق ، و"الخَلْقُ في اسم الله تعالى هو : ابتداء تقدير النشء؛" (الزجاج ، 1975 : 36) أي "ابتداع الشيء على مثال لم يُسبق إليه." (ابن منظور ، مادة خلق) وخالق اسم فاعل قياسي من "خَلَقْتُ الشيءَ خَلْقاً إذا قَدَّرْته،" (الزجاج ، 1975 : 35) و"خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ ، وخَلَقَ الخياطُ الثوبَ؛ أي قدَّره قبل القطع." (الفارابي ، 2003 : 318)

📖 ـ البارئ ، ومعناه "الذي خلق الخَلْقَ لاعن مثال،" (ابن منظور ، مادة برأ) مشتقٌ من "بَرَأَ اللهُ الْخَلْقَ يَبْرَؤُهم" (ابن قتيبة ، 1958 : 15) "بَرْءاً : إذا فَطَرهم،" (الزجاج ، 1975 : 37) و"بَرَأ اللهُ الْخَلْقَ : أي خلقهم،" (الفارابي ، 2003 : 875) فهو اسم فاعل قياسي من برأ المتعدي.

📖 ـ المصور ، "المهيّئ لمناظر الأشياء على ما أراده من تشابه أو تخالف،" (ابن القيم ، 2005 : 341) وقيل : "الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة؛ ليتعارفوا بها." (ابن القيم ، 2005 : 341) ومُصَوِّرٌ وصفٌ على وزن "مُفَعِّل من الصورة ، وهو تعالى مُصَوِّرٌ لكل صورة لا على مثال احتذاه ، ولارسم ارتسمه تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً،" (الزجاج ، 1975 : 37) ومُصَوِّرٌ اسم فاعل قياسي من الفعل صَوَّرَ ، وهو في صفة الله ـ جلَّ في علاه ـ "الذي صوَّر جميع الموجودات ، ورتبها ، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة ، وهيأة مفردة ، يتميز بها على اختلافها وكثرتها." (ابن منظور ، مادة صور) فسبحانه وتعالى علوّاً كبيراً.

📖 ـ العزيز : "المنيع الذي لا يُغلَب،" (ابن القيم ، 2005 : 319) وهو فعيلٌ من العزة ، (الفارابي ، 2003 : 552) (البيهقي ، د.ت : 33) ومنه قول العرب : "عزَّني فلانٌ على الأمر ، إذا غلبني،" (الزجاج ، 1975 : 33) و"عزَّه يَعِزُّهُ ، والله تعالى هو الغالبُ كلّ شيء ، فهو العزيز الذي ذلَّ لعزته كلُّ عزيز،" (الزجاج ، 1975 : 34) والعزيز نقيض الذليل ، ،(الفارابي ، 2003 : 552) قيل : "عزَّ يَعِزُّ ، بالكسر عزّاً وعزَّةً ، وعزازةً ، ورجل عزيز ، من قوم أعِزَّة." (ابن منظور ، مادة عزز) ولم يأتِ من مادة (عزز) اسم فاعل من الثلاثي (عزَّ) عازّ. ،(الفارابي ، 2003 : 187) وبهذا يُستبعد أنْ تكون عزيز صيغة مبالغة؛ لأنَّ صيغة المبالغة تكون من اسم

الفاعل؛ أي يُحَوَّل اسم الفاعل إلى صيغة أخرى لغرض المبالغة ، مثل : غافر وغفَّار ، ولم يُسمع عزَّ عازّ ، وإنما قيل : عزَّ عزيز ، كما يُستبعد أنْ تكون عزيز صفةً مشبهةً؛ لأن الصفة المشبهة تُصاغ من فعل لازم قياساً. (أبو المكارم ، 2007 : 250) وقيل : "عزيز صفة مشبهة؛ لأنه من فعل لازم ، من باب ضرب ، أو نصر ، أو علم." (أحمد مختار عمر ، 1997 : 98) وهذا القول يردُّه تعدِّي الفعل في قوله تعالى : ((فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)) (ص ، آية 23) فالفعل عزَّ متعدٍّ ، عزَّني فلان : غلبني. (الزجاج ، 1975 : 33)

وبعد ؛ فإنَّ عزيزاً وصفٌ مشتق في معنى فاعل ، من فعل متعدٍّ ، لم يُستعمل اسم الفاعل منه ، وجاز في العربية "ورودُ الفاعل بغير قياس من فَعَلَ المفتوح على فعيل ، كعفَّ وعفيف ، وخفَّ وخفيف." (السيوطي ، د.ت : 3 / 328) ومثله عزَّ وعزيز؛ فعزيزٌ فعيل في معنى فاعل.

📖 ـ الحكيم : وهو"الذي لايقول ولايفعل إلا الصواب؛ وإنما ينبغي أن يوصف بذلك؛ لأن أفعاله سديدة ، ووصفه متقن." (ابن القيم ، 2005 : 341) على وزن فَعِيل من مادة حكم ، (الفارابي ، 2003 : 221) (ابن منظور ، مادة حكم) قيل : "حكيم بمعنى حاكم،" (ابن قتيبة ، 1958 : 16) وقيل : "يجوز أن يكون [حكيمٌ] فعيلاً في معنى فاعل ، ويجوز أن يكون في معنى مُفْعِل ، والله حاكم وحكيم." (الزجاج ، 1975 : 52) والمُرَجَّحُ أنْ يكون حكيم في معنى مُحْكِمٍ،(الزجاج ، 1975 : 52) من الفعل أحكم إحكاماً ، أي إتقان التدبير في الأشياء ، وحسن التقدير لها. (البيهقي ، د.ت : 22) وذُكِرَ أنَّ حكيماً معناه صاحب الحكمة. (الفارابي ، 2003 : 221) ويمكن القول : إنَّ حكيماً في معنى اسم فاعل ، سواء أكان تقديره حاكماً ، من فعل ثلاثي ، أم كان مُحْكِماً من فعل رباعي.

وفي قوله تعالى ((وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)) (إبراهيم ، آية 48) اسمان دالان على الذات الإلهية والحدث ، وهما:

📖 ـ الواحد : المنفرد؛ لا نظير له. (ابن القيم ، 2005 : 285) واحِد على وزن فاعِل من وَحَدٍ ، و وَحِدٍ ، أي فَرْد،(الفارابي ، 2003 : 625 ، 628 ، 635) وفعله وَحِدَ يَوْحَد ، و وَحُدَ ، (ابن منظور ، مادة وحد) واسم الفاعل منه واحد ، وواحد "في اللغة إنما هو للشيء الذي ليس باثنين ولا أكثر منهما،" (الزجاج ، 1975 : 57) وفعله لازم ، ومعناه بقي مفردا؛ (إبراهيم مصطفى وآخرون ، 1972 : مادة وحد) فهو اسم فاعل من فعل لازم ، أو صفة مشبهة على وزن فاعل.

📖 ـ القهّار : القهر في اللغة "الغلبة والأخذ من فوق،" (ابن منظور ، مادة قهر) والقهار الذي "قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة ، وقهر الخلق كلهم بالموت." (ابن القيم ، 2005 : 329) وقَهَّارٌ على وزن فَعَّال ، من قول العرب : "قَهَرَهُ يَقْهَرُهُ قَهْراً : غَلَبَهُ،" (ابن منظور ، مادة قهر) وأصلُ القَهْرِ في العربية الرياضة والتذليل ، يُقال : "قَهَرَ فلانٌ الناقةَ إذا راضها وذلَّلها،" (الزجاج ، 1975 : 38) والله ، جل شأنه ، هوالغالب جميع الخلق ، "قَهَرَ المعاندين بما أقام من الآيات والدلالات على وحدانيته ، وقهر جبابرة خلقه بعز سلطانه ، وقهر الخلق كلهم بالموت،" (الزجاج ، 1975 : 38) (البيهقي ، د.ت : 38) والقهَّار للمبالغة،(ابن منظور ، مادة قهر) من اسم الفاعل القاهر ، (أحمد مختار عمر ، 1997 : 72) من الفعل الثلاثي المتعدي (قهر).

وفي قوله تعالى ((وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ)) (الزخرف ، آية 77) :

📖 ـ مالك "هو خازن جهنم" (القرطبي ، د.ت : 16 / 116) وهو ملك من الملائكة ، جاء ذكره في القرآن الكريم في سياق النداء ، علم منقول عن اسم فاعل (ابن يعيش ، د.ت : 1 / 29) من قول العرب : "مَلَكَ الإنسانُ الشيءَ يملِكُه مَلْكاً ، والاسم المُلْك،" (ابن فارس ، 1981 : 5 / 352) و"مُلَيْكٌ ومُلَيْكَةٌ ومالِكٌ و مُوَيْلِكٌ ومُمَلَّكٌ و مَلْكان ، كلها أسماء." (ابن منظور ، مادة ملك) من الفعل المتعدي.

ومالك اسم عربي جاء في سياق النداء ، ومن يناديه أمم مختلفة يتفاوتون في اللغة والجنس ، وهذا يشير إلى أن لغة الخلق يوم القيامة عربية.(أ. رؤوف أبوسعدة ، 1993 : 1 / 186).

وفي قوله تعالى ((وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً)) (الأعراف ، آية 73) :

📖 ـ صالح نبي الله ـ عليه السلام ـ كان من أوسط قوم ثمود نسباً ، وأفضلهم حسباً (القرطبي ، د.ت : 7 / 238) من أسماء الرجال على وزن فاعِل ، (الفارابي ، 2003 : 185) منقول عن اسم الفاعل من قولهم : "صَلَحَ يَصْلَحُ ويَصْلُحُ صلاحاً وصُلُوحاً ، وهو صالح وصليح،" (ابن منظور ، مادة صلح) ، فعله لازم ، وهو علم عربي (سيبويه ، 1973 : 3 / 235) مشتق من العربية الأولى التي تفرقت جذورها في اللغات السامية ، بدليل وجود الجذر العربي (صلح) بلفظه ومعناه في العبرية والآرامية ، وقد جاء في الآرامية صاليح ، بمد كسرة اللام. (أ. رؤوف أبوسعدة ، 1993 : 1 / 243)

ولما كان صالح اسماً يقبل الاشتقاق والتصريف فهو اسم عربي ، حتى وإن كان من العربية القديمة لغة العرب البائدة التي تلاشت بمرور الزمن ، ولم يبقَ منها إلا القليل.

وفي قوله تعالى ((وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ)) (الطارق ، الآيات 1 . 3) :

📖 ـ الطارق الكوكب الذي يقال له كوكب الصبح ، وطارق على وزن فاعِل ، (الفارابي ، 2003 : 189) مشتق من قولهم : "طَرَقَ القومَ يَطْرُقُهم طَرْقاً وطُروقاً : جاءهم ليلاً ، فهو طارق،" (ابن منظور ، مادة طرق) والألف واللام فيه للغلبة ، لأنَّ كلّ "ما أتاك ليلاً فهو طارق،" (الفراء ، 1980 : 3 / 254) وكلّ نجم طارق؛ لأنَّ طلوعه بالليل ، (ابن منظور ، مادة طرق) وقد غلب هذا الوصف على النجم الثاقب ، و"هو النجم الذي يقال له زحل ، والثاقب الذي قد ارتفع على النجوم ، والعرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعا : قد ثقب." (الفراء ، 1980 : 3 / 254) اسم فاعل من الثلاثي المتعدي.

وجاءت أسماء على وزن فاعلة ، وهي:

📖 ـ الآزفة : يوم القيامة في قوله ((وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ)) (غافر ، آية 18) وآزفة على وزن فاعِلة ، (الفارابي ، 2003 : 857) وبحذف التاء آزِف اسم فاعل من "أَزِفَ يَأْزَفُ أَزَفاً وأُزُوفاً : اقترب،" (ابن منظور ، مادة أزف) ومعنى أَزِفت الآزفة : قَرُبَتِ القيامة. (الفراء ، 1980 : 3 / 103)

📖 ـ ((الحاقة)) (الحاقة ، آية1) من أسماء يوم القيامة ، (الفراء ، 1980 : 3 / 179) وأصله صفة بمعنى حقت لكل عامل عمله ، (أبوحيان ، 1993 : 8 / 315) حاقَّة على وزن فاعِلة ، سُمِّيت بذلك لأنَّ فيها حواق الأمور (الفارابي ، 2003 : 544) وبحذف التاء حاقّ ، اسم فاعل من "حَقَّتْ تحُقُّ،" (ابن سيدة ، 1958 : 2 / 333) أي "تَحُقُّ كلَّ إنسان من خير أو

شر؛" (ابن منظور ، مادة حقق) "لأن فيها الثواب والجزاء." (الفراء ، 1980 : 3 / 179) وقيل : "الحاقة مصدر كالعاقبة والعافية،" (أبوحيان ، 1993 : 8 / 315) كما قيل : "سُمِّيت القيامة حاقةً؛ لأنها تَحُقُّ كلَّ محاقٍّ في دين الله بالباطل ، أي مُجادِل ومُخاصِم ، فتحُقُّه أي تَغْلِبُهُ وتَخْصِمه من قولك : حاقَقْتُه أُحاقُّه حِقاقاً ومُحاقّةً فَحَقَقْتُه أحُقُّه؛ أي غلبته؛" (ابن منظور ، مادة حقق) وكأنَّ الحاقة فاعلة في معنى المفاعلة ، هذا على افتراض أنَّ حاقة من الفعل حاقَّ على وزن فَاعَلَ؛ فالمصدر منه على وزن فِعال ومفاعلة؛ حِقاق ومُحَاقَّة ، يُقال : حاقَّ فلانٌ فلاناً إذا ادَّعى كلُّ واحدٍ منهما الحقّ ، فإذا غلبه قيل : حَقَّهُ وأحَقَّه ، أي حَاقَّه خاصمه ، والمحاقَّة المخاصمة. (ابن فارس ، 1981 : 2 / 16) وعليه؛ فإنَّه يبعد أنْ تكون الحاقَّةُ مصدراً في معنى المحاقَّة؛ لأنَّ المحاقَّة فيها معنى المشاركة ، أمَّا الحاقة فهي اسم فاعل من الفعل حقَّ.

📖 ـ ((الصّاخّة)) (عبس ، آية 33) يوم القيامة ، (الفراء ، 1980 : 3 / 238) وأصل الاسم صفة بمعنى تصخ الآذان صخاً؛ أي تصمها ، (أبوحيان ، 1993 : 8 / 418) صاخّة على وزن فاعلة ، وسُمِّيت بذلك؛ "لأنها تَصُخُّ الآذانَ ، أي تصيبها بصوت نحو وقع الصخرة على الصخرة." (الفارابي ، 2003 : 543) وصاخة من الصَّخِّ؛ وهو الصوت الشديد الذي يَصُخُّ؛ أي يُصِمُّ الآذان،(الفارابي ، 2003 : 576) وهي اسم فاعل من صَخَّتْ تصخُّ ، (ابن منظور ، مادة صخخ) والعرب تقول : صخَّتْهم الصَّاخَّة ، (أبوحيان ، 1993 : 8 / 420) وبهذا يكون صاخٌّ اسم فاعل قياسي من الفعل صخّ الثلاثي المتعدي.

📖 ـ ((الغاشية)) (الغاشية ، آية 1) : غاشية وصف على وزن فاعلة ، ،(الفارابي ، 2003 : 748) وسُمِّيت القيامة بذلك؛ لأنها "تَغْشَى الناسَ بالأهوال؛" (الضحاك ، 1999 : 2/ 957) أي تغطيهم؛ فغاشيةٌ غِطاء من قولهم : غَشِيَه الأمرُ ، وتغشَّاه ، واستغشى بثوبه؛ أي تغطَّى. (ابن منظور ، مادة غشي) وهي اسم فاعل قياسي من الفعل المتعدي غَشِيَ يَغْشَى ، فهو غاشٍ ، وبالتأنيث غاشية.

📖 ـ ((القارعة)) (القارعة ، آية 1) : قارعة وصف على وزن فاعلة ، (الفارابي ، 2003 : 194) وسُمِّيت القيامة بذلك؛ "لأنها تَقْرَعُ القلوبَ بهولها،" (أبوحيان ، 1993 : 8 / 503) والقَرْعُ : الضرب ، منه قَرَعَهُ بالعصا؛ أي ضربه ، (الفارابي ، 2003 : 364) وقَرَعَ الشيءَ يَقْرَعُهُ قَرْعاً : ضربه. (ابن منظور ، مادة قرع) و"القارعة في اللغة : النازلة الشديدة ، تنزل بأمر عظيم." (أبوحيان ، 1993 : 5 / 375) (ابن منظور ، مادة قرع) وهي اسم فاعل قياسي من قرع الثلاثي المتعدي ، وبالتأنيث قارعة.

📖 ـ ((الواقِعة)) (الواقعة ، آية 1) : واقعة ، على وزن فاعِلة ، (الفارابي ، 2003 : 637) وسُمِّيت القيامة بذلك؛ "لأنها تَقَعُ بالخَلْقِ ، فتغشاهم،" (ابن فارس ، 1981 : 6 / 133) و"الواقعة : النازِلَةُ الشّديدةُ من صُرُوف الدَّهْرِ،" (الفارابي ، 2003 : 637) من قول العرب : "وقع الشيءُ وقوعاً ، فهو واقع،" (ابن فارس ، 1981 : 6 / 133) و"منه يقعُ وقْعاً ، ووُقوعاً : سقط." (ابن منظور ، مادة وقع) وواقع اسمُ فاعل من وقع الثلاثي اللازم ، وبالتأنيث واقعة ، ويمكن القول : صفة مشبهة على وزن فاعل.

ومن هنا يلاحظ أنّ بناء فاعل يدل على الحدث والذات التي قامت بهذا الحدث ، ووصف الذات اسم فاعل قياسي من الفعل المتعدي ، وقد يدل بناء فاعل على الحدث والذات التي اتصفت بهذا الحدث ، ووصف الذات اسم فاعل سماعي من الفعل اللازم.

ولبيان ما لوحظ يمكن عرض بعض الأسماء المشتقة التي تحمل دلالتي الحدث والذات على بناء فعيل وفعول:

📖 ـ البصير في قوله تعالى ((إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) (غافر ، آية 20) : "الذي يشاهد الأشياء كلها ، ظاهرها وخافيها بغير جارحة." (ابن منظور ، مادة بصر) وبَصِير معناه فاعل؛ أي بصير معناه باصر ، (ابن قتيبة ، 1958 : 16) من الفعل بَصَرَ ، وهو صفة مشبَّهة؛ (أحمد مختار عمر ، 1997 : 46) ومعناه "العالم بخفيّات الأمور،" (البيهقي ، د.ت : 45) وقيل : معناه مُفْعِلٍ؛ أي بصير معناه مُبْصِرٍ ، (ابن قتيبة ، 1958 : 17) (الزجاج ، 1975 : 42) من الفعل أبصر ، وقد مثَّل سيبويه لأبنية المبالغة بالبصير على وزن فعيل؛ (سيبويه ، 1966 : 1 / 110) فهل تكون بصير وصفاً مشتقاً من مادة بصر المجرّد ، أو من أبصر المزيد؟

قد فرّق سيبويه بين بصر المجرد ، وبين أبصر المزيد؛ وذلك عندما قال : "بَصَرَ وما كان بصيراً ، وأبصره إذا أخبر بالذي وقعت رؤيته عليه؛" (سيبويه ، 1975 : 4 / 62) فالفعل (بصر) يدل على وجود البصر ، وإن لم يُبْصِرِ الفاعل شيئاً ، أمَّا أبْصَرَ فيدل على وقوع الرؤية على الشيء المُبْصَرِ. وبهذا يكون (بصر) فعلاً لازماً ، و(أبصر) متعدياً ، وغالب الظنّ أنَّ بصيراً معناه مُبْصِرٌ ، أي صيغة مبالغة لاسم الفاعل مبصر ، على غير قياس؛ لأنَّ قياس النحويين فيه تكون صيغ المبالغة مشتقة من فعلٍ ثلاثي مجرد. (علي أبو المكارم ، 2007 : 242) ومعنى البصير "المدرك للأشخاص والألوان التي يدركها المخلوقون بأبصارهم من غير أن تكون له جارحة عين،" (البيهقي ، د.ت : 45) وهو"الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى،" (الغزالي ، 2001 : 148) وهذا المعنى ينطبق على اسم فاعل من مادة أبصر.

📖 ـ الخبير في قوله تعالى ((وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)) (الأنعام ، آية 73) معناه "العالم بما كان وما يكون." (ابن منظور ، مادة خبر) وهو العالِم؛ (ابن منظور ، مادة خبر) قيل : "خبير بمعنى خابر،" (ابن قتيبة ، 1958 : 16) أي فعيل بمعنى فاعل ، مثل عليم وعالم ، (الزجاج ، 1975 : 45) وذُكِرَ أنَّ رجلاً خابراً وخبيراً معناه عالمٌ بالخبر ، وخَبُرْت بالأمر أي علمته ، وخَبَرْتُ الأمرَ أخْبُرُهُ إذا عرفته على حقيقته. (ابن منظور ، مادة خبر) وغالب على الحسبان أنَّ خبيراً صفة مشبهة من الفعل خَبُرَ اللازم الذي بمعنى علم.

📖 ـ العظيم في قوله (إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ باللهِ الْعَظِيمِ)) (الحاقة ، آية 33)) هو "الذي جاوز قَدْرُه ، وجلَّ عن حدود العقول؛ حتى لاتُتَصَوَّرُ الإحاطة بكُنْهه وحقيقته."(ابن منظور ، مادة عظم) وعظيم وصف مشتق من قول العرب : عَظُمَ يَعْظُمُ عِظَماً وعَظَامةً ، وهو عظيم ، (سيبويه ، 1975 : 4 / 30 . 31) وذُكِرَ أنَّ عظيماً على وزن فعيل؛ ولايكون من عظيم غير لفظها؛ (ابن قتيبة ، 1958 : 17 . 18) فلا يوجد وصف مشتق من مادة عظم الثلاثية إلا عظيم ، ولعله صفة مشبهة ، من عظُم الثلاثي اللازم.

📖 ـ القويّ في قوله تعالى ((إِنَّ ربَّك هو الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ)) (هود ، آية 65) : صفة على وزن فعيل من اللفيف ، وهو نقيض الضعيف ، (الفارابي ، 2003 : 792) من خصال الشدة والجرأة ، قالوا : قَوِيَ يَقْوَى قَواية ، وقُوَّةً ، وهو قويٌّ،(سيبويه ، 1975 : 4 / 32) وبهذا يكون الفعل قَوِيَ لازماً ، ولم يُستعمل منه اسم الفاعل قاوٍ؛ فيترجَّح أنْ يكون قويٌّ صفةً مشبَّهةً باسم الفاعل.

📖 ـ الكبير في قوله تعالى ((وأَنَّ اللهَ هُو الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)) (الحج ، آية 60) معناه "العظيم الجليل والمتكبر الذي تكبَّر عن ظلم عباده ... وقيل المتعالي عن صفات الخلق." (ابن منظور ، مادة عظم) وكبيرٌ فعيلٌ ، من خصال الْكِبَرِ ، قالوا : كَبِرَ يَكْبَرُ كِبَراً ، وهو كبير،(سيبويه ، 1975 : 4 / 31 ـ 32) ومنه كَبِرَ الرجل إذا أسنَّ،(الفارابي ، 2003 : 375) والكبير نقيض الصغير؛ يُقال : كَبُرَ الأمر : أي عَظُمَ،(الفارابي ، 2003 : 395) والله ـ جل في علاه ـ الكبير"الموصوف بالجلال وكِبَرِ الشأنِ ، وصَغُرَ دون جلاله كلُّ كبير."(البيهقي ، د.ت : 35) والكبير : العظيم ، "كَبُرَ عليَّ الأمر ، كعَظُمَ،" ،(سيبويه ، 1975 : 4 / 31) وهو في صفة الله ـ جل وعلا ـ من "كِبَرِ الْقُدْرَةِ."(الزجاج ، 1975 : 48) وذُكِرَ أنَّه لايكون من كَبِيرٍ غيرُ لفظه؛(ابن قتيبة ، 1958 : 17 ـ 18) فلا يوجد وصفٌ من مادة كبر الثلاثية غيرُه.

والثابت أنَّ العرب قالوا : "تَوَارَثُوهُ كابِراً عن كابِرٍ."(الفارابي ، 2003 : 186) والمقصود : "وَرِثُوا المجدَ كابراً عن كابرٍ ، أي كبيراً عن كبيرٍ في الشرف والعز."(ابن فارس ، 1981 : 5 / 154) كما قالوا : "كبيرٌ ، وكُبَارٌ ، وكُبَّار." (ابن فارس ، 1981 : 5 / 153) والخلاصة أنَّ كبيراً فعيلٌ من فعل لازم ، وجاء وزن الفاعل منه (كابر)؛ فيبعد أن يكون كبيرٌ صيغةَ مبالغة قياسية؛ لأنه من فعل لازم. وعليه؛ فإنه يترجَّح أن يكون كبيرٌ صفة مشبهة ، أو اسم فاعل غير قياسي.

📖 ـ الكريم في قوله تعالى ((مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)) (الانفطار ، آية 6) : "الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا يَنْفَدُ عطاؤه ، وهو الكريم المطلق."(ابن منظور ، مادة كرم) وكريمٌ فعيل ، وهو من خصال الرفعة ، من قولهم : كَرُمَ كرماً ، وهو كريم،،(سيبويه ، 1975 : 4 / 32) ولا يكون منه غير لفظه؛(ابن قتيبة ، 1958 : 17 ـ 18) فلم يُسمع من كَرُمَ الثلاثي كارمٌ أو مكروم ، وقيل : كريمُ الخُلُقِ ، وكريمُ الأصلِ،(الزجاج ، 1975 : 50) بإضافة الصفة إلى فاعلها ، من فعل لازم ، وبهذا تكون كريمٌ صفة مشبهة باسم الفاعل.

📖 ـ اللطيف في قوله تعالى ((وَهْوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) (الملك ، آية 15) : الرفيق بعباده،(ابن منظور ، مادة لطف) وقيل : "الذي يوصل إليك غرضك في رفق،"(ابن القيم ، 2005 : 336) ولطيف على وزن فعيل من قول العرب : "لَطَفَ به وله ـ بالفتح ـ إذا رفق به ، فأمَّا لَطُفَ ـ بالضم ـ يَلْطُفُ ، فمعناه صغر ودقَّ."(ابن منظور ، مادة لطف) وقيل : "أصل اللطف في الكلام : خَفَاءُ الْمَسْلَكِ ، وَدِقَّةُ الْمَذْهَبِ... وهو في وصف الله يفيد أنَّه الْمُحْسِنُ إلى عباده في خَفَاءٍ وستر من حيث لا يعلمون،"(الزجاج ، 1975 : 44) و"لَطَفَ اللهُ بك أي أوصل إليك ما تحب في رفق،"(البيهقي ، د.ت : 63) وبناء لطيف يصحُّ من الصيغتين : فَعَلَ ، وفَعُلَ؛ لأنَّ الله ـ جلَّ في علاه ـ وُصِفَ باللطيف ، وصار اسماً من أسمائه؛ فهو "يعلم دقائق المصالح وغوامضها ، وما دقَّ منها وما لَطُفَ ، ثم يسلك في إيصالها إلى المستحق سبيل الرفق دون العنف ، فإذا اجتمع الرفق في الفعل ، واللطف في العلم تمَّ معنى اللطيف."(الغزالي ، 2001 : 164) وسواء أكان فعله

لَطَفَ أم كان لَطُفَ ، فهو فعل ثلاثي لازم ، لم يُستعمل منه اسم الفاعل ، وبهذا يكون لطيف صفةً مشبَّهة باسم الفاعل.

📖 ـ المتين في قوله تعالى ((إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)) (الذاريات ، 58) ومعناه القوي،(ابن منظور ، مادة متن) وهو"الذي لا تتناقص قوته؛ فيَهِن ويفتر،"(ابن القيم ، 2005 : 336) ومتين على وزن فعيل من الفعل مَتُنَ يَمْتُنُ ـ بضم العين ـ ومعناه شديد صلب؛."(الفارابي ، 2003 : 397) وهو"فعيل من الْمَتْنِ الذي هو العُضْوُ،"(الزجاج ، 1975 : 55) و"المتين من كلِّ شيءٍ القويّ،"،(ابن منظور ، مادة متن) قيل:"ماتَنْتُه على ذلك الأمر إذا قَاوَيْتُه مُقَاوَاةً."(الزجاج ، 1975 : 55) "ومَتُنَ الشيءُ ـ بالضم ـ متانةً ، فهو مَتِينٌ ، أي صُلْبٌ،"(ابن منظور ، مادة متن) والمتانة تدل على شدة القوة."(الغزالي ، 2001 : 602) وبهذا يكون متينٌ فعيلاً من فعُلَ الثلاثي اللازم ، ولم يستعمل وزن الفاعل منه ، فهو صفة مشبَّهة باسم الفاعل ، أو اسم فاعل على غير قياس.

📖 ـ المجيد في قوله تعالى ((ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ)) (البروج ، آية 15) : "الذي له المجد العظيم ، والمجد عظمة الصفات وسعتها ، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه ... والمجيد الواسع الكريم."(ابن القيم ، 2005 : 343) ومجيدٌ فعيلٌ في معنى ماجد،(ابن قتيبة ، 1958 : 16) من المجد الذي يعني في اللغة الكثرة والسعة ، والماجد : كثير الشرف،(الزجاج ، 1975 : 53) من قول العرب : "مَجَدَ يَمْجُدُ مَجْداً ، فهو ماجد ، ومَجُدَ مَجَادةً ، فهو مَجِيدٌ،"(ابن منظور ، مادة مجد) وكأنَّ مَجَدَ ـ بفتح الجيم ـ اسم الفاعل منه ماجد ، وهو فعلٌ متعدٍّ؛ لأنهم قالوا : "ماجَدْتُ الرجُلَ فَمَجَدْتُهُ؛ أي غلبته بالمجد."(الفارابي ، 2003 : 310) أمَّا مَجُدَ ـ بالضم ـ فالوصف منه مجيد ، وهو فعل لازم ، يقول سيبويه : "ليس في الكلام فَعُلْته متعديّا؛"(سيبويه ، 1975 : 4 / 38) أي لا يوجد في كلام العرب فَعُلَ يَفْعُل ـ بالضم ـ متعديّاً ، نحو كَرُمَ يَكْرُمُ ، ومثله مَجُدَ يَمْجُدُ ، الذي جاء من مادته مجيد. وقيل : "رجلٌ ماجدٌ مِفْضَال ، كثير الخير ، شريف ، والمجيد فعيل منه للمبالغة،"(ابن منظور ، مادة مجد) كما ذُكِرَ أنَّ الماجد ، والمجيد أحدهما أكثر دلالة على المبالغة.(الزجاج ، 1975 : 57) (الغزالي ، 2001 : 197) ويمكن القول : أنَّ مجيداً ليست صيغة مبالغة قياسية؛ لأنَّ فعلَه فعلٌ لازمٌ ، على وزن فَعُلَ ، ولم يأتِ منه ماجد ، وإنما جاء مجيد ، ولعله اسم فاعل على غير قياس ، أو لعله صفة مشبَّهة باسم الفاعل.

📖 . الوليّ : في قوله تعالى ((فاللهُ هُوَ الْوَلِّيُ)) (الشورى ، آية 7) : "الناصر ، وقيل : المتولّي لأمور العالم ، والخلائق ، القائم بها."(ابن منظور ، مادة ولي) واسم وَلِيٌّ على وزن "فعيلٌ من الموالاة ، والوالي الناصر،"(الزجاج ، 1975 : 55) والوليّ ضدّ العدوّ ، فعيل من الناقص،(الفارابي ، 2003 : 641) وهو "الوالي ، ومعناه مالك التدبير؛ ولهذا يُقال للقيّم على اليتيم وليّ اليتيم ، وللأمير الوالي،"(البيهقي ، د.ت : 67) وقيل : "الْوَلْيُ : القُرْبُ ، ووَلِيَ الوالي البلدَ ولايةً ، وكذلك وَلِيَ الرجلُ البيعَ وغَيْرَهُ."(الفارابي ، 2003 : 656) كما قيل : "وَلِيَ الشيءَ ، ووَلِيَ عليه."(ابن منظور ، مادة ولي) ومما سبق عرضه في الوليّ ، يمكن الزعم بأنَّ وَلِيّاً صيغة مبالغة ، محوَّلة عن اسم الفاعل والٍ ، من فعل ثلاثي متعدٍّ ، بمعنى نصر ، أو قرب.

ومما جاء على وزن فَعُول في معنى فاعل :

📖 ـ الْوَدُودُ في قوله تعالى ((وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ)) (البروج ، آية 14) : المحب لعباده على وزن فَعُولٌ ، من قولك : وَدِدْتُ الرجلَ أوَدُّ ، ودّاً ، ووِدَاداً ، ووَداداً،(ابن منظور ، مادة ودد) وذُكِرَ أنَّ وَدُوداً فعولٌ في معنى فاعل ، والله ـ جل في علاه ـ يَودُّ عباده الصالحين ، فهو في معنى وادٍّ ، كما ذُكِرَ أنَّه في معنى مفعول ، مَوْدُودٌ؛ فهو المستحقُّ لأنْ يُودَّ فَيُعْبَدُ ويُحْمَدُ.(ابن قتيبة ، 1958 : 18) (الزجاج ، 1975 : 52) (البيهقي ، د.ت : 79 ـ 80) (ابن منظور ، مادة ودد) ويمكن أن يكون صيغة مبالغة من اسم الفاعل وادّ؛ فهو مشتق من فعل ثلاثي متعدٍّ ، ويؤيد كونه صيغة مبالغة ما جاء في قوله تعالى ((فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)) (المائدة ، آية 54) فالفعل يُحِبُّ فاعله ضمير يعود على لفظ الجلالة ، وعُطِفَ عليه بالفعل يُحِبُّونَهُ ، فاعله واو الجماعة؛ ولعل هذا العطف فيه إشارة إلى المبالغة في الودود؛ فهو وادٌّ و مودودٌ. والحبُّ من الله يأتي أولاً قبل أن يأتي حبُّ المؤمنين ، وصفتُهم أنَّ الله يحبهم قبل أنْ يحبوه هم ، وبهذا يترجح أن تكون وَدُودٌ صيغة مبالغة.

ومن الصفات التي تدل على الذات والحدث:

📖 ـ الْوَسْوَاسُ في قوله تعالى ((مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ)) (الناس ، آية 4) اسم الشيطان ، على وزن فَعْلَالٍ،(الفارابي ، 2003 : 646) من الرباعي وَسْوَسَ وَسْوَسَةً ، ووِسْواساً ، بالكسر المصدر ، والاسم منه بالفتح الوَسْواس.(ابن منظور ، مادة وسس) ووَسْوَسَ على وزن فَعْلَلَ ، ومصدره "بزيادة هاء التأنيث في آخره ، أو بكسر أوله ، وزيادة ألف قبل آخره ، وفتح أول هذا إن كان كزلزال جائز ، والغالب أن يراد به حينئذٍ اسم فاعل؛" (ابن مالك ، 1990 : 3 / 472) فمصدر الفعل وسوس وسوسة ، و وِسْواس ، ويجوز أنْ يُفتح أوله؛ فيقال : وَسْواس ، وهو مطّرد،(السيوطي ، د.ت : 3 / 324) ويغلب على المفتوح أوله أن يكون في معنى اسم الفاعل؛ فالوَسواس بمعنى الْمُوَسْوِس ، (القرطبي ، د. ت : 20 / 261) وبهذا يكون فَعْلال في معنى مُفَعْلِل ، أي وَسْوَاس بمعنى مُوَسْوِس.

ومما جاء دالا على الحدث والذات من غير الثلاثي:

📖 ـ المُؤْمِنُ في قوله تعالى ((الْمُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الْجَبَّارُ)) (الحشر ، آية 23) من الإيمان؛ وهو في اللغة التصديق ، وقيل : "المؤمن في صفة الله الذي أمن الخلقَ من ظُلْمه ، وقيل : المؤمن الذي آمن أولياءَه عذابَه."(ابن منظور ، مادة أمن) وقيل : "إنه يصدق عباده وعده ، ويفي بما ضمنه لهم من رزق في الدنيا وثواب على أعمالهم الحسنة في الآخرة."(ابن القيم ، 2005 : 337) ومؤمنٌ ، أصل مادته الهمزة والميم والنون ، ومنها الإيمان؛ وهو التصديق والثقة.(ابن قتيبة ، 1958 : 9) (الزجاج ، 1975 : 31) والإيمان مصدر آمن يُؤْمِنُ ، فهو مُؤْمِنٌ،(ابن منظور ، مادة أمن) و"إيمان العبد بالله تصديقه قولاً وعملاً وعَقْداً،"(ابن قتيبة ، 1958 : 10) والعبد المؤمن "هو الواثق بما يعتقِدُهُ الْمُسْتَحْكِمُ الثِّقَةِ،"(الزجاج ، 1975 : 32) وقيل في معنى "اللهُ مُؤْمِنٌ؛ أي مصدِّقٌ ما وعده ومحقِّقُه أو قابل إيمانه،"(ابن قتيبة ، 1958 : 10) وهو "يُصدِّق ظنونَ عباده المؤمنين ولا يخيب آمالهم."(البيهقي ، د.ت : 63) وهذا يعني أنَّ المؤمن في صفة الله تعالى من الإيمان؛ أي التصديق ، وربما يكون من الأمن؛ فالله ـ جلّ جلاله ـ المؤمن "الذي أمِنَ من عذابه مَنْ لايستحقه." ،"(الزجاج ، 1975 : 32) و"آمن عبادَه المؤمنين من عذابه في القيامة ، وقيل : هو الذي آمن خلقَه مِنْ ظلمِه،"(البيهقي ، د.ت : 63) و"هو الذي يعزَى إليه الأمن

والأمان بإفادته أسبابه ، وسدّه طرق المخاوف."(الغزالي ، 2001 : 116) و(أَمِنَ) (يَأْمَنُ) ثلاثي مجرد ، مثل سَمِعَ يَسْمَعُ ، وبهمزة التعدية يصير أَأْمَنَ ، على وزن أَفْعَلَ؛ نحو : آمَنَ اللهُ العبادَ ، ومعناه : جعلهم يأمنون ، واسم الفاعل منه مُؤْمِنٌ؛ يقول سيبويه : "أكثر ما يكون على فَعِلَ إذا أردتَ أنَّ غيره أدخله في ذلك يُبنَى الفعلُ منه على أفعلت." ،(سيبويه ، 1975 : 4 / 55) والواضح أنَّ اسم الفاعل من آمن ـ بمعنى جعله آمناً ـ يتفق في اللفظ ، والبناء مع اسم الفاعل من آمن ـ بمعنى صدَّق ـ فكلاهما مؤمن على وزن مُفْعِل. ولكي لايحدث تقارض بين اللفظين؛ قيل في المؤمن ـ وهو اسم من أسمائه جلَّ في علاه ـ : "هذه صفة من صفات الله ـ جلّ وعزّ ـ لا تتصرف تصرُّفَ غيرها؛ لايقال : أَمِنَ اللهُ ، كما يقال : تقدَّس الله ، ولايقال : يؤمن الله ، كما يقال : يتقدس الله."(ابن قتيبة ، 1958 : 10) والخلاصة في ((المؤمن)) أنَّه اسم فاعل قياسي من الفعل آمن الذي جاء في قوله تعالى ((وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)) (قريش ، آية 4).

📖 ـ الْمُبِينُ في قوله تعالى ((أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ)) (النور ، آية 25) " الموضح لهم [أي لعباده] الأعمال التي يستحقون الثواب على فعلها ، والأعمال التي يستحقون العقاب عليها."(ابن القيم ، 2005 : 294) ومُبِينٌ وصفٌ على وزن مُفْعِلٍ من قول العرب : "أبان يُبِينُ إبانةً ، فهو مُبِينٌ،"(ابن منظور ، مادة بين) ومعناه "الذي لا يخفى ولا يتكتم،"(البيهقي ، د.ت : 13) اسم فاعل قياسي من أَفْعَلَ على وزن مُفْعِل.

📖 ـ الْمُدَّثِّرُ في قوله تعالى ((يأيُّها الْمُدَّثِّرُ)) (المدثر ، آية 1) اسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو وصف على وزن مُتَفَعِّل من مادة دثر التي تدل على "تضاعُف شيءٍ وتناضُده بعضه على بعضه،"(ابن فارس ، 1981 : 2 / 328) ومُدَّثِّر معناه مُتَدَثِّر،(الفراء ، 1980 : 3 / 200) من قول العرب : "تَدَثَّر أي تَلَفَّفَ في الدِّثار،"(الجوهري ، مادة دثر) و"الدِّثار : الثوب الذي يُسْتَدْفأُ به،" وقولهم : "تَدَثَّرَ فلانٌ بالدِّثار تَدَثُّراً ، وادَّثَرَ ادِّثاراً ، فهو مُدَّثِّر ، والأصل مُتَدَثِّر ، أُدْغِمت التاء في الدال ، وشُدِّدت."(ابن منظور ، مادة دثر) وهو اسم فاعل قياسيّ ، صفةٌ غلب على الموصوف؛ رسول الله ، ﷺ ، فصار علماً بالغلبة عليه.

📖 ـ الْمُتَعَالِي في قوله تعالى ((عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)) (الرعد ، آية 9) هو"الذي جلّ عن إفك المفترين ، وتنزّه عن وساوس المتحيّرين ، وقد يكون المتعالي بمعنى العالي."(ابن منظور ، مادة علا) : المتعالي اسم فاعل قياسي على وزن المُتَفَاعِل من العلو ، (الزجاج ، 1975 : 16) وفعله تَعَالَى ، أي تَرَفَّعَ،(ابن منظور ، مادة علا) وهو بمعنى الفعل علا؛ إذ اتفق تعالى مع مجرده علا في المعنى.(أبوحيان ، 1998 : 1 / 172)

📖 ـ المؤتفكة في قوله تعالى ((الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى)) (النجم ، آية 52) : مدائن قوم لوط . عليه السلام . ائتفكت بهم أي انقلبت ، وصار عاليها سافلها ، ومُؤْتَفِكَة ، وصفٌ مشتقٌّ من مادة الهمزة والفاء والكاف؛ "يقال : أَفَكْتُهُ؛ أي قلبتُه وصرفتُه،"(القرطبي ، د.ت : 17 / 120) وائتفكت بهم الأرض؛ أي انقلبت،(ابن منظور ، مادة أفك) ومُؤْتَفِكٌ على وزن مُفْتَعِل ، اسم فاعل ، وفي ذلك دلالة على أنَّ ما وقع لهم من العذاب بظلم من أنفسهم بسبب عصيان أوامرالله ـ عز وجل ـ ولذلك جاء الاسم في صيغة اسم الفاعل ، ولم يأتِ في صيغة اسم مفعول؛ مع أنَّ الفاعل الحقيقي جبريل ـ عليه السلام ـ بأمر من الله ـ جلَّ في علاه ـ جاء في التفسير أنَّ و"جبريل ـ عليه السلام ـ احتمل

قريات قوم لوط حتى رفعها إلى السماء ثم أهواها."(الفراء ، 1980 : 3 / 103) وبهذا تكون المؤتفكة اسم فاعل قياسي من غير الثلاثي.

خاتمة

نتائج البحث:

- لعله من التسهيل في دراسة أبنية اسم الفاعل والصفة المشبهة ، استبعاد مصطلح الصفة المشبهة من الدرس الصرفي ، وجعله مصطلحا نحويا على النحو الذي عرضه ابن مالك في ألفيته.
- تُدرس أبنية اسم الفاعل على النحو الآتي :

1 . اسم فاعل مشتق من الفعل المتعدي ، سواء أ كان فعله ثلاثيا أم لم يكن كذلك. مثل ضربه وهو ضارب ، وأخرجه وهو مُخرِج.

2 . اسم فاعل مشتق من الفعل اللازم ، سواء أ كان فعله ثلاثيا أم لم يكن كذلك. مثل عظم وهو عظيم ، وانكسر وهو منكسِر.

- اسم الفاعل نوعان :

1 . قياسي : مشتق من الثلاثي المتعدي على وزن فاعل ، ومن غير الثلاثي على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل آخره.

2 . سماعي : مشتق من الثلاثي اللازم.

- إذا دلّ الوصف في السياق على الفاعل حقيقة أو مجازا فهو اسم فاعل ، فإذا كانت الدلالة حقيقية مثل : سمع زيد القول ، وزيد سامع؛ فسامع اسم فاعل قياسي ، ويمكن مبالغته بسميع ، وإذا كانت الدلالة مجازية مثل : صَعُب الأمر ، والأمر صَعْبٌ؛ فصعبٌ اسم فاعل غير قياسي.
- إذا استُبْعِد مصطلح الصفة المشبهة من دراسة الأبنية ، واستُعْمِل في النحو فقط ، ودُرِستْ أبنية الصفة المشبهة في باب اسم الفاعل تبعا لابن مالك ومن تبعه ، فستكون دراسةُ باب اسم الفاعل قسمين : الأول :اسم الفاعل القياسي ، والآخر : اسم الفاعل غير القياسي؛ وبذلك يقع في الحسبان أنه سيَسْهُل على الدارس البحث في أبنية الفاعل من خلال السياق ، وما يعطيه من دلالة ، وبهذا ستَخْرُجُ دراسة الأبنية الصرفية من القوالب الجامدة إلى دراسة معنى الأبنية من خلال السياق.
- الاسم المشتق من الفعل غير الثلاثي ، والدالُّ على من قام بالفعل أو اتصف به ، اسم فاعل قياسيّ سواء أكان الفعل لازما أم كان متعديا. مثل : مُخْرِج ، ومُفَكِّر ، ومُلاكِم ، ومُتفائل ، ومُتعبِد.

مصادر البحث ومراجعه

1. إبـراهيم مصـطفى ، وآخـرون : المعجـم الوسـيط ، دار المعـارف ، القـاهرة ، ط:2 ، 1972م.
2. د. أحمد مختار عمر : أسماء الله الحسنى ، دراسة في البنية والدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط : 1 ، 1997 م.
3. الأستراباذي ، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن :

أ . شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق الأساتذة : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، 1982م.

ب . شرح الرضي على الكافية ، تصحيح وتعليق : د. يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط : 2 ، 1996م.

4. البيهقي ، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي : الأسماء والصفات ، تحقيق : الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي.
5. الجوهري ، إسماعيل بن حماد : الصِّحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط : 2 ، 1982 م .
6. الحريري ، أبو القاسم محمد بن علي بن محمد : شرح ملحة الإعراب ، تحقيق : كامل مصطفى الهنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، 2002م.
7. أبوحيان ، محمد بن يوسف :

أ . إرتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق : د.رجب عثمان محمد ، مراجعة : رمضان عبد التواب ، مطبعة المدني ، ط : 1 ، 1998 م.

ب . تفسير البحر المحيط ، دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه : د. زكريا عبد المجيد النوتي ، ود.أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط :1 ، 1993م.

8. د. خديجة الحديثي : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، مكتبة النهضة بغداد ، ط : 1 ، 1965م.
9. أ. رؤوف أبوسعدة : من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن ، دار الهلال ، 1993 م ، د.ت.
10. الزجاج الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري : تفسير أسماء الله الحسنى ، تحقيق : د. أحمد يوسف الدقاق ، مطبعة هاشم الكتبي ، 1975م.
11. الزمخشري ، محمود بن عمر : المفصل في صنعة الإعراب ، تحقيق وتعليق : د. محمد محمد عبد المقصود ، و د. حسن محمد عبد المقصود ، تقديم : د. محمود فهمي حجازي ، 2000م.
12. سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون (ج 1) دار القلم ، (ج 2) دار الكاتب العربي ، (ج 3 ، ج 4) الهيأة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1966 م/1968م/1973م/1975م.

13. ابن سيدة ، علي بن إسماعيل : المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فرّاج ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط : 1 ، 1958 م.

14. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : همع الهوامع ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة.

15. الضحاك بن مزاحم : تفسير الضحاك ، جمع ودراسة وتحقيق : د. محمد شكري أحمد الزاويتي ، دار السلام ، القاهرة ، ط : 1 ، 1999م.

16. ابن عقيل : شرح ابن عقيل ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، 1990م.

17. د. علي أبو المكارم : التعريف بالتصريف ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط : 1 ، 2007م.

18. العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد : شرح المراح في التصريف ، حققه وعلق عليه د. عبد الستار جواد ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط : 1 ، 2007م.

19. الغزالي ، أبوحامد الغزالي : المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، تحقيق : د. محمد عثمان الخشت ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، 2001 م.

20. ابن فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط : 3 ،1981 م.

21. الفارابي ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم : ديوان الأدب ، تحقيق : د.أحمد مختار عمر ، مراجعة : د. إبراهيم أنيس ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط : 1 ، 2003 م.

22. د. فاضل صالح السامرائي : معاني الأبنية في العربية ، دار عمار ، عمان ، ط : 2 ، 2007م.

23. الفراء ، أبو كرياء يحيى بن زياد : معاني القرآن ، تحقيق : د. أحمد يوسف نجاتي ، د. محمد علي النجار ، الهيأة المصرية للكتاب ، ط : 2 ، 1980م.

24. القرطبي ، أبوعبد الله محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.

25. ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر : أسماء الله الحسنى ، تحقيق : الشيخ محمد أحمد عيسى ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، ط : 1 ، 2005 م.

26. ابن مالك ، جمال الدين محمد بن عبد الله : شرح التسهيل ، تحقيق : د.عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي مختون ، دار الهجر ، ط : 1 ، 1990 م.

27. ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار الفكر ، بيروت ، ط : 3 ، 1994 م.

28. ابن يعيش ، موفق الدين بن علي : شرح المفصل ، المطبعة المنيرية ، مصر ، د.ت.

المدح في شعر القُطاميّ

د. يونس إبراهيم أبو مصطفى

أستاذ الأدب العربي القديم – المشارك

جامعة بنغازي – كلية التّربية – بنغازي

البريد الالكتروني :

younis_ibrahim2008@yahoo.com

ملخّص البحث :

تدور هذه الدّراسة حول المدح في شعر القُطاميّ الشّاعر الأمويّ ، الّذي لم يحظَ بشهرة كأقرانه آنذاك ، ومع ذلك أثنى عليه النّقاد والدّارسون القدماء و المحدثون ، وقد احتلّ المدح جانباً كبيراً من شعره ، ومدح شخصيات مهمّة ، من أجل تحقيق أهداف بعينها ، مدح كلّ شخص بما فيه ، فهو خبير بالأمور الّتي تحرّك العطاء ، خبير بالمواصفات والتّقاليد الّتي جرى عليها مدح الخلفاء والأمراء ، وسار على خُطا من سبقوه ، وكان ملتزماً بالمواصفات الشّعرية القديمة ، واكتفى بتكرار المعاني الّتي طرّقها المادحون قبله مع شيء يسير من التّجديد والتّميّز .

واللافت أنّ شعر مدحه يُقسّم – تقريباً – إلى ثلاثة أقسام :

الأوّل : صدر عن إخلاص صادق ، نابع من قلب مفعم بالوفاء والاعتراف بالجميل .

والآخر : قصد به العطاء وطلب الجائزة .

والأخير : كان هدفه خدمة العصبيّة القبليّة .

Abstract :

The praise In the poetry of Al-Qutami

This study revolves around the praise in the poetry of Al-Qutami, an Umayyad poet. Although he did not achieve as much fame as his fellows did at the time, he was acclaimed by ancient critics and recent scholars. Praise was actually occupied a significant part of his poetry. As he had the expertise to inspire generosity, he praised important leading figures in order to achieve certain goals. However, he also praised people for whatever personal quality they actually had. In fact that he Knew the specifications and traditions that were used in praising the caliphs and emirs. Nonetheless; he confined himself to the ancient poetic specifications that followed by his predecessors, and he also contented himself with methods of repeating meanings that were raised by them with very little modernization.

It is noted that his praise can be divided into three parts:

The first : Released by the dedication stems from a sincere heart full of fulfillment and gratefulness,

And the other : Intended for gifts and generous donations,

And last : Aimed at serving tribalism

المقدّمة :

الحمد لله على جلائل نعمه ، وفواضل آلائه وقسمه ، والرّغبة إليه فيما يزلف لديه ، ويمهّد المنزلة عنده ، ويوجب الحظوة عنده ، والصّلاة على خير بريته محمّد ﷺ وعترته .

سبب الاختيار : القُطاميّ عُمير بن شُيَيم شاعر إسلامي ، محبّ للسّلام والوئام (الأصفهاني ، 1992 : 24 / 21 ، وما بعدها) ، حريص على اجتماع الشّمل ، محبّ لقبيلته يمدحها ، يفتخر بها ، يشارك في أيامها ، يُمجّد شجاعتها ، وفيّ معترف بالجميل ، يحيط به غموض باتّصاله الفعليّ بممدوحيه ، وهو حلقة في سلسلة الغموض الّذي يحيط بحياته عموماً .

لم يحظَ بشهرة كأقرانه أمثال جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، ولم يلتفت إليه النّاس ، ذلك أنّه لم يتّصل بالسّياسة والحاكمين ، ومن ثم لم تُسلط عليه الأضواء آنذاك ، ومع ذلك أثنى عليه النّقاد القدماء ، فقد جعله ابن سلّام في الطّبقة الثّانية من شعراء الإسلام مع البَعيث ، وكُثيّر ، وذي الرُّمة ، فقال عنه : " كان القُطاميّ شاعراً فحلاً ، رقيق الحواشي ، حلو الشعر " (ابن سلام الجمحي ، 2001 : 65) .

ووصفه ابن قتيبة في كتابه : الشّعر والشّعراء بأنّه : " كان حسن التّشبيب رقيقه " (ابن قتيبة ، 1952 : 2 / 723) .

أمّا المرزباني في معجم الشّعراء ، فقد ذكر أنّه : " كان شاعراً فحلاً ، رقيق حواشي الكلام ، كثير الأمثال في شعره " (المرزباني ، 2005 : 102) .

أهميّة الدّراسة : تهدف هذه الدّراسة إلى التّعرّف على منهج القُطاميّ في مدحه ، فقد احتلّ المدح جانباً كبيراً من شعره ، ولمعت في ديوانه أسماء مشهورة ، وهنا نتساءل : هل كان مدحه لهؤلاء من أجل المنفعة الذّاتية ، والمصلحة الشّخصيّة ؟ أم كان من أجل العصبيّة القبليّة ؟ أكان مدحه سياسياً لإثبات حقّ بني أميّة في الخلافة إذ إنّهم – كما زعموا – خلفاء الله في الأرض ؟ وبعبارة أخرى أيدخل مدحه في إطار النّفاق السّياسيّ من أجل تحقيق مآرب مختلفة ؟ أم كان مدحه ردّاً للجميل ، ويصب في معين الوفاء والاعتراف بالفضل ، وهل اتّسم بالإخلاص والوفاء والصّدق لكلّ ممدوحيه ؟ وهل ثمة تفاعل حقيقي بينه وبين ممدوحيه ؟ وهل مدحهم بما فيهم؟

وهل تميّز في مدائحه ؟ هل جارى شعراء ما قبل الإسلام ، وسار على منوالهم متأثّراً ببيئته الّتي عاش فيها ؟ أم أنّه تأثّر بشعراء عصره وتعاليم الدّين الإسلامي الحنيف .

وما السّر في أنّ معظم مدائحه أُستهلت بالوقوف على الأطلال ؟

كل هذه التّساؤلات يجيب عنيها البحث ، ويكشف عنها النّقاب ، وتوضّح فلسفته في المدح .

الدّراسات السّابقة : حظي شاعرنا باهتمام عدد من الدّارسين من العرب والمستشرقين قديماً وحديثاً ، وممّن أرّخوا لتاريخ الشّعر العربي ، فمنهم من ترجم له أمثال : د. عمر فرّوخ ، ود. شوقي ضيف ، وجرجي زيدان ، وكارل بروكلمان ، ورجيس بلاشير ، ولويس شيخو ، وهناك مؤلّفات اهتمّت بعرض جانب من شعره ، فقد أفرد د. محمّد مصطفى هدارة في كتابه : " دراسات في الشّعر العربي : تحليل لظواهر أدبية وشعراء " حديثاً حول موقفه من الحرب ، واستعرض د. زكي المحاسنيّ في كتابه : " شعر الحرب في أدب العرب " دوره في حرب قبيلته ، و تعرّض له د. عبد القادر القط في كتابة : " في الشّعر الإسلاميّ والأمويّ " في إطار حديثه عن بعض القضايا الفنيّة والأدبيّة ، وتناول حياته وشعره ، د. زكي عابدين غريب في كتابه : " القطامي حياته وشعره " ، بينما تحدّثت مرزوقة عبد الله الغيابي عن " التّصوير البيانيّ في شعر القُطاميّ " دراسة وتحليل " ، وكتب د. نزيه كسيبي بحثاً بعنوان : " البعد الفلسفي في شعر القُطاميّ " .

ولعلّ أهم المصادر والمراجع الّتي اعتمد عليها الباحث ديوان القُطاميّ ، تحقيق د. إبراهيم السّامرائي ، وأحمد مطلوب ، وديوان القُطاميّ دراسة وتحقيق د. محمود الرّبيعيّ ، والأغاني للأصفهانيّ ، ولم أتمكن من الحصول على كتاب القُطاميّ حياته وشعره د. زكي عابدين غريب.

خطة البحث : يحتوي البحث مقدّمة ، وفصلين ، تناول الفصل الأوّل معنى المدح لغة واصطلاحاً ، والمدح السّياسي في عصر بني أميّة ، بينما كان الفصل الثّاني عن معاني المدح عنده المتمثّلة في الشّجاعة ، وكرم اليد ، وكرم الأصل ، والسّيادة وغيرها من معاني المدح ، وقد ذُيّل البحث بخاتمة أظهرت أهم ما توّصل إليه البحث من نتائج .

هذا وقد واجه البحث عدّة صعوبات ، لعلّ أهمها تداخل مدحه ، تارة بالممدوح ، وأخرى بقوم الممدوح ، وثالثة أنّه يخصّ قومه بالمدح والثّناء ، أما الصّعوبة الأخرى الجديرة برصدها ، وأجد صعوبة في التّعبير عنها ، فقد شرعت في قراءة الدّيوان للوقوف على معاني المدح عند شاعرنا ، وانقطعت عن القراءة بسبب الظّرف الاستثنائي الّذي عاشته البلاد ، وكلّما عدّت للدّراسة والبحث تزيغ الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر تتوقّف عجلة التّفكير والتّركيز ، يُصاب الفهم والقريحة ، كيف لا ، ونحن نقطن في مكان جدّ خطير ، شاهد أمين بالأدلّة والبراهين على ما نقول ، لكن الاستعانة بالصّبر والصّلاة والدّعاء ذلّلت هذه الصّعوبة ، فوصل البحث إلى ما وصل إليه.

منهجية البحث : اعتمد البحث على المنهج الوصفي التّحليلي .

لقد بذلت غاية الجهد ، وحاولت مخلصاً أن أبلغ ما أتمناه من جعل هذا البحث رصيناً جديراً بالقبول ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب .

الفصل الأوّل

المدح السّياسي في عصر بني أمية

يُعدّ المدح في عصر ما قبل الإسلام من أهم الموضوعات ، من غير أن يطغى على سائر الفنون ، فقد أثنى الشّعراء على مناقب قبائلهم وساداتها ، وكانوا كثيرا ما يمدحون القبيلة الّتي يجدون فيها كرم الجوار ، والعزّة والإباء ، والشّجاعة والكرم ، (يُنظر ، على سبيل المثال المفضّل الضّبي ، 1920 : 59 ، 98 ، 99 ، 254 ، 599 ، 750) ، ويذكرون مناقب السّادة ، حيث : الشّجاعة والإقدام ، والحزم والعزم ، والحلم ، ورجاحة العقل ، وإغاثة الملهوف ، ونصرة المظلوم ، فهو ضرب من الفخر .

وقد يكون المدح خدمة للقبيلة ، وخير مثال على ذلك ما فعله دريد بن الصّمة سيد جشم ابن بكر ، وفارسهم ، إذ مدح قوماً أغاروا على قومه ، فحملهم على ردّ السّبايا وفك الأسرى ، وردّ الأموال بعد أن عجز عن ردّها بالقوّة (يُنظر ، أبو حاقّة ، 1962 : ، 59 وما بعدها ، ويُنظر ، الخبر والأبيات في الأصفهاني ، 1992 : 10 / 37 – 38) .

ومن المديح الجاهليّ ، ما نُظم في تمجيد الأحلاف ، حفاظاً على قوّة القبيلة المتحالفة ، وتهديداً لأعدائها ، وقد يوجّه المديح إلى ملك ، أو زعيم ، رجاء اكتسابه في جانب قبيلة الشّاعر ، أو رجاء الإفراج عن جماعة من قبيلته قُبض عليهم لذنب اقترفوه ، فكان المديح شفاعة لهم . يُنظر ، (أبو حاقة ، 1962 :51 وما بعدها).

وكان بعض السّادة تمتد مآثرهم إلى من حولهم من القبائل ، فكان بعض الشّعراء يمدحونهم اعترافاً بمكرماتهم وشكراً لصنيعهم ، كأن يفكّوا أسيراً ، على نحو ما فعل خالد بن أنمار ابن أخت المثقّب العبديّ ، فكان جزاؤه منه مدحة جيدة ، منها قوله :

باكِرُ الجَفنَةِ رِبعِيُّ النَدى حَسَنٌ مَجلِسُهُ غَيرُ لُطَم
(المفضّل الضّبي ، 1920 : 592) .

والجدير بالذّكر أنّ قضية التّكسب بالمدح شغلت النّقاد والدّارسين قديماً وحديثاً في هذا العصر .

ذكر ابن رشيق أنّ النّابغة الذّبياني أوّل المتكسّبين بالشّعر ، وقد خضع للنّعمان بن المنذر ، وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته ، أو من سار إليه من ملوك الغساسنة ، فسقطت منزلته ، وتكسّب مالاً وفيراً حتّى كان أكله وشربه في صحاف الذّهب والفضّة ، (يُنظر ، ابن رشيق ، 2006 : 1 / 70) وذهب ابن قتيبة إلى أن الشّاعر الجاهليّ كان يستهلّ قصيدته بالوقوف على الأطلال وبكاء الدّيار ووصف الرّحلة في الصّحراء ، وما يعانيه من متاعب وما يُلاقيه من مكاره ، ثم يبدأ بالمدح ويهزّ ممدوحه للسّماع ويبعثه على المكافأة . يُنظر، (ابن قتيبة 1958 : 1 / 74 – 75) .

أغلب الظّن أنّ كثيراً من شعراء هذا العصر مدحوا ساداتهم وكبراءهم لجميل صنعوه ، أو معروف أسدوه ، والسّادة كُثر ، ومآثرهم متعدّدة ، وقيمهم متنوّعة ، وبطولاتهم نادرة ، فلا عجب أن ينبري شاعر القبيلة مادحاً ، معتزّاً بهذه المناقب والمآثر ، مفتخراً بها ، فهو جزء منهم ، وهو لسان حال قبيلته ، والنّاطق الرّسميّ باسمها ، ووسيلتها الإعلاميّة ، وربما ينال نصيباً من حال هؤلاء السّادة ، وغيرهم من الملوك ، لكن هل كل الشّعراء فعلوا ذلك ؟ هل فعلوا ذلك من أوائل العصر ؟ ذكر د . شوقي ضيف أنّ الشّعراء اتّخذوا وسيلة للكسب في أواخر العصر الجاهليّ ، فهؤلاء قدموا إلى السّادة لنيل جوائزهم وعطاياهم الجزلة ، وقد اشتهر بذلك : زهير بن أبي سلمى ، والنّابغة الذّبياني ، وحسّان بن ثابت ، وقد افتخر زهير بأشراف قومه ، وحسّان بالغساسنة ، والنّابغة اختصّ بالنّعمان بن المنذر . يُنظر، (د . ضيف ، 1960 : 211) .

وتناول أبو حاقّة هذه القضية بشيء من التّفصيل ، ورأى أنّ ظهور التّكسّب بالمدح منذ الجاهلية ، فقد عرفه زهير بن أبي سُلمى ، والملتمس ، وطرفة بن العبد ، والمنخل اليشكريّ ، والحطيأة ، ومن لفّ لفيفهم ، ولكن هؤلاء بمجملهم على شيء من عفّة النّفس ، يغلب على طابعهم الأنفة في السّؤال ، وقلّة التّعرّض لما في أيدي النّاس (يُنظر ، أبو حاقّة ، 1962 : 40 – 41) ، وأضاف أنّ المديح المكتسب جاء في الجاهلية نتيجة للتّطوّر الّذي أصاب المجتمع ، وعلاقة الفرد بالآخرين في داخل القبيلة وخارجها (يُنظر ، أبو حاقّة ، 1962 : 41) ، فقد اتّخذ المناذرة المديح وسيلة للدّعاية لهم في القبائل ، فكثر الشّعراء حولهم ، وأخذ يموج بلاطهم بهم منذ عمرو بن هند ، وكان النّعمان بن المنذر ممدحاً للشّعراء ، وانتهى هذا الفن إلى الأعشى ، فأصبح حرفة خالصة للتّكسّب إذ لم يترك الأعشى ملكاً ولا سيّداً مشهوراً في أنحاء الجزيرة إلا وقصده ومدحه من أجل العطاء . يُنظر ، (د. ضيف ، 1960 : 211 – 212 ، أبو حاقّة ، 1962 : 52 ، وما بعدها ، ود. حسين ، بلا تاريخ : 102) .

لا يُنكر ذلك د. يحيى الجبوريّ ، ولكن بتحفّظ ، وقد علّق على قول ابن قتيبة السّابق بأنّه يصدق على الشّعر الأمويّ ، الّذي صار فيه الشّعر وسيلة للارتزاق ، وأمّا الشّعر الجاهليّ ، فلم يظنّ فيه من الّذين سألوا الشّعر أو مدحوا تكسّباً ، غير الحطيأة والأعشى ، واستثنى النّابغة الّذي ظنّ أنّ مديحه للملوك كان سياسياً في سبيل قومه ، أضاف أنّ القصائد الجاهليّة الطويلة التي أُستهلت بمقدّمات طلليلة أو غزلية لم تتّصل أكثرها بالمدح ، فقد كانت فخراً وهجاءً ووصفاً وعتاباً واعتذاراً ، وحتّى المديح الجاهليّ كان مديحاً للقبيلة وهو ضرب من الفخر ، وما كانت غاية الشّاعر أن يهزّ السّامعين للعطاء ، بل ما كانت غايته أن يُرضي السّامعين بقدر ما كان هدفه التّعبير عن خلجات نفسه وتصوير عواطفه ومشاعره . (د. الجبوريّ ، 1993 : 149) .

لا شكّ في أنّ هذا الرّأي يصدق على من مدح سادات قومه ، وعلى رأسهم زهير بن أبي سلمى ، لا على الّذين تجشّموا وعثاء السّفر من أجل الوصول إلى الملوك ومدحهم من أجل الكسب والعطاء ، لذا رأى أنّ كثيراً من المدح الجاهليّ لاسيما في أوائل هذا العصر لم يكن من أجل المكافأة ، بل من أجل الإشادة بالبطولات والمآثر ، والاعتزاز بها ، ممّا يؤكّد أنّ هذا المديح كان ضرباً من الفخر ، يعبّر عنه بكل صدق وموضوعيّة ، وأنّ قلّة من الشّعراء مدحوا من أجل المال ، بخاصّة في أوائل هذا العصر .

وفي صدر الإسلام ظهر تيار جديد في المديح ، وهو مدح الرّسول ﷺ ، برزت بعض معاني المديح الجديدة المنطلقة من قيم الدّين الإسلاميّ ، ومن قيم المجتمع الجاهليّ الّذي تطوّرت ونمّت ، واكتسبت النّموذجيّة ، ومُنحت الامتداد والعمق ؛ لأنّها موصولة بالكمال الإلهيّ المطلق .

ومن أوضح نماذجه لاميّة كعب بن زهير ، منها قوله :

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ ال ... قُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ
إِنَّ الرَّسولَ لَسَيفٌ يُستَضاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ مَسلولُ

(ابن زهير ، 1997 : 65 – 67 ، ويُنظر ديوان ابن ثابت ، 1994 : في مدح الرّسول ﷺ ، 20 – 21 ، 54 ، 55 ، 56) .

ولم يكن مديح الرّسول ﷺ مديحاً لشخصه الكريم وذاته بقدر ما هو مديح لمكانته ونبوّته وتوكيداً للرّسالة السّماوية الّتي بُعث لنشرها بين النّاس هادياً ومبشّراً ونذيراً وداعياً إلى الله ﷻ وسراجاً منيراً ، لذا أُعجب عليه السلام بقول عبد الله بن رواحة :

فَثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِن حَسَنٍ ... تَثبيتَ موسى وَنصراً كَالَّذي نَصَروا

(ابن سلّام الجمحي ، 2001 : 175) .

لقد دبّج شعراء هذا العصر قصائد في مدح الرّسول ﷺ وخلفائه الرّاشدين ، وصحابته الغُرّ الميامين ، لمعت فيها المعاني الإسلاميّة حيث : التّقوى ، والوفاء ، والالتزام بالدّين الجديد وتعاليمه ، والجهاد في سبيل الله من أجل تحقيق أهداف سامية وغايات نبيلة ، وهذا يعني أنّهم اهتموا بالفضائل المعنوية أكثر من اهتمامهم بالصّفات الحسيّة ، ونكاد نجزم بأنّ هؤلاء مدحوا من أجل المدح ، لا من أجل الكسب والعطاء .

وفي عصر بني أميّة فُتحَ باب المديح على مصراعيه في ظل ظروف سياسيّة عاصفة ، وصراع مرير على السّلطة بين الأحزاب وعلى رأسها الحزب الحاكم (بنو أميّة) ، وواقع اجتماعي استثنائي ، حيث الثّراء وكثرة الأموال في خزائن الخلفاء والولاة ، الذين أفسحوا مجالسهم للشّعراء ، وأغدقوا عليهم بالعطاء ، الّذي حرّك نفوسهم ، وأفعم مشاعرهم ، وازداد شعر المديح في هذا العصر أهميّة ، واُستلت الألسنة الصّوارم ، وكَثُر الحوار والجدال بين شعراء الأحزاب ، ونُظمت القصائد القصار والطّوال ؛ لإحقاق حقّ وإبطال باطل ، ورفع أقوام وخفض آخرين بالحجّة والبراهين .

دافع كثير من الشّعراء على أحقيّة بني أميّة في الخلافة ، إذ إنّهم خلفاء الله في الأرض وأنّهم على درجة رفيعة من التّقوى والعدل والاستقامة ، وحسن إدارة الدّولة ، وقد استغلّوا مواهبهم الشّعريّة ، وقدراتهم الفنيّة والسّياسيّة ، والدّين لإثبات هذا الحقّ ، وقد أفاض د . شوقي ضيف في الحديث عن شعراء المديح في هذا العصر (يُنظر ، د . ضيف ، 1963 : 215 – 223) .

وقد وفد هؤلاء الشّعراء من كل صوب وحدب إلى الشّام يزاحمون شعراء الشّام ، كان عديّ بن الرّقاع حضريّاً دمشقيّاً كما قال عنه الأصفهانيّ (الأصفهانيّ ، 1992 : 9 / 307) ، ومن أهل البوادي والقرى وفد أبو صخر الهذليّ ، الّذي كان موالياً لبني مروان متعصّباً لهم ، وله في

عبد الملك بن مروان مدائح (الأصفهانيّ ، 1992 : 21 / 94 – 95) ومن هؤلاء أعشى ربيعة ، وقد كان مروانيّ المذهب شديد التّعصب لبني أميّة ، وله مدح في عبد الملك بن مروان . (الأصفهانيّ ، 1992 : 6 / 154) .

وتدخل النّابغة الشّيبانيّ في السّياسة العليا لدولة بني أميّة (الأصفهانيّ ، 1992 : 7 / 106 وما بعدها) ، وفي مدحه عمر بن عبد العزيز بيّن أنّ الخلافة ابتدأت ببني أميّة وبهم انتهت يُنظر ، (شيخو ، بلا تاريخ : 155) .

ومن الفحول الّذين كانوا يفدون من البادية ويمدحون ويسهمون في السّياسة : جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، والرّاعي النّميريّ ، والقُطاميّ .

قبل أن نتحدّث عن هؤلاء الفحول جدير بنا أن نذكر أنّ أحزاباً دينيّة لم تصطبغ بالسّياسة قد ظهرت في هذا العصر منها : المرجئة ، والجبريّة ، والمعتزلة أو القدريّة (د . الحوفي ، 1969 : 262 – 263) ، وقد آمن خلفاء بني أميّة بالجبرية ، الّذين ذهبوا إلى أن كلّ شيء بقضاء الله وقدره ، ولا مفرّ من هذا القضاء ، وفي ذلك تأييد ضمني لبني أميّة ، لأنّها توحي أنّ حكمهم مقدور ولا يصحّ للمسلمين أن يقاوموهم ، أو يعصوهم .

وصنّف جرير عبد الملك بن مروان بأنّه ركن الدّين ، والحفيظ على أحكام الدّين ، ولولاه ما اجتمع المسلمون في صلواتهم بالمسجد ، وأمين الله ، مبارك يهدي به الله عباده ، وأوامره ميمونة مطاعة ، وقد فضّل الله ﷻ بني أميّة على غيرهم من أهل البدع ، أي من الأحزاب المعارضة : (الخوارج ، والشّيعة ، والزّبيريين) ، إذ يقول :

لَـولا الخَليـفَـةُ وَالقُـرآنُ يقـرَؤهُ ... ما قامَ لِلنّاسِ أَحكامٌ وَلا جُمَعُ
أَنتَ الأَمينُ أَمينُ اللَّهِ لا سَرِفٌ ... فيمـا وَليتَ وَلا هَيّابَـةٌ وَرِعُ
أَنتَ المُبارَكُ يَهدي اللَّهُ شيعَتَهُ ... إِذا تَفَرَّقَـتِ الأَهـواءُ وَالشِّيَعُ
فَكُلُّ أَمرٍ عَلى يُمنٍ أَمَرتَ بِهِ ... فينـا مُطاعٌ وَمَهما قُلتَ مُستَمَتَعُ
يـا آلَ مَروانَ إِنَّ اللَّـهَ فَضَّلَكُـم ... فَضلاً عَظيماً عَلى مَن دينُهُ البِدَعُ
(جرير ، بلا تاريخ : 278)

امتزج عنصر الدّعاية بالمديح الشّخصيّ في شعر سياسيّ ، يجمع بين الدّين والسّياسة من خلال رؤية قدريّة طواها طيّاً في بيت واحد في زحام حديثه عن زهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وتقواه وورعه وتديّنه (د. خليف ، 1989 : 281) ، إذ يقول :

أَنتَ المُبـارَكُ وَالمَهـدِيُّ سيرَتُهُ ... تَعصي الهَوى وَتَقومُ اللَّيلَ بِالسُّوَرِ
أَصبَحتَ لِلمِنبَرِ المَعمورِ مَجلِسُهُ ... زَينـاً وَزَينَ قِبابِ المُلكِ وَالحُجَرِ
نالَ الخِلافَةَ إِذ كانَت لَهُ قَدَراً ... كَما أَتى رَبَّهُ موسى عَلى قَدَرِ
(جرير ، بلا تاريخ : 211) .

الخليفة لم ينل الولاية إلا بقضاء من الله لا بديل له كما قال الشّاعر نفسه في مدح عبد الملك بن مروان :

وفي هذا الإطار احتجّ الفرزدق لبني أميّة بأنهم الخلفاء الذين اختارهم الله ، فقال في مدحه لعبد الملك بن مروان :

فَالأَرضُ لِلَّهِ وَلّاها خَليفَتُهُ ... وَصاحِبُ اللَّهِ فيها غَيرُ مَغلوبِ
(الفرزدق ، 1997 : 49) .

وبالغ الفرزدق إذ زعم أنّه لو كان بعد النّبيّ ﷺ نبيّ ، لكان يزيد بن عبد الملك هو النّبي ، يقول :

وَلَو كانَ بَعدَ المُصطَفى مِن عِبادِهِ نَبِيٌّ لَهُم مِنهُم لِأَمرِ العَزائِمِ
لَكُنتَ الَّذي يَختارُهُ اللَّهُ بَعدَهُ لِحَملِ الأَماناتِ الثِّقالِ العَظائِمِ
وَرِثتُم خَليلَ اللَّهِ كُلَّ خِزانَةً وَكُلَّ كِتابٍ بِالنُّبُوَّةِ قائِمِ
وَحَبلُكَ حَبلُ اللَّهِ مَن يَعتَصِم بِهِ إِذا نالَهُ يَأخُذ بِهِ حَبلَ سالِمِ
(الفرزدق ، 1997 : 643 – 644)

وتبوّأ الأخطل النّصرانيّ مكانه متقدّمة عند خلفاء بني أميّة إذ لهج بأنّهم أحقّ المسلمين بالخلافة ، وأنّ الله اصطفاهم ، فهم خلفاؤه على الأرض ، وهم العصم الّذي استمّسك بها المسلمون فيجتمع أمرهم ، يقول في مدح ولدّي معاوية بن أبي سفيان :

تَمَّت جُدودُهُمُ وَاللَّهُ فَضَّلَهُم وَجَدُّ قَومٍ سِواهُم خامِلٌ نَكِدُ
وَيَومَ صِفّينَ وَالأَبصارُ خاشِعَةً أَمَدَّهُم إِذ دَعَوا مِن رَبِّهِم مَدَدُ
وَأَنتُمُ أَهلُ بَيتٍ لا يُوازِنُهُم بَيتٌ إِذا عُدَّتِ الأَحسابُ وَالعَدَدُ
(الأخطل ، 1994 : 90 – 91) .

وقال في مدح عبد الملك بن مروان في قصيدة خفّ القطين :

إِلى اِمرِئٍ لا تُعَرّينا نَوافِلُهُ أَظفَرَهُ اللَّهُ فَليَهنِئ لَهُ الظَّفَرُ
الخائِضِ الغَمرَ وَالمَيمونِ طائِرُهُ خَليفَةِ اللَهِ يُستَسقى بِهِ المَطَرُ
وَالمُستَمِرُّ بِهِ أَمرُ الجَميعِ فَما يَعتَرُّهُ بَعدَ تَوكيدٍ لَهُ غَرَرُ
أَعطاهُمُ اللَهُ جَدّاً يُنصَرونَ بِهِ لا جَدَّ إِلّا صَغيرٌ بَعدُ مُحتَقَرُ
(الأخطل ، 1994 : 103 – 105) .

لقد أصبحت النّزعة الدّينية محوراً لارتكاز الشّعراء ، وقاسماً مشتركاً بينهم ، لإثبات حقّ بني أميّة بالخلافة ، فهم يلتقون في جوانب محدودة محورها قداسة الخلافة ، وصبغها بالطّابع الدّينيّ من منطلق جبريّ لا يقبل جدلاً ، وكأنّهم يوجّهون لوماً عامّاً لمن يثور عليهم . يُنظر ، (د. خليف ، 1989 : 117) .

وقد امتزجت هذه الصّبغة بالسّياسة ، وكأنّهم يعتنون عناية كبيرة بمركز الخليفة وأهميته في إدارة شؤون الدّولة الّذي يرتكز عليه ميزان الحقّ والعدالة والأمان ، وقد أفاضوا في ذلك لتأكيد سلطات الخليفة ، وفي استنباط الحجج والدّعاوى ، الّتي يستند عليها حقّه في ولاية الخلافة ، ويكاد القارئ يتعجّب من جهود هؤلاء الشّعراء في هذا السّبيل ، أموجهة هي لإقناع الممدوح أم لإقناع رعاياه ؟ والواقع أنّهم كانّوا على وعي تام بالدّعوة السّياسية الّتي كان عليهم نشرها ، ومن ثم تحوّر فن المديح التّقليدي الّذي كان يبرز فضائل المرء وخصاله الشّخصيّة ؛ ليصبح شعراً سياسيّاً يمتزج فيه عنصر الدّعاية بالمدح الشّخصيّ (د . قاسم ، 1972 : 161 – 162) .

وكأنّ هؤلاء الشّعراء يسهمون في سياسة الدّولة إسهاماً فعّالاً بمباركة من الخلفاء والحكام والولاة ، الّذين طاب لهم هذا المديح ، وأصبحوا على قناعة تامّة بأنّهم خلفاء الله في الأرض ، وأنّهم أحقّ من غيرهم ، بل غيرهم في ضلال مبين ، لذا أغدقوا على الشّعراء الّذين تجشّموا وعثاء السّفر من أجل العطاء ، بل إنّ كثيراً منهم كان يطلب العطاء صراحة ، دفاعاً عن فكرته الّتي آمن بها ، وهي فكرة تعكس في وضوح إطار السّياسة الأموية العامّة ، وتبرز أهمية الخليفة ، ويظهر فيها الصّدق الفنّي ، والصدق المذهبيّ.

وذهب الرّبيعيّ إلى أنّ شعرهم قد يبدو رائعاً فنّاً ، ولكن العقيدة لا تشعّ في كثير منه بوصفه فنّاً ، وهم معذورون في ذلك ، لأنّ الدّولة الأمويّة لم تَقُم على أساس من العقيدة ، بل قامت على أساس ماديّ ، ومن ثمّ اتّسم شعر المدح بالصّدق الفنيّ أكثر ما اتّسم بصدق الفكرة والعقيدة (يُنظر ، الرّبيعيّ ، 2001 : 83) ، كيف لا ، والفرزدق شيعيّ يؤمن إيماناً راسخاً بأحقيّة آل البيت بالخلافة ، ومدحه لبني أميّة طلباً للعطاء وتطبيقاً لمبدأ التّقية ، الّذي آمن به الشّيعة اتّقاء لغضب بني أميّة ، وبطشهم فمن يرفع رأسه آنذاك يُرفع بالسّيف ، والأخطل نصرانيّ لا يقبل أن تقوم الخلافة على أساس عقديّ دينيّ ، وقد كان من أقرب المقرّبين **إلى** خلفاء بني أميّة ، وتفوّق على جرير والفرزدق ، لذا رأى الشّايب أن " الشّعراء **الّذين** يمثّلون هذا الحزب الأموي أنّهم سايروا الملوك ، فكانوا على العموم نفعيين ، يمدحونهم طمعاً في العطاء أو خوفاً من العقاب ، وقلّما نجد من يمدحهم على أصل مذهبيّ " (الشّايب ، بلا تاريخ : 202).

لسنا بصدد الحديث عن الأساس الّذي قامت عليه الدّولة الأموية ، ولكن – باختصار شديد – لا نميل إلى ما ذهب إليه الرّبيعي ، أنّها لم تَقُم على أساس من العقيدة ، بغض النّظر عن تصرّفات بعض خلفائها .

من الطّبيعيّ أن يدلف البحث إلى مدح الأحزاب الأخرى المخاصمة للحزب الحاكم ، حيث الصّدق الانفعاليّ في مدح سياسيّ دينيّ مذهبيّ ، فالشّيعة اتّفقوا على أنّ الإمامة ليست من المصالح العامّة الّتي تفوّض إلى نظر الأمّة لانتخاب من تراه ، بل هي ركن الدّين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز للرّسل – عليهم السّلام – إغفاله واهماله ولا تفويضه إلى الأمّة ، بل يجب عليهم تعيين الإمام لهم (الشهرستانيّ ، 1975 : 1 / 146) ، ورأوا أنّ الخلافة يجب أن تكون في آل البيت وهم أحقّ بها ، لذا اتّهموا بني أميّة أنّهم اغتصبوا هذا الحقّ ، وقد دافعوا عنه ، وامتزج مديحهم بالدّين والسّياسة والمذهبيّة ، وتحوّل إلى مدح مرتبط بالدّعاية والتّرويج لمبادئهم الّتي آمنوا بها ، فالإمام من قريش ، ويجب أن تتوافر فيه صفات تؤهّله للإمامة منها : العدل ، والشّجاعة ، والعلم ، والزّهد ، والتّقوى ، والورع ، يقول الكميت في قصيدة تجاوزت المئة بيت في مدح بني هاشم وآل بيت النّبوة :

بل هَوَايَ الّذي أُجِنُّ وأُبدي ... لِبَنِي هَاشِمٍ فُرُوعِ الأنَامِ
رَاجِحِي الوَزنِ كَامِلِي العَدلِ في ... السِّيرةِ طَيِّبِينَ بالأُمورِ الجِشَامِ
أُسدُ حَربٍ غُيوثُ جَدبٍ بَهَالِيـ ... ـلُ مَقَاوِيلُ غَيرُ مـا أفـدَامِ
فهم الآخذون من ثقـة الأمـر ... بتقواهم وعُرى لا انفصام لها
سَاسَةٌ لا كَمَن يَرَى رَعيَةَ النّا ... سِ سَوَاءً وَرِعيَـةَ الأَنعَـامِ
لا كَعَبـدِ المَلِيكِ أو كَوَلِيـدٍ ... أو سُلَيمَانَ بَعدُ أو كَهِشَامِ
(الرّافعي ، بلا تاريخ : 22 – 26)

وفي ذلك تأكيد على حقّهم بالخلافة ، لذا تحوّل مديحهم إلى ضرب من الصّدق الانفعاليّ ، يقول أبو الأسود الدّؤليّ :

أُحِبُّ مُحَمَّداً حُبّاً شَديداً ... وَعَبّاسـاً وَحَمزَةَ وَالوصِيّـا
بَنـو عَـمّ النَبِيّ وَأَقرَبـوهُ ... أَحَبُّ الناسِ كُلّهِمُ إِلَيّا
أُحِبُّهُـمُ لِحُـبِّ اللَـهِ حَتّـى ... أَجيءَ إِذا بُعِثتُ عَلى هَوِيّا
(أبوالأسود الدّؤليّ ، 1998 : 119 – 120) .

مدح سياسيّ مشوب بعاطفة دينيّة عامّة ، وعاطفة شخصيّة يعكس من خلالها ذاته ، مدح فيه مقوّمات اعتمد عليها الشّاعر في تصوير دوافعه إلى حبّهم ، ورفض لوم من يلومه على هذا الحبّ الجارف لهم ، وكأنّ هذه الذّاتيّة تقوده إلى تحويل الموقف إلى ضرب من الجدل والحجاج

المنطقيّ – كما فعل شعراء بني أميّة دفاعاً عن حقّهم في الخلافة – ، ومن الحقّ أنّه يبدو بصدّد تصوير عواطف ومشاعر إنسانيّة ، يسيطر عليها المنطق ويتحكّم فيها ، وتغلب عليه الرّغبة في تحديد ملامحها ومبرراتها فيعرضها بين مقدّمات ونتائج ، وأدلّة وحجج وبراهين ، تدعم موقفه ، وتؤكّد صدق مشاعره . يُنظر ، (د. خليف 1989 : 140) .

من هذا المنطلق اتّسعت دائرة المفاضلات عندهم ، فصدرت أحكامهم موزّعة بين النّقيضين : صاحب الحقّ السّليب والمغتصِب ، والظالم والمظلوم ، وقد عرض أيمن بن خريم بن فاتك ضرباً من هذه المقارنة ، مصوّراً سلوك الشّيعة على لغة المادح (يُنظر ، أبو هلال العسكريّ ،1994 : 1 / 28 ، وهاشميات الكميت ، بلا تاريخ : 73 – 74) .

والخوارج الّذين كانوا رهباناً في اللّيل ، وفرساناً في النّهار ، غير أنّهم كفّروا غيرهم من المسلمين ، واستباحوا دماءهم ، أرادوا الجنّة ولكنّهم أخطأوا طريقها ، وقد برّأوا أنفسهم من شبهة المطالب السّياسيّة والطّموح الدّنيويّ إلى أمر الحكم ووجاهة الخلافة ، فكان الموقف الدّيني لهم أساساً لا يتجاوزه شعراؤهم ، ورأوا أنّ الخلافة حقّ لكلّ مسلم كفء عادل زاهد ، فلا يُشترط أن يكون الخليفة من قريش ، وليس لعربيّ دون أعجميّ . (الشّهرستانيّ ، 1975 : 1 / 107 ، و ابن الجوزيّ ، ، بلا تاريخ : 90) ، والخليفة ينتخبه المسلمون انتخاباً حرّاً ، ويُشترط فيه أن يكون أشدّ النّاس خشية لله وأكثرهم طاعة ، وأقواهم استمساكاً واتّباعاً لأحكامه .

ويبدو أنّ مدحهم – وربما رثاؤهم – أقرب إلى الفخر منه إلى المدح ، يقول الطّرماح :

لِلّهِ دَرُّ الشُّـراةِ إِنَّهُـمُ إذا الكَرى مالَ بِالطُّلى أَرِقوا
يُرَجِّعونَ الحَنينَ آونَـةً وَإِن عَلا ساعَةً بِهِم شَهَقوا
خَوفاً تَبينُ القُلوبُ واجِفَةً تَكادُ عَنها الصُّدورُ تَنفَلِقُ

(د . عباس ، 1974 : 238 – 239 ، ويُنظر ، 54 ، و56 – 57) ، وهم أهل تقوى وورع ، كما ذكر سميرة بن الجعد :

فَأَقبَلتُ نَحوَ اللهِ بِاللهِ واثِقاً وَما كُربَتي غَيرُ الإِلهِ بِفارِجِ

(د . عباس ، 1974 : 123 ، و 56 – 57) .

وهم يبيعون الله ﷻ نفوسهم للفوز بجنّات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار ، يقول قطري بن الفجاءة موضّحاً المنهج الّذي ساروا عليه ، وطبقوّه قولاً وفعلاً :

رَأَيتُ فِتيَةً باعوا الإِلهَ نُفوسَهُم بِجَنّاتِ عَدنٍ عِندَهُ وَنَعيمِ

(د . عباس ، 1974 : 107) .

وقد أضحى الموت عندهم أشهى إلى قلوبهم من العسل ، وفي ذلك تأكيد على أنّهم لا يسعون إلى مطلب دنيويّ ، فهم حريصون إلى الانتقال من دار البوار إلى دار القرار في جنات ونهر .

واتّخذ زعيم حزب عبد الله بن الزّبير وقائع كربلاء وسيلة لاستجماع مشاعر المسلمين حوله ، والانفراد بالخلافة دون بني أميّة ، وقد أضفى عليه عبد قيس بن الرّقيات ملامح دينيّة ما أغضب عبد الملك ، حيث يقول في قصيدة طويلة بلغت ستين بيتاً .

إِنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِن اللَّـ ـه تَجَلَّت عن وَجْهِهِ الظَّلْماءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ لَيْس فِيـه جَبَرُوتٌ ، كَلاَّ ولا كِبْرِياءُ
يَتَّقِي اللهَ في الأُمُورِ ، وقَدْ أَفـ ـلَحَ مَن كانَ دِينَهُ الاتِّقـاءُ

(ابن قيس الرّقيّات ، 1995 : 44 – 45)

ومضى يتغنّى بقريش غناءً سياسيّاً ، فجمع بين المدح ، والفخر ، والهجاء ، ودعا إلى توحيد القوم ، وتوحّد كلمتهم والتقاء موقفهم على سواء ، دون انقسام وراء الأهوال الّتي قد تُفسد عليهم قوّتهم ، وتُضعف موقفهم السّياسيّ ، فهو يخشى على قريش من أعدائها وهم كُثر يهدّدونها حقداً وحسداً على سلطانها وتميّزها الدّينيّ والسّياسيّ ، وقد عرض مبرّراته ودافعه من منطلق تميّزها الدّينيّ والسّياسيّ . (يُنظر ، ابن قيس الرّقيّات ، 1995 : 44 – 48) .

أما النّابغة الجعديّ ، فقد اتّخذ من سيرة ابن الزّبير امتداداً لمسيرة الرّاشدين الّتي مال عنها – حسب رأيه – خلفاء بني أميّة ، يقول :

حَكَيتَ لَنا الصِدّيـقَ لَمّـا وَلِيتَنـا ... وَعُثمـانَ وَالفـارُوقَ فارِتـاحَ مُعدِمُ
وَسَوَّيتَ بينَ النَّاسِ في الحَقِّ فَاستَوَوا ... فَعادَ صَباحاً حالِكُ اللّيـلِ مُظلِمُ أَتـاكَ
أَبُـو لَيلَى يَجُـوبُ بِـهِ الدُّجَـى ... دُجى اللّيلِ جَوّابُ الفَلاةِ عَثَمثَمُ
لِتَجبـرُ مِنـهُ جَانباً ذَعذَعَت بِـهِ ... صُـرُوفُ اللّيالي وَالزَّمـانُ المُصَمِّمُ

(النّابغة الجعديّ ، 1998 : 151 – 152) .

يلج النّابغة من خلال هذا الشّعر السّياسيّ إلى الاحتجاج ، ويقتحم مناطق الإقناع بأحقيّة ممدوحه في الخلافة – كما فعل شعراء الشّيعة – وقد فنّد الأسباب الّتي دأب على تسجيلها والتّأكيد عليها ، والتّرويج لها بما يكفي لأن تتحوّل بين المسلمين إلى ذرائع كافية لأن يؤول إليه أمر الخلافة دون سواه ، فهو أحقّ بها من غيره ، وقد رأى النّعمان القاضي أنّ شعر الزّبيريين لم يسلك مسلك البرهنة ولا الاحتجاج للمذهب ، وإنّما اتّجه إلى دعمه بالتّأثير العاطفيّ ، ولم يلجأ إلى التّدليل العقلي ، لذا جاء شعرهم غنائيّاً بعيداً عن اصطناع أساليب الجدال والمنطق ؛ إذ لم تفسح العقيدة فيه مجالاً للرّأي ، فالدّعوة لحكم قريش وجدارتها بالسّلطان وتميّزها عن بقية العصبيّات لا تستند إلى أسانيد عقليّة ولا منطقيّة ، وإنّما تقوم على أسّس عرقيّة عاطفيّة ، فضلاً عن مجافاتها لروح العدل والمساواة الّتي جاء بها الإسلام ، لذا كان الاحتجاج لآل الزبير احتجاجاً عاطفيّاً خالصاً . يُنظر ، (القاضي ، بلا تاريخ : 507) .

فهذا مدح سياسيّ دينيّ مذهبيّ بدرجات متفاوتة ، تعلو فيه لغة الحوار والاحتجاج ، والانتصار للممدوح ، وتأكيد تفوّق حزبه ، وسلامة منهجه بنسب متفاوتة للإقناع بأحقيّته في الخلافة ، وطمعاً في العطايا والهبات ، والتقرّب من الخلفاء والولاة عند شعراء الحزب الحاكم ، وخوفاً من البطش والعقاب عند شعراء الشّيعة الّذين مدحوا خلفاء بني أميّة ، بينما تجرّد شعراء الأحزاب الأخرى من التّكسّب ، وقد كانت المعاني الدّينيّة قاسماً مشتركاً برز عند شعراء هذا العصر على اختلاف انتماءاتهم الحزبيّة ، فالفضيلة الدّينيّة محور مهم .

في ضوء ما تقدّم يمكن النّظر للمدح في شعر القطامي ، ومدى تأثره بالتّيارات السّياسية والحزبيّة ، والتّعصّب القبليّ ، والطّمع والتّكسّب .

هل دافع عن حزب بني أميّة ؟ هل دافع عن حزب بعينه ؟ هل كان مدحه قبليّاً يدافع فيه عن قبيلته وعصبيته ؟ أم أنّه مدح آخرين من غير قبيلته لظّروف استثنائية ؟ هل طوّر معاني المدح بما يتناسب والمعاني الدّينيّة أم ظلّت معانيه قديمة يُجاري فيها شعراء ما قبل الإسلام ؟.

الفصل الثّاني

معاني المدح

جاء في " نقد الشّعر " و " العمدة " أنّ الفضائل الّتي يمتدح لها أربع : العقل والشّجاعة والعدل والعفّة " يُنظر ،(ابن جعفر ، 2006 : 84 ، ابن رشيق ، 2006 : 2 / 162) ، فالقاصد لمدح الرّجال بهذه الأربع يكون مُصيبا و المادح بغيرها يكون مخطئاً ، وقد يكون للشّاعر أن يقصد منها البعض دون البعض ، فلا يُسمّى مخطئاً لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله ، ولكن يُسمّى مقصّراً في استعمال جميع المدح (يُنظر ، ابن جعفر ، 2006 : 84) .

وقد ذكر قدامة أنّ الشّعراء تفنّنوا في المديح بأن يصفوا خَلق الإنسان ويعدّدوا أنواع هذه الصّفات الأربع وأقسامها ، وأصناف تركيب بعضها مع بعض ، وما أقلّ من يشعر بأنّ ذلك داخل فيها الإفراد أو التّركيب إلا أهل الفهم ، ثمّ ذكر أقسام هذه الفضائل (ابن جعفر ، 2006 : 84)

وقد ذكر الشّعراء هذه الأقسام أو التّركيبات في أشعارهم ، وهي جامعة لمكارم الأخلاق ، وقد ذكر شاعرنا بعضاً منها .

لا يُبعِد اللهُ قوماً من عشيرَتنا ... لم يخذلونا على الجُلى ولا العادي
مَحميةً وحِفاظـاً إنّهـا شِيَمٌ ... كانت لقومي عاداتٍ من العادِ
(القُطاميّ ، 1960 : 89) .

فقد احتّل المدح جانباً كبيراً من شعر القُطاميّ ، فقد مدح شخصيات مشهورة في عصره ، وهم : زفر بن الحارث ، وأسماء بن خارجة ، والخليفة عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد ، وعبد الواحد بن الحارث بن الحكم ، وهمّام بن مطرّف ، وأيوب بن القِريّة .

وقد دارت معاني المدح عنده في : الشّجاعة ، وكرم اليد ، وكرم الأصل ، وسيادة الممدوح وكيف أنّه يقدّم الصّنائع لقومه ويصلح بين الأحياء ، وما إلى ذلك من معاني المدح .

كان من الطّبيعي أن يشيد في مدحه بالفضائل والقيم ومكارم الأخلاق الّتي تأصّلت أصلاً في نفوس العرب في عصر ما قبل الإسلام ، وقد أشاد بقومه الّذين آمنوا بهذه الشّيم والقيم في قوله :

لا يُبعِد اللهُ قوماً من عشيرَتنا ... لم يخذلونا على الجُلى ولا العادي
مَحميـّةً وحِفاظـاً إنّهـا شِيَمٌ ... كانت لقومي عاداتٍ من العادِ
(القُطاميّ ، 1960 : 89) .

وقد أشاد بما لدى الممدوحين من فضائل ومكارم وعلى رأسهم "زفر بن الحارث" الّذي فك أسره وأعطاه مئة من الإبل وردّ عليه ماله .

ومن نافلة القول أنّ هذه الظّاهرة المدحيّة لم تكن غريبة على المجتمع العربيّ آنذاك ، فقد نقل الجاحظ ما رُوي عن الخليفة الرّاشد عمر بن الخطّاب ﷺ قوله : " من خير صناعات العرب الأبيات الّتي يقدّمها الرّجل بين يديّ حاجة ، يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللّئيم (الجاحظ ، 1985 : 2 / 310) .

ويقول د. شوقي ضيف : " تعوّد العرب منذ العصر الجاهليّ أن ينوّهوا في أشعارهم بأشرافهم وذوي النّباهة منهم وتحدّثوا عن خصالهم القبليّة من : الكرم ، والشّجاعة ، والحلم ، والوفاء ، وحماية الجار ، وكان لا يُعدّ السّيّد منهم كاملاً إلّا إذا تغنّى بنباهته ومناقبه غير شاعر ومضوا على هذه السّنة في الإسلام . (د. ضيف ، 1963 : 215) .

الشّجاعة :

الشّجاعة قيمة خُلقية متأصّلة في نفوس العرب في عصر ما قبل الإسلام ، وقد آمنوا بها طبعاً وسجيّة ، فالحياة الكريمة الجديرة بالبقاء حياة الفتوّة والشّجاعة والإقدام ، الدِّما تقطر على أقدامهم ، لا على أعقابهم ، المنيّة عندهم لا الدّنيّة ، وقد مضى الشّعراء في صدر الإسلام يلهجون بهذه القيمة ، مستبشرين بفتح من الله ونصر قريب في معارك البطولة والجّهاد ، فقد تطوّرت هذه القيمة في ظلّ الدّين الإسلامي الّذي أقرّ الجّهاد فرض عين على كلّ مسلم ومسلمة إذا اُستبيحت ديار المسلمين ، ووصلت إلى قمّة النّضج والكمال ، غير أنّ كثيراً من شعراء بني أميّة لم يترجموا ذلك شعراً ، ومضوا يقلّدون الأقدمين ، والقُطاميّ واحد من هؤلاء .

كان على رأس شخصياته الّتي اختارها "أبو هذيل زفر بن الحارث" ، الّذي " كان كبير قيس في زمانه ، وفي الطّبقة الأولى من التّابعين من أهل الجزيرة ، وكان من الأمراء ، سمع عائشة ومعاوية ، وكان في وقعة الجمل مع عائشة ، وشهد وقعة صفّين مع معاوية أميراً على قنسرين ، وشهد وقعة مرج راهط مع الضّحاك بن قيس ، فلما قُتِل الضّحاك هرب إلى قرقيسيا ، ولم يزل متحصّناً فيها حتى مات في خلافة عبد الملك بن مروان " . (البغداديّ ، 1997 :2 / 372 ، ويُنظر، (ابن الأثير ، 1987 : 4 / 5) ، وكان شاعراً ، وقد عبّر عن إخلاصه لابن الزّبير (يُنظر ، أبو تمام ، 1998 : 117) ، وكان شعره يمثّل الحرب والحماسة والعصبيّة ، ويمثّل الرّأس الكبير المدبّر من جهة أخرى ، فهو حريص على الوشائج والصّلات ، وهو لا يرى مانعاً من أن يفرّ لينحاز إلى ركن حصين يعاود منه القتال ، ولقد كان كريماً كما قال أبو الفرج ، مجمعاً لا يحب الفرقة (الأصفهاني ، 1992 : 20 / 127) وكان منصفاً ، فقد شهد لتغلب أنّهم كانوا على الموت أصبر منهم (يُنظر ، المرزوقيّ ، 2002 : 1 / 155) .

اتّصل القُطاميّ التّغلبي "بزفر" السّيد الأمير القيسيّ قبل وقوعه في الأسر وأثنى عليه طلباً للعطاء ، يقول مشيداً بخبرته الطّويلة في الحروب ودوره البارز حاثّاً ناقته على الإسراع :

يا ناقُ خُبّي خَبباً زِوَرّا ... وقلبّـي منسَمـكِ المُغبـرّا
إذ سَوفَ تَلقَينَ جَواداً حُـرّا ... سَيّـدَ قيسٍ "زُفَـرَ" الأغـرّا
قـد نَفَعَ اللهُ بـه وضَـرّا ... وكـان فـي الحَربِ شِهاباً مُرّا

(القُطاميّ ، 1960 : 120 – 121) .

كيف لا ، وقد خاض حروباً كثيرة ، وكان شهاباً ثاقباً وخبيراً حربيّاً يخوض المعارك بكل ثقة واقتدار وحكمة .

وقد استغل القُطاميّ ذلك لطلب العطاء من هذا الجواد الحرّ ، ليكشف لنا عن منهجه في المدح .

وثمة قاسم مشترك بينهما يكشف عن منهج القُطاميّ في مدحه لزفر ، فكلاهما حريص على الوحدة وائتلاف الشّمل والوشائج والصّلات ، كما أنّ "زفر" فكّ أسر القُطاميّ في حرب قيس وتغلب ، وردّ إليه ماله ، فكان من واجب القُطاميّ أن يدبّج قصائد مدح يعترف فيها أنّه قدّم إليه جميلاً لا يُنسى ، وأسدى إليه يداً تكافأ ، وهو يحسّ إحساساً كاملاً أثّرّ في فلسفته للمدح وفاءً واعترافاً بالفضل ، وإشادة بالممدوح الّذي يستحق المدح ، كيف لا وقد توافرت فيه معاني المدح ، ومنها الشّجاعة ، ترجمها شعراً خالداً بنبض بالصّدق والواقعيّة ، فقد مدحه في قصيدة بلغت ستةً وستين بيتاً ، بيّن فيها أنّ قومهما خصوم ، لا يوجد بيهم سوى الطّعن والضّرب ، ومع ذلك أثنى عليه ؛ لأنّه ردّ إليه حياته وقد كان على شفا حفرة من الهلاك ، فهو يجزي الإحسان بالإحسان ، ولا يرُدّ المروءة شتماً ، أو الجميل نكراناً ، وذلك قمّة الاعتراف بالفضل ، وكأنّه يشيد بشجاعته المعنويّة ، وقوّة شخصيته السّياديّة في اتّخاذ القرار، يقول :

مَن مُبلِغٌ "زُفَرَ" القيسيّ مِدحَتَهُ عن القُطاميّ قولاً غَيرَ أفنادِ
إنّي وإن كانَ قَومي ليس بينهم وبين قومِك إلّا ضَربَةُ الهادي
مُثنٍ عليك بما استبقيت مَعرِفَتي وقد تعـرّضَ مني مقتَـلٌ بـادِ
فَلَن أُثيبَـك بالنَّعمـاءِ مَشتَمَـةً ولَن أكافِىءَ إصلاحاً بإفسَادِ
وإن هَجَوتُـك مـا تمّت مُكارَمتي وإن مَدَحتُ فقد أحسنتَ اصفادي
ومـا نَسيتُ مقـامَ الوردِ تجعلُـه بيني وبينَ حفيفِ الغابةِ الغادي
أيامَ قومي مَكاني مَنصِـبٌ لَهـم ولا يظنـونَ إلّا أنَّنـي رادِ
ولا كَرَدُّكَ مالي بَعدَمـا كَرُبَت تُبدي الشّماتةَ أعدائي وحُسَّادي
فإن قدرتَ على شيءٍ جُزيتَ به واللهُ يَجعَـلُ أقوامـاً بِمِرصـادِ
(القُطاميّ ، 1960 : 84 – 85 – 87) .

وأثنى على دوره البارز في الحرب ، ووصفه بأنّه شهاب مرّ ، وعلى وفائه ومحافظته على العهد إذ قال :

ذاك الّذي بايعَ ثم بَرّا ونقضَ الآبـاءَ واستَمَرّا
قـد نَفَـعَ اللهُ بـه وضـرّا وكان في الحَربِ شِهاباً مُرّا
(القُطاميّ ، 1960 : 121 – 122) .

والوفاء قيمة خُلقية تصبّ في معين الشّجاعة وقوّة الشّخصيّة الّتي يتحلّى بها الممدوح .

وأثنى على شجاعته وإقدامه وعلى صبره وثباته في الميدان ، إذ يُجحم القوم ، وأشاد بفضله وولديه في صون حرمته وحقن دمه ، بعد أن بلغ من الجهد ما بلغ ، واشتجرت الرّماح ، وضاقت الأرض على تغلب ، فدعت أعوانها ، يقول :

يا "زُفَرُ بنُ الحارثِ" بنِ الأكرمِ قد كنتَ في الحربِ كريمَ المَقدمِ
إذ أحجمَ القومُ ولمّا تحجِمِ إنّك وابنَيكَ وصَلتُـم مَحرَمـي
بعدَ العوالي بعدَ ما ذبَّ فمي وحَقَـنَ اللهُ بأيديكـم دَمـي
والرّمـحُ يَهتَـزُّ اهتزازَ المحجـمِ من بعد ما اختلَّ السّنانُ مِعصَمي
(القُطاميّ ، 1960 : 122) .

وهو بذلك يجاري الأقدمين بقدر ، اعترافاً بالفضل وإشادة بقوّة الممدوح وشجاعته وثباته في الميدان ، ولم يتطرّق إلى معاني الجّهاد والاستشهاد.

وكذلك فعل في مدحه أهم شخصيّة في ممدوحيه ، كان لها مكانة كبيرة في عصره ، عبد الملك بن مروان ، الّذي شاعت شهرته بصفته رجل سياسة من ناحية ، ومحبّاً للشّعر من ناحية أخرى في قصيدة بلغت ثمانية وتسعين بيتاً ، مشيداً بشجاعته :

أميـرُ المؤمنيـن هـدىً ونـورٌ كما جلّى دجى الظّلمِ النّهارُ
قريعُ بني أميّة من قريشٍ هـمُ السّـرُ المهذّبُ والنّضارُ
(القُطاميّ ، 1960 : 148) .

وقد دار هذا المدح حول معاني الدّين والسّياسة ، فهو يصفه بالهدى والنّور والضّياء والتّهذيب ، مستعملاً ألفاظاً سياسيّة وأخرى دينية ، فقد ذكر الخلافة والإمامة .

وفي مدحه "همّام بن مطرّف" الفارس المغوار سيّد تغلب في الإسلام ، ذكر كلمة الجّهاد على استحياء ، وقد أشاد بشجاعته ومداومته للحرب ، وبأنّه اختار حياة النّعيم واللّذائذ الدّنيوية ، وأن خيله ملجمة مستعدّة لخوض غمار المعارك ، يقول في قصيدة بلغت ثلاثين بيتاً :

تَذكرَّتُ هَمّاماً وذكَّرَني بـه زَمانٌ كأحناءِ الرّحالةِ آزِمُ
بأبيضَ ما ينفَكُّ عاقدَ رايــةٍ لمردٍ على جردٍ لَهُنَّ هماهِمُ
وَخُيَّرَ فاختارَ الجّهادَ وقد يُرى لديـهِ نسـاءٌ مرشقـاتٌ نواعِــمُ
لإفراسِه يَوماً على الدَّربِ غـارَةٌ تصلصِــلُ في أشداقِهِنَّ الشَّكـائِمُ
(القُطاميّ ، 1960 : 130 – 131) .

معانٍ تقليدية من الموروث القديم توّجت بمعاني حبّ الجهاد ، والزّهد في ملذات الدّنيا الفانية ، معانٍ صادقة تستحق الوقوف عليها ، لم يحظ بها أيّ ممدوح غيره ، فالممدوح فارس مغوار، مجاهد محبّ للفروسيّة .

وقد دار المدح في هذه الشّخصيّة حول معاني الفروسيّة والبطولة والحرب منصفة بأنّه كان مجاهداً ، محبّاً للفروسية رغم ما لديه من الخبرات الدّالة على التّرف الشّديد ، وفي ذلك تأكيد على تميّز هذه الشّخصية في حبّها للجّهاد مع أنّ المعاني لم ترقَ إلى المستوى المطلوب .

حاول القُطاميّ أن يرفع من شأن ممدوحه "زفر" من خلال مدحه بشجاعة قومه ، فهم صُبُر عند اللّقاء ، يبارون الرّيح يوم الرّوع زرافات ووحداناً ، يقارعون خصومهم في عقر دارهم ، دماؤهم تسيل على أقدامهم لا على أعقابهم ، سيوفهم دائماً مسلولة ، وذلك قمة الشّجاعة والإقدام ، يقول :

الضّاربينَ عُميـراً في بيــوتِهِـمُ بالتلّ يومَ عُميرٌ ظالِمٌ عادِ
ثابت له عُصَبٌ من مالِكٍ رُجُحٌ عند اللّقاءِ مساريعُ إلى النّادي
ليست تُجَـرَّحُ فُـرّاراً ظهـورُهـم وفي النّحورِ كُلومٌ ذاتُ أبلادِ
لا يَغمُدونَ لهم سَيفاً وقد عَلِمـوا إن لا يَكُن لهـم أيـامُ أغمـادِ
(القُطاميّ ، 1960 : 88 – 98) .

وكأنّه يشيد بشجاعة قوم شاعر في عصر ما قبل الإسلام ، إذ لم يُشر إلى أي معنى من معاني الجّهاد ، والصّبر، والرّباط ، والثّبات ، والتّنفير من الفرار يوم الزّحف .

ويدلف إلى نقطة مهمّة تكشف النّقاب عن منهجه ، فقد كان نفسه محور الحديث مع ممدوحه ، لا مجرّد مادح يطلب المال فقط ، فهو يمدح نفسه وقومه أحياناً ، بالإضافة إلى مدحه للممدوح ، وهو شامخ الأنف ، معترفاً بهذا الجميل الّذي أسداه إليه ، فقد ذكر في قصيدة عينيّة ، مدح فيها "زفر" انسابت في فضاء تعبيريّ بلغ واحداً وسبعين بيتاً ، أنّ قومه على درجة فائقة من القوّة والشّجاعة ، والخبرة الطّويلة في القتال ، والمداومة عليه ، سيوفهم دائماً مسلولة ، يبلون بلاءً حسناً عندما يلتقي الجمعان ، ويشتد الضّرب والطّعان ، ويُترك الكُماة منجدلين ، لذا كرهت القبائل نزالهم ، يقول :

وَيَومَ تلاقَتِ الفِئتانِ ضَربـاً وطَعناً يَبطَحُ البَطَلَ الشُّجاعا
ترى منه صُدورَ الخيـلِ زُوَرًا كـأنَّ بـه نُحـازاً أو دُكاعـا
وَظَلَّت تَعبِطُ الأيدي كلوماً تَمُجُّ عُروقُهـا عَلَقـاً متاعـا
قوارِشَ بالرّماحِ كأنَّ فيها شواطِنَ يُنتَزَعنَ بها انتزاعا
كأنَّ النّـاسَ كلَّهـم لأُمٍّ ونحن لعِلَّةٍ عَلت ارتفاعا
فهم يتبيَّنون سنا سيوفٍ شَهرَنَاهُـنَّ أيـامـاً تبـاعـا
فكلُّ قبيلـةٍ نظروا إلينـا وَحَلّوا بيننا كَرِهوا الوقاعا
ثبتنـا ما مـن الحيّيـنِ إلّا يَظَـلُّ يـرى لكـوكبـهِ شعاعـا
(القُطاميّ ، 1960 : 33 – 34) .

يقول ذلك والأسى يمزّق قلبه ، بسبب الحرب الدّائرة بين قبيلته تغلب وقبيلة "زفر" ، وكأنّه من طرف خفي يشيد بقوّة قبيلة ممدوحه ، ويدعو صراحة لوقف نزيف الدّم بين القبيلتين ، اعترافاً منه بفضل ممدوحه .

وكنّا كالحريقِ أصابَ غاباً ... فيخبـو ساعـةً وَيَهُـبُّ ساعـا
لا تبعـد دمـاءُ ابنيّ نِزارٍ ... ولا تقرر عيونُك يا قُضاعـا
أمـورٌ لـو تدبّرهـا حليـمٌ ... إذَن لنهى وهيَّبَ ما استطاعا

(القُطاميّ ، 1960 : 34) .

ويمضي مشيداً بقبيلته تغلب أشد القبائل قوّة ومنعة في الحروب ، وقد ضرب أمثلة على ذلك أيام الجاهليّة ، يقول :

بتغلِبَ في الحروبِ ألَم يكونوا ... أشَـدَّ قبائـلَ العَـرَبِ امتناعا
زمانَ الجّاهليّةِ كُلُّ حيٍّ ... أبَرنـا من فصيلتِهِ لِماعا
أليسـوا بالألى قَسَطـوا قديمـاً ... على النُعمـانِ وابتَدروا السِّطاعا
وَهم وَرَدوا الكلابَ على تميمٍ ... بجيشٍ يَبلَـعُ النّـاسَ ابتلاعـا
فما جبنـوا ولكنّـا أُناسٌ ... نُقيمُ لَمن يُقارِعُنا القِراعا
فأمـا طـيّءٌ فإذا أتـاهـا ... نذائِرُ جيشنا ولَجوا القِلاعا
وأمّا الحيُّ من كَلبٍ فإنّا ... نُحلُّهـم السّواحِلَ والتِّلاعـا

(القُطاميّ ، 1960 : 35 – 36) .

وثيقة تاريخية يرفع الشّاعر رأسه من ثناياها ، وكأنّ قوّة قبيلته ، وشجاعتها ، وشهرتها قد اُختزلت في شخصه ، وكأنّه يمدح نفسه من خلال مدحه لقبيلته وذلك مدح يدخل في إطار خدمة العصبيّة القبليّة ، ثم يختم قصيدته الطّويلة بثلاثة أبيات يعترف فيها بالفضل الّذي أسداه إليه ممدوحه ، وقد أشاد القُطاميّ في قصيدة أخرى دالية مدح فيها شجاعة "زفر" وقومه . (يُنظر ، القُطاميّ ، 1960 : 89 – 90) .

ولم يتردّد في الإشادة بشجاعة قومه في مدحه "لأسماء بن خارجة" في نونيّة بلغت ثمانية وخمسين بيتاً ، و"أسماء" هذا يتصلّ نسبه بقيس عيلان ، وهو فزاريّ ، كوفيّ تابعيّ ، روى عن علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه – ، وعبد الله بن مسعود ، رُوى عن مالك بن أسماء ، وعلى ربيعة الأسدي (يُنظر ، بدران ، 3 / 43 وما بعدها) .

يقول مادحاً وكأنّه يفتخر :

وحَسَبتِنا نَزَعُ الكتيبةَ غُدوَةً ... فيغيّفـون ونرجِعُ السَّرَعانـا
وَنحِـلُّ كُـلَّ حِمىً نُخبَّرُ أنَّـهُ ... مَنَح البروقَ وما يُحَلُّ حِمانا
وإذا تَسَعسَعَت الحروبُ فمالكٌ ... منها المطاعِنُ والأشدُّ سنانا
ونُطيع آمِرَنا ونجعلُ أمرَنـا ... لذوي جَلادتِنا وحَزمِ قِوانا

(القُطاميّ ، 1960 : 64) .

وفى مدحه لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقف مرفوع الهامة ، معتزّاً بنفسه وقبيلته ، مشيداً بشجاعة آبائه وأجداده وعشيرته الأقربين ، فهو محور الحديث مع الممدوح ، لا مجرّد مادح يطلب العطاء ، حتّى لو كان الممدوح أمير المؤمنين ، يقول :

أبونـا فـارسُ الفرسـانِ عَلقَت ... بكـفتـه الأعنّـةُ والغـوارُ
وأفضلُ مـا اقتنينا من سوامٍ ... ذكـورُ الخيـلِ والأسلُ الحرارُ
ورَثِنـا الخيـلَ قد عَلِمَت مَعَـدٍّ ... ومـن عاداتهِنَّ لنا اختيارُ

تراثاً عن أبي صدقٍ أيادٍ وعِيلانٍ وخندفِها الكثارُ
(القُطاميّ ، 1960 : 145) .

وهو مدح يصبّ في معين العصبيّة ، وفيه خدمة للقبلية بصورة لافتة تكشف عن فلسفة المدح عند شاعرنا ، فحبّه للقبيلة ، وتعصّبه لها لم يتضاءل أمام هيبة الخليفة ممّا يؤكّد قوّة إيمانه ، وتمسكه بهذه العقيدة السّلبيّة الّتي أطلت برأسها في عصر بني أميّة .

إنّه من قبيلة ورثت الشّجاعة وفنون القتال ، والضّرب والطّعان ، والثّبات في الميدان من الآباء والأجداد .

متى ترعش إلى الإلجامِ يوماً يَقُم سوقُ الطعانِ لها تجارُ
ومعقلُنا السّيوفُ إذا أنخنا وقد طارَ القنازِعُ والشّرارُ
بضَربٍ تَبصُرُ العميانُ منه وتعشى دونَه الحَدَقُ البِصارُ
واسحقٌ أخونا قد علمتُم علينا من مواسِمِه النّجارُ
نَهُزُّ المشرفيّةَ ثمّ نعدوا وليس بنا عن العادي ازورارُ
(القُطاميّ ، 1960 : 149) .

إبداع في التّعبير عن شجاعة القوم ، وثباتهم في الميدان حين تزيغ الأبصار ، وتبلغ القلوب الحناجر ، وتطير النّفوس شعاعاً من هول المعارك ، فمعقلهم السّيوف إذا أناخوا وأقاموا إقامة طويلة ، بينما يُعرّد الرّعاديد الجبناء ، ويزداد الإبداع في تصوير الضّرب والطّعان ، ضرب شديد تبصر العميان منه ، ويُصاب بالعمى المبصرون من هوله وشدّته .

وعندما أشاد بشجاعة "همّام بن المطرّف" وحبّه للجّهاد ، وتركه ملذات الدّنيا ونعيمها الزّائل ، لم ينسَ قومه ، فأشاد بشجاعتهم وقتالهم بالرّماح العوالي إذ قال :

فأصبَحَ قومي قد تَفَقَّدَ منهُمُ رجالُ العوالي والخطيبُ المراجِمُ
(القُطاميّ ، 1960 : 131) .

وخلاصة القول أنّ القُطاميّ كشف عن منهجه في مدحه لشجاعة ممدوحه ، إذ سار على نهج الأقدمين ، ونهل من الموروث القديم ، غير أنّ بعض معانيه دارت حول الدّين ، والجهاد ، والسّياسة ، ولكن بقدر .

وقد أشاد بشجاعة ممدوحيه الحسيّة والمعنويّة ، وكذلك شجاعة قومهم ، واللّافت أنّ مدحه قبليّ ، فقد أشاد بشجاعة قومه ، فهو محور الحديث مع الممدوحين ، لا مجرّد مادح يطلب العطاء.

كرم اليد :

طالما مدح الشّعراء في عصر ما قبل الإسلام الكرم ، فقد تأصّلت هذه العادة في نفوسهم لدرجة أنّ الغني والفقير على حدّ سواء في الكرم ، فجهد المقلّ ، والمكثر في الغنى سيّان في الجود ، فالفقير الّذي يبذل كلّ ما يملك وهو في أمسّ الحاجة إليه ينتصر بكرمه على غريزتين هما : حبّ البقاء ، وحبّ التّملّك ، وهو بذلك يبرهن على كرم أخلاقه ، ورفعة مكانته ، وقوّة عزيمته ؛ لأنّه يرقى بنفسه إلى درجات الكمال والمروءة (يُنظر ، الدّسوقي ، 1959 : 72 – 73) .

وقد عُدّ الجود عنواناً للفضيلة ، يقول زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان :

أَخي ثِقَةٍ لا تُتلِفُ الخَمرُ مالَهُ وَلَكِنَّهُ قَد يُهلِكُ المالَ نائِلُه
تَراهُ إِذا ما جِئتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعطيهِ الَّذي أَنتَ سائِلُه
(ابن أبي سلمى ، 1995 : 68) .

والكرم قيمة خُلقيّة اجتماعية بها تُوطّد العلاقة بين السّيّد والمسود على أساس المشاركة الإنسانية ، وإحساس الفرد بالآخر من خلال إكرامه وإسعاده ، لذا سعى السّادة الأجواد إلى إذابة الفوارق الاجتماعية آنذاك في مدّ يدّ العون للأرامل والمعوزين ؛ لرفع معاناتهم وإدخال السّرور في أنفسهم ، وكان من الطّبيعي أن تتطوّر هذه المفاهيم في ظلّ المنهج الرّبانيّ الجديد ، الّذي يدعو إلى مدّ يدّ المساعدة للأيتام ذوي المقربة ، والمساكين ذوي المتربة ، وإعطاء السّائل والمحروم حقّه المعلوم ، وقد أثنى شعراء صدر الإسلام على الكرماء ، قال عمارة بن عقبة بن أبي معيط في حقّ عثمان بن عفان :

وثِمَالُ الأيتامِ في الجدْبِ والأزَلِ إذا هبَّت الرِّياحُ الشَّمالُ
الوَصُولُ القُربَى إذا قَحَطَ القَطْرْ قَديماً وعَــزّتِ الأَشُــوالُ
(المرزباني ، 2005 : 106 – 107) .

وأثنى شعراء بني أميّة على الكرماء ، الّذين يقومون بواجبات الضّيافة على أكمل وجه ، يقول الشّماخ بن ضرار يمدح عبد الله بن جعفر :

إِنَّكَ يا بنَ جَعفَرٍ نِعمَ الفَتَى وَنِعـمَ مَأوى طـارِقٍ إِذا أَتَى
وَرُبَّ ضَيفٍ طَرَقَ الحَيَّ سَرَى صَادَفَ زاداً وَحَديثاً ما اِشتَهى
(العسقلاني ، 2012 : 854) .

وهذا يعني أن مدحهم لم يتعدّ حدود مدح العرب الكرماء في عصر ما قبل الإسلام ، فقد ظلّ الشّعراء يمدحون الملوك والأمراء والكرماء بما كان يُمدح به السّيّد العربيّ الكريم في البادية ، كالقِرى في صورته الماديّة المألوفة من نحر الإبل ، ورفع القدور ، وإشعال النّار ، وهذا يدل على السّير على منوال القدماء ، والاحتذاء بهم دون بذل جهد الابتكار والتّجديد لمواكبته العصر الجديد (يُنظر ، د. القط ، 1979 : 329) .

كان من واجب شاعرنا أن يُثني على السّيّد الأمير الكريم "زفر بن الحارث" ، يقول مادحاً بعد أن وصف ناقته ، طالباً الغوث من المحل :

تحمِلُ من قيسٍ فتىً وَضّاحا سمحُ اليدينِ بالنّدى نفّاحا
كأنّ في الموكبِ حين لاحا بــدراً يزيدُ النّظرَ انفساحا
أفلحَ ســاقٍ بيديــك امتاحــا وقرّ عيناً ورَجا الرّباحا
ألا ترى ما غشيَ الأركاحا وغشيَ الخابــورَ والأملاحا
يُصفِّــقــون بالأكـفِ الرّاحــا لم يدع الثلجُ بها وجاحا
باللهِ ترجو وبك النّجاحـا

(القُطاميّ ، 1960 : 173 – 174) .

رجّح صاحب الدّيوان أن تكون هذه الأرجوزة في مدح "زفر" الفتى القيسي ، وليس هذا بالدّليل القاطع علي أنّها فيه ، ولكن كثرة مدائحه له ، وذكره : الخابور ، والأركاح ، وهي منازل قريبة من منازل قيس يُرجّح أنّه يستنجد بزفر الأمير القريب ، ويطلب منه الغوث من المحل (القُطاميّ ، 2001 : 508) .

ولا عجب في ذلك ، فهو يسير على منوال معاصريه ، الّذين مدحوا السّادة من أجل العطاء ، بلغة واضحة ومعان تقليدية بسيطة ، كرّرها في أرجوزة ثابتة ، منّى فيها ناقته بملاقاة فتى جواد ، يقول :

يـا ناقُ خُبّي خَبباً زِوَرّا وقلبّـي منسَمـــكِ المُغبَرا
وعارضي اللّيلَ إذا ما اخضَرّا أخبرَكِ البـارحُ حينَ مَـرَّا
إذ سَـوفَ تَلقَينَ جَواداً حُـرّا سَيّدَ قيسٍ زُفَـرَ الأغــرّا
(القُطاميّ ، 1960 : 120 ، والأصفهاني ، 1992 : 24 / 45) .

أغلب الظّن أنّ هاتين الأرجوزتين قيلتا قبل أن يُؤسر القُطاميّ ، واللّافت للانتباه أنّه يُخاطب النّاقة لا الممدوح ، بلغة العذوبة والتّحضّر في أرجوزة لم تتجاوز ستة أبيات ، لا وقوف على الأطلال فيها وكأنّه يتناسى معاناة الرّحلة ، ليُحلّق في فضاء تفاؤلي رحب ، يقتضب التّوجّه إلى المورد العذب ، إلى الممدوح الكريم ؛ ليُحقّق الهدف والأمل بمستقبل أفضل .

وكان من الطّبيعي أن يُثني القُطاميّ على ممدوحه "زفر" ، الّذي أكرمه ، وفكّ أسره ، وأعاد إليه ماله ، وأعطاه مئة من الإبل ، وأعاد إليه توازنه ، فقد أفرد قصيدة طويلة انسابت في فضاء يبلغ ستة وستين بيتاً افتتحها بمفتاح السّعادة والإلهام ، مفتاح الغزل والحبّ ؛ ليحلّق في فضاء التّألق والإبداع والانسجام ، فضاء الحبّ والإخلاص ، الحبّ الصّادق ، حبّ حبيبته ، وحبّ ممدوحه ، ليمتزج الحبّ بالإخلاص والوفاء ، والاعتراف بالجميل ، في ظروف استثنائية ، وقد وجّه خطابه بصورة مباشرة إلى ممدوحه ، معترفاً بفضله ، وكأنه يشيد بكرمه ، الّذي أعاد إليه التّوازن والكرامة ، والبسمة والأمل ، لذا استحق الممدوح كلّ احترام وتقدير ، وانساب الشّعر فياضاً صادقاً ، مفعماً بالتّفاؤل والأمل ، يقول :

مَن مُبلِغٌ "زُفَرَ" القيسيّ ، مِدحَتَهُ عن القُطاميّ قولاً غَيرَ أفنادِ
إنّي وإن كانَ قَومي ليس بينهم وبين قومِك إلّا ضَربَةُ الهادي
مُثنٍ عليك بما استبقيت مَعرِفَتي وقد تعرّضَ منّي مقتَلٌ بادِ
فَلَن أُثيبَـك بالنّعمـاءِ مَشتَمَـةً ولَن أكافِئَ إصلاحـاً بإفسَادِ
وإن هَجَوتُك مـا تمّت مُكارَمتي وإن مَدَحتُ فقد أحسنتَ إصفادي
وما نَسيتُ مقـامَ الوردِ تجعلُـه بيني وبينَ حفيفِ الغابةِ الغادي
ولا كَرَدَّكَ مالـي بَعدَمـا كَرُبَت تُبدي الشّماتةَ أعدائي وحُسّادي
فإن قدرتَ على شيءٍ جُزيتَ بـه واللهُ يَجعَـلُ أقواماً بِمِرصـادِ
(القُطاميّ 1960 : 84 – 85 ، الأصفهانيّ 1992 : 84 / 46 – 47).

وثمّة رواية تذكر أنّ "زفر" حين سمع ذلك لم يرضَ وقال للقُطاميّ : " لا أقدرك الله على ذلك " (الأصفهانيّ ، 1992 : 24 / 47) .

وفي قصيدة أخرى طويلة انسابت في واحد وسبعين بيتاً ذكر " لزفر" أنّه أكرمه في شدّة يجحم فيها النّاس عن الإكرام فكيف يكفر بنعمته ، وقد وهبّ له الحياة بعد أن كانت مهدّدة ، ولم يكتف بذلك ، بل زاد هبة وعطاء ؟! ، يقول :

ومن يكُنِ استـلامَ إلى ثَويّ فقد أكرمتَ يا "زُفَرُ" المتاعا
أكُفـرَاً بعد رَدِّ المَوتِ عنّي وبَعـدَ عَطائِـكَ المائةَ الرّتاعا
فلو بيدي سواك غَداةَ زَلّت بيَ القدمانِ لم أرجُ اطِّلاعا
إذَن لَهَلَكتُ لو كانت صغاراً من الأخـلاقِ تُبتَـدَعُ ابتداعـا
(القُطاميّ ، 1960 : 37 ، الأصفهاني 1992 : 24 / 44) .

واعترف بفضل ممدوحه في قصيدة أخرى ، وكأنّه يُثني على كرمه ، يقول :

يا "زُفَرُ بنُ الحارثِ" ابنِ الأكرمِ قد كنتَ في الحربِ قديمَ المَقدمِ
قد حَقـنَ اللهُ بكفيْـكَ دمـي من بعد ما جَفَّ لساني وفمي
(القُطاميّ ، 1960 : 122 ، و الأصفهانيّ 1992 : 24 / 45) .

وقد استهل قصيدته العينيّة بخطاب "ضباعة بنت الحارث الكلابي" أخت "زفر" ، خطاباً مباشراً ، عبّر من خلاله عن حزته العميق ، وهمّه الدّفين ، لتباين حال قبيلتها قيس ، وقبيلته تغلب ، وللصّراع الدّمويّ المقيت بينهما ، صراع فيه طاعة للغواة ، وعصيان للتّدبّر والحلم والأناة ، وقد نهلت القصيدة من أشجان ذاته ، وأعماق فؤاده ، وعبّرت عن أزمة مزدوجة ، أزمة ذاته ، وأزمة القبيلتين ، ويبدو أنّه نجح في صهر معاناته ، وصولاً إلى هدف منشود ، هدف مزدوج ، يُثلج صدوراً متباينة وألباباً متصارعة يسعى أولو الألباب إليه ، وعلى رأسهم صاحب الشّأن الممدوح " زفر" ، فثمّة قاسم مشترك بين المادح والممدوح ، كلّ منهما مجمع ، لا يحبّ الفرقة ، حريص على جمع الشّمل والوئام ، وتزداد الأمور تعقيداً لدى المادح ، إذ وقع في الأسر ذليلاً مهاناً ، وأكرمه الممدوح الخصم ، إذن لابُدّ أن يُكرم الكريم ، ويردّ إليه الجميل ، شعراً فياضاً ، تتدفق من جنباته عاطفة صادقة ، وإخلاص ووفاء ، حبّ ومحبّة ، واعتراف بالجميل ، ودعوة صادقة لإخماد نار الألم والفرقة ، لتُشرق شمس الأمل .

وضرب على وتر حسّاس عندما أثنى على الكريم الماجد "أسماء بن خارجة" ، إذ إنّ الكرم هو الصّفة البارزة الّتي اعتمدت عليها شهرته ، فقد رُوي عنه أنّه قال : " لا أشاتم رجلاً ، ولا أردُّ سائلاً ، فإنّما هو كريم أسُدّ خَلَّتَهُ ، أو لئيم أشتري به عرضي منه " (المبرد ، 1997 : 3 / 320) ، لذا استحق مدحة تليق بشخصه في قصيدة نونيّة بلغت ثمانية وخمسين بيتاً ، جوّد فيها ، وجارى الأقدمين ، يقول :

فاخترتَ أسماءَ الجوادَ فلم تَخِب يَدُ راغِبٍ عَلِقَت أبـا حَسَّانا
وَترى الرِّفاق يوجِّهونَ رِكَابهـم نحو العريضِ مَنادِحاً وخُوانا
يَلِجونَ من أبوابِ دَارَةِ ماجدٍ لَيست تَهـرُّ كلابُه الضّيفانا
نِعمَ الفتى عَمِلَت إليـه مَطيّتي لا نَشتكي جَهدَ السِّفارِ كِلانا
وتراه يَفخَرُ أن تَحِلَّ بيوتُـه بمحلّةِ الزّمنِ القصيرِ عِنانا
(القُطاميّ ، 1960 : 65 – 66) .

كان أسماء سيّداً في قومه إذا ألّمت بالقوم عظيمة من الأمور تراه شهماً جواداً يغيث الملهوف ، ويحسم عظائم الأمور ، إذا نزل إليه أحد في حاجة لا يتوانى حتى يقضيها له ، لذا كان القطامي يرحل إليه كثيراً ، ولا يجد في رحلته إليه مشقّة حتّى ناقته لا تشعر بتعب السّفر إليه من فرط ما تلاقيه عنده من خير وكرم . يُنظر ، (غريّب ، 1955 : 235) .

وثمّة دلائل على جوده وكرمه ، إذ إنّ كلابه جبانة تعوّدت على الضّيوف ، كما كانت كلاب الأكرمين في عصر ما قبل الإسلام ، وفي ذلك تأكيد على كرم الممدوح ، وكثرة ضيفانه ، وثمّة محاكاة بقدر لشعراء عصره ومن سبقوهم ، الّذين افتخروا بالكرم .

وقد استهل – كعادته – نونيته بالغزل وذكر المحبوبة والخمر ، ثم الكلاب مع الثور الوحشي ، وصولاً إلى الممدوح من أجل تحقيق هدف منشود ، وقد تآلفت الموضوعات في تيار شعوري واحد ، مشدود بعاطفة الحبّ ، حب الشّاعر لمحبوبته ، وحبّه لممدوحه واحترامه وتقديره ، إذ يستحق الثّناء ؛ لأنّه أهل له ، وقد أعطاه العناية الكافية ، وأزجى إليه سحائب جوده ، وقد أبدع إذ مدح الرّجل بما فيه مما يجعله سيّداً كبيراً فيتحرّك للعطاء ، يُلمس ذلك من خلال السّياق ، وأدوات التّعبير ، حيث جو تفاؤلي متمثّل في الحبّ الحقيقي للمحبوبة والرّغبة في الفوز بالجائزة .

لقد أدرك شاعرنا أنّ الأطلال كانت في الشّعر الجاهليّ رمزاً لشعور إنساني من صميم إحساس الإنسان بمأساته في الحياة ، ولم يكن عنده كغيره من شعراء عصره كما ذكر د. عبد القادر القط أنَّه مجرّد " لبنة " تملأ فراغاً في بناء قصيدته ، ولم تكن قصيدته خالية من الشّعور بعيدة عن الالتحام بسائر أجزاء المطلع التّقليديّ (يُنظر ، (د. القط ، 1987 : 314) .

نعم ، قد يكون ما ذهب إليه د. القط أنّه كغيره من الشّعراء – في الغالب – في بعض مدائحه أنّ همّه إرضاء نزعته الفتيّة إلى مجاراة الأقدمين ، وإرضاء الممدوح لتهويل ما لاقى في طريقه من أهوال (يُنظر ، د. القط ، 1987 : 318 – 319) ؛ ليفوز بعطاء جزل .

ولكنّه لم يستهل قصيدته الميمية في مدح أسماء بن خارجة بالوقوف على الأطلال ، والغزل وذِكر الأحبّة ، ولم يصف الرّحلة وآلامها ، ولعلّ ذلك يرجع إلى أنّه لا يجد في رحلته إليه مشقّة – كما ذكر آنفاً – لأنّه على ثقة تامّة بكرم ممدوحه ، فهو ليس بحاجة إلى مزج الأمل بالألم طمعاً في الحصول على جائزة مجزية ، فقد ولج إلى الموضوع مباشرة بقلب مفعم بالأمل ، فهو يثني على شخصية اجتماعية مشهورة بالكرم تستحق التّقدير والاحترام والثّناء ، يقول فيها :

وأنت الذي ترجــوكَ قيسٌ لفضلهِ ... وحتى لُكَيزٍ من وراءِ اللهازِمِ
فَضُلت نزاراً يا ابن حُصنٍ تكرُّما ... وحزماً بِشدَّاتِ الفحولِ الصَّلادِمُ
بِحَّمـالِ أثقـالٍ إذا خَطَـرَت بـهِ ... فزارةُ في يومِ الثّأى المتفاقِمِ
(القُطاميّ ، 1960 : 70) .

إنه جواد كريم ، صاحب فضل عظيم ، فقد كان يتّحمل الدّيات عن فزارة وعن غيرها حقناً للدّماء ، وتأكيداً لصفة الكرم والجود ، لذا ترجو قيس وغيرها فضله وقد فُضّل على نزار أي قيس وتغلب .

أمّا الخليفة عبد الملك بن مروان ، فلم يحظَ بالثّناء على كرمه – وقد كان كريماً – إلا في بيت واحد في رائية بلغت ثمانية وتسعين بيتاً ، اُستهلت كالعادة بذكر الأحبّة ، والبكاء على الدّيار ، ووصف الرّحلة ومعاناتها ، وصولاً إلى مدح قريش والممدوح ، يقول :

وعبدُ المَلكِ للفقراء طَعمٌ ... وحِرزٌ ليس معقلُه يُضارُ
(القُطاميّ ، 1960 : 148).

وفي ذلك دلالة على فتور الصّلة بينهما ، إذ لم يحظَ شاعرنا بمكانة عند الخليفة – كغيره من أقرانه – وإن سعى جاهداً للنّجعة من أجل الجائزة ، بيد أنّه لم يجوّد في مدحه للخليفة .

واللّافت للانتباه أنّه أثنى على كرم قوم ممدوحه " زفر" في داليته ، إذ قال :

والصّيدُ آلُ نُفَيـلٍ خيرُ قومِهِـمُ ... عندَ الشّتاءِ إذا ما ضُنَّ بالزَّادِ
نُبِّئتُ قَيساً على الحشَاك قد نَزلوا ... منا بحيٍّ على الأضيافِ حُشَادِ
(القُطاميّ ، 1960 : 86 – 88) .

ولكنّه لم يثنِ على كرم قومه ، كما فعل قبل ذلك في الثّناء على شجاعتهم وقوّتهم ومنعتهم.

و الخلاصة أن لا تجديد يُذكر في ثنائه على كرم ممدوحيه ، فقد سار على نهج الأقدمين ، ولم يُحاكِ شعراء عصره ، الّذين بالغوا في الكرم إلى حدّ الإسراف والمباهاة ، لا من أجل رفع المعاناة ، ولم يأتِ بألفاظ دينيّة توحي بالتّجديد ، وقد كان عنوانه في هذا الإطار الاعتراف بالجميل للممدوح السّيد الكريم ، بخاصّة في مدحه "لزفر" والفوز بالجائزة ، وثمّة تفاوت في تجويده وصدق عاطفته ، ومدى تفاعله مع الممدوح .

كرم الأصل :

عراقة الأصل ، والمجد والشّرف توأمان لا ينفصلان ، فالمجد ينبثق من أصل عريق ونسب شريف يتوارثه الآباء جيلاً بعد جيل من الآباء والأجداد .

والمجد هو المروءة والسّخاء ، والمجد هو الكرم والشّرف ، وقيل : " المجد : نبل الشّرف ، وقيل لا يكون إلّا بالآباء ، وقيل : المجد : كرم الآباء خاصّة ، وقيل : المجد: الأخذ من الشّرف والسّؤدد ما يكفي ". (ابن سيدة ، 1985 : 7 / 147).

طالما أثنى شعراء ما قبل الإسلام على عراقة الأصل ونبل الشّرف وحسن المنبت .

مدح زهير بن أبي سلمى – على سبيل المثال – غطفان وأشاد بحسبهم ومجدهم قائلاً :

سيروا إلى خَيرِ قَيسٍ كُلِّها حَسَباً وَمُنتَهى مَن يُريدُ المَجدَ أَو يَفِدُ
(ابن زهير ، 1995 : 49)

وكذلك فعل شعراء بني أميّة بخاصّة في مدحهم لخلفاء بني أميّة ، لإثبات أحقّيتهم في الخلافة وأنّهم أهل لها ، وأنّهم ينتمون إلى أرومة أصيلة . وشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء .

يقول جرير في مدح الوليد بن عبد الملك :

إنَّ الوَليدَ هُوَ الإمامُ المُصطَفى بِالنَّصرِ هُزَّ لِواؤُهُ وَالمَغنَمِ
وَرِثَ الأَعِنَّةَ وَالأَسِنَّةَ وَانتَمى في بَيتِ مَكرُمَةٍ رَفيعِ السُلَّمِ
(جرير (بلا تاريخ) : 396 ، ويُنظر ، على سبيل المثال ، مدحه لهشام بن عبد الملك : 117 ، وعبد العزيز بن مروان : 171 ، ويُنظر ، الفرزدق ، (بلا تاريخ) ، مدحه للوليد ابن عبد الملك : 97 ، وعمر بن عبد العزيز : 204 ، 205 – 287) .

سار القُطاميّ على منوالهم في مدحه للسّادة الكرام ، فقد أثنى على شرف أصل ممدوحه " أسماء بن خارجة " ، وكريم فعاله في نونيّة بلغت ثمانية وخمسين بيتاً ، وساق أدلّة بشكل عام على شرف أصله ، وأكّد على أنّ آباءه أنجبوه وهم على ذكر حسن ، يقول :

وعليكِ "أسماءَ بنَ خارجةَ" ٱلذي عَلِمَ الفِعالَ ، وعَلَّمَ الفِتيانا
فستعلمينَ أصادِقٌ روّادُهُ عنه ، وأيُّ فتىً ، فتى غَطَفانا
قَرماً إذا ابتدرَ الرّجالُ عظيمةً بَدَرَت إليه يمينُهُ الأَيمانا
نِعمَ الفتى عَمِلَت إليه مَطيّتي لا نَشتكي جَهدَ السِّفارِ كِلانا
إنَّ الأبوَّةَ والدانِ تراهما مُتقابلَينِ قَساماً وهِجانا
فأبٌ يكونُ إلى القيامةِ مَجدُهُ وأبٌ يكونُ على بَنيهِ ضمانا
غَطَفان سيّدُهم أبوك وخيرُهم ولدوك حين تذكروا الإحسانا
(القُطاميّ ، 1960 : 64– 65) .

وأشاد بالأمجاد الّتي بناها جدّه "حصن" ، وبنسبه الرّفيع في ميمية بلغت أربعة عشر بيتاً ، إذ قال :

وإنّي لَمُهدٍ مِدحَةً وَهَدِيَّةً "لأ سماءَ" ذي الفَضلِ العظيم القُماقمِ
وما قائلٌ خيراً ومثنٍ بنائِلٍ على آلِ بَدرِ بنِ مَعَدٍّ بنادِمِ

وَجَدُّكَ حُصنٌ قد بنى لك في العُلا ... كما كان نُعمان بنى للعلاقمِ
أَغَرُّ إذا اصطَكَّ الجباهُ كأنّه ... هِلالٌ بدا من مُسجفاتِ الغمائِمِ
إذا نحن زُرنا بيتَهُ قال : مَرحَباً ... لِجوا ثمّ لَم يَعرِض لنا بالسَّخائِمِ
أَلَم تَرَ أنّا قد كسَوناك حلةً ... نَمت بك ليست لِلِئَامِ الدَّمائِمِ
مُفَدّاةُ بنتُ الحصنِ أُمُّكَ فانتسِب ... إلى النَّسَب الرَّابي الرَّفيعِ الدَّعائمِ
وأمَّ بني بَدر فلا تَنسيَنَّها ... وبَدراً أبا تلك النُّجومِ الخَضارمِ
تَظَلُّ سَراةُ الحيِّ قيسٌ تَعودُهُ ... وتغلبُ من معطي الخَزامِ ووائِمِ
(القُطاميّ ، 1960 : 70 – 71) .

لم يخرج عن المعاني التّقليدية حيث : كرم الآباء ، وكرم الصّفات ، كرم أَصلِه ، فقد كان جدّه رجلاً عظيماً بنى له هذه الأمجاد، كما بنى نعمان مجداً للعلاقم ، وكرم أمّه وفضلها ، فضلاً عن أنّ الممدوح أمل لقيس كلّها .

اللّافت للانتباه أنّه لم يستهلّ مدحته بالغزل وذكر الأحبّة ، ليعيش في جو تفاؤلي مفعم بالأمل والسّعادة ، ولم يصف وعثاء الرّحلة وآلامها ، فلا مزج بين الأمل والألم ، إنّما ولوج إلى الموضوع مباشرة بقلب مفعم بالأمل ، بخاصّة أنّه يُثني على كرم أصل ماجد شريف معلّم مؤدّب ، كريم الأصل ، كريم اليد .

وفي رائية طويلة بلغت ثمانية وتسعين بيتاً ، أشاد بثبات أصل الخليفة عبد الملك بن مروان وأرومته ، إذ قال :

ونصرُ ذوي الأباعدِ منك رَيْثٌ ... وأحشاءُ ابنِ عمّكَ تُستطارُ
ومن يَنزَع أرومَتَه لأخرى ... فذاك لثابتِ الأصلِ اعتقارُ
كما الزّيتونُ لا يَمّازُ نخلاً ... ولا الجبارُ تبدلُه الصّحارُ
أميرُ المؤمنين هدىً ونورٌ ... كما جلّى دجى الظّلمِ النّهارُ
قريعُ بني أميّةَ من قريشٍ ... همُ السَّرُ المهذّبُ والنّضارُ
وقد حَمَلَ الخِلافَةَ ثم حَلَّ ... بها عند " ابنِ مروانَ" القرارُ
(القُطاميّ ، 1960 : 147 – 148) .

فهو ينتمي إلى أصل كريم ثابت ، وحسب رفيع ، بني أميّة من قريش ، وكأنّ لسان حاله يؤكّد على أحقيتهم بالخلافة ، وهو بذلك يعزف على وتر حسّاس ، ويترنّم بنغمات تطرب الخليفة ، وتزيد في العطاء ، وقد أبدع إذ أتى بصورة بيانيّة أثّرت المعنى ، وأكّدت على أصالة الممدوح .

وكان من الطّبيعي أن يشيد بشرف أصل " همّام " سيّد تغلب في الإسلام ، فقال في ميمية بلغت ثلاثين بيتاً :

نَمى بك يا "هَمّامُ" شيخٌ ورَثتَهُ ... بنى لك والآباءُ بانٍ وهادِمُ
(القُطاميّ ، 1960 :131) .

وأثنى على كرم أصل قبيلته تغلب ، فهم سادة أمجاد ، ورثوه عن الآباء والأجداد ، من خلال مدحه لسيدهم " همّام " في رائية بلغت سبعة عشر بيتاً ، إذ قال :

غطاريفُ يَدعون الكريمَ أخاهم ... وإن لم يكنْ فيهم له مِنهُمُ صَهرُ
وتغلبُ حَيَّ وَرَّثَ المجدَ وائلاً ... مَراسِلُها حُشدٌ مرافِدُها غُزرُ
(القُطاميّ ، 1960 : 125) .

واللّافت للانتباه – كما ذكرنا آنفاً – أنّ القُطاميّ كان نفسه محور الحديث مع ممدوحه ، لا مجرّد مادح يطلب المال فقط ، فهو يمدح نفسه وقومه أحياناً بالإضافة إلى مدحه للممدوح ، وإن قدّم له معروفاً لا يُنسى .

بعد أن أثنى على ممدوحه " زفر" في عينيه بلغت واحداً وسبعين بيتاً ، واعترف بفضله إذ أكرمه وأعاد إليه توازنه ، راح يمدح كرم أصل قومه ، السّادة العظماء أصحاب الأخلاق العظيمة ، فقال :

فلم أرَ منعمينَ أقلَّ منـّا ... وأكرمَ عندما اصطنعوا اصطناعا
من البيضِ الوجوهِ بني نُفَيل ... أَبَت أخلاقُهم إلاَّ اتّساعا
بني القَرمِ الّذي علِمَت مَعَدٍّ ... تَفَضَّل فوقها سعةً وباعا
(القُطاميّ ، 1960 : 38) .

صاحب الخُلق الرّفيع ، والأصل المنيع ، الّذي ينتمي إلى أرومة عريقة ، وقبيلة شريفة ، وفيّ يقابل الإحسان بالإحسان ، كريم لا يُنكر الجميل ، وكأنّ القُطاميّ يريد أن يوصل هذه الرّسالة المهمّة إلى ممدوحه " زفر" ، وهو مرفوع الرّأس ، شامخ الجبين ، بأنّه ينتمي إلى قبيلة كريمة الأصل والمنبت ، ورث عنها المجد والسّؤدد ، يقول في ميميّة بلغت سبعة وعشرين بيتاً ، مدح فيها "زفر" مشيداً بقبيلته :

وقبلَ ابنِ النّعامةِ كنت نِكلاً ... ملداً حين تنتطحُ الخصومُ
فما أدنى نعامَةَ من أبينَا ... إذا عُدَّ الخؤولَةُ والعمومُ
فخالي الشّيخُ صعصعةُ بنُ سعدٍ ... وتنميني لاكرمِهـا تميـمُ
وترفِدُني الأراقـمُ كلَّ رفدٍ ... وشيبانُ بنُ ثعلبةَ القرومُ
أبي عنه وَرِثتُ سـوامَ مَجـدٍ ... وكلُّ أبٍ سيورِثُ ما يسـومُ
(القُطاميّ ، 1960 : 116) .

ومضى يُثني على أصالة قبيلته ، ويذكر رموزها وأعلامها أصالة وعراقة :

فما آلُ الحُباب إلى نفيلٍ ... إذا عُدّ الممهلُ والقديمُ
كأنَّ أبا الحُبابِ إلى نفيلٍ ... حمارٌ عَضَّهُ فَرَسٌ عَذومُ
بنى لك عامِرٌ وبنو كـلابٍ ... أروماً مـا يوازِنُـهُ أرومُ
إذا عُـدَّت هـوازنُ أو سُليـمٌ ... فأنتم فَرعُها الشّرفُ الصّميمُ
وَجَدنا الصّعـقَ كبشَ بني نَفيلٍ ... حرى بالمجـدِ قد علمَ العليمُ
(القُطاميّ ، 1960 : 116 – 117) .

هذا الفيض المتدفّق إشادة بأصالة منبت قبيلته ، يُعلن عن علاقة تكافؤ مع الممدوح ، فكلاهما من قبيلة ذات حسب ونسب أصلها كريم ، ومنبتها قويم ، علاقة حبّ واحترام وتقدير ، واعتراف بالجميل ، كلاهما محبّ للوئام والسّلام ، لذا كانت المشاعر فيّاضة ، والعاطفة نبيلة صادقة ، وقد تحقّق الهدف المنشود ، لكن لا وجود لأي ابتكار أو تجديد .

سيادة الممدوح ، وكيف أنّه يقدم الصّنائع ويصلح بين الأحياء :

الشّجاعة وكرم اليد والأصل فضائل ترتقي بصاحبها إلى أعلى درجات المجد والسّيادة والرّيادة في مجتمع عصر ما قبل الإسلام ، فإذا تسابق النّاس لإدراك غاية من المجد يُسوّد من سبق إليها ، وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى :

إذا اِبتَدَرَت قَيسُ بنُ عَيلانَ غايَةً مِنَ المَجدِ مَن يَسبِق إِلَيها يُسَوَّد
(ابن سلمى ، 1995 : 43) .

وقد كان التّسويد في القبيلة العربية معلماً من معالم وجودها السّياسيّ ، إذ كان لكلّ قبيلة سيّد يقودها ، وقد أشار أميّة بن أبي الصّلت إلى ذلك وهو يمدح عبد الله بن جعدان ، إذ قال :

لِكُلِ قَبيلَةٍ هادٍ وَرأسٌ وَأَنتَ الرَأسُ تَقَدُمُ كُلَّ هادي
(ابن أبي الصّلت ، 1998 : 42)

لا شكّ أنّ معظم ممدوحي القُطاميّ سادة كرام ، أصلهم عريق ، ومنبتهم طيّب ، شرفهم قديم ، موروث عن الآباء والأجداد ، قال في ميمية بلغت ثلاثين بيتاً في مدح "همّام بن المطرّف" سيّد تغلب في الإسلام :

نَمى بك يا "هَمّامُ" شيخٌ ورَثتَهُ بنى لك والآباءُ بانٍ وهادِمُ
(القُطاميّ ، 1960 : 131) .

ومدحه في رائية بلغت سبعة عشر بيتاً بأنّه يُصلح بين القبائل ، ويقدّم الصّنائع بين الأحياء شأن السّيّد الواسع الأفق :

ألم تَرَ "همّاماً" فتى تغلِب الّذي تعـاورُه الأيـامُ واضطَرَّهُ الدَّهـرُ
بنى بَينَ حَيَّي وائِـلٍ بصنيعـةٍ فلا تغلِبٌ لامَت أخاها ولا بَكرُ
(القُطاميّ ، 1960 : 125) .

وفي إطار هذا المدح القبليّ ، مدح "أيوب بن القِرّيّة" ، الّذي يلتقي به – أي القُطاميّ – في أجداده الأعلين (يُنظر ، ابن خلكان ، بلا تاريخ : 1 / 250) .

وبذلك يكون من عُصبه ، وهو سّيد قبيلته ، ومالك زمامها ، وهو عنوان عليها ، فقال :

سادَ ابنُ قيسٍ بيوتَ النَّمر واعترفت لـه أتـمٌ ذراعٍ فوقَهـا غَرَبـا
مَـدَّ اليدينِ فلم تقصُـر أنامِلُـهُ وأدرَكَ السّورةَ العُليا الّتي طَلَبا
"أيّوب" أنتَ إمامُ النَّمرِ إذ نُسِبت إذا المخبّرُ عن مجهولِها نُسِبا
(القُطاميّ ، 1960 : 168) .

مدح قبليّ ، فيه احترام للأصل الكريم ، والعشيرة الأقربين ، كيف لا ، والقُطاميّ يضرب بنسبه إلى ذروة عالية ، وأصل كريم قديم .

ولم يتردّد في الثّناء على سيادة قيس ، في مدحه "لأسماء" بن خارجة" في نونيته ، الّتي بلغت ثمانية وخمسين بيتاً ، وقد كان أبوه سيّد غطفان :

غَطَفان سيّدُهم أبوك وخيرُهم ولدوك حين تذكروا الإحسانا
(القُطاميّ ، 1960 : 66) .

وبيّن في ميمة أخرى أنّ ممدوحه "زفر" استحق السّيادة بفضله وحزمه وشدّته ، فقال :

لَعَمري لَقَد سادَ ابنُ بَدرٍ بفضلِهِ على وُدِّ مسرورٍ بذاك وراغِمِ
وأنت الّذي ترجوكَ قيسٌ لفضلهِ وحتى لُكَيـزٍ من وراءِ اللّهازِمِ
فَضُلت نزاراً يا ابن حُصنٍ تكرُّما وحزماً بِشدَّاتِ الفحولِ الصَّلادِمُ
بِحمَّـالِ أثقالٍ إذا خَطَـرَت بهِ فزارةُ في يومِ الثّأى المتفاقِمِ
(القُطاميّ ، 1960 : 71 – 72) .

وهو بذلك يسير على خُطا العرب في عصر ما قبل الإسلام ، فالمسوّد لا بُدّ أن تتوافر فيه شروط حتّى يصبح سيّداً على قومه .

غير أنّه في مدحه لعبد الملك بن مروان في الرّائية ، ذكر كلمة "الخلافة" ، إذ قال :

وقد حَمَلَ الخِلافَةَ ثم حَلَّ بها عند ابنِ مروانَ القرارُ
(القُطاميّ ، 1960 : 148) .

وفي مدحه للوليد بن عبد الملك في هائية لم تتعدّ عشرة أبيات ، استهلها بالوقوف على الأطلال ، وصولاً إلى الممدوح ، ذكر كلمة "الخليفة" ، و"الإمام" ، وهي ألفاظ دينيّة سياسيّة جديدة ، وكأنّه يؤكّد على أحقية بني أميّة في الخلافة ، طمعاً في جائزة ماليّة ، يقول :

أرجو الخليفَةَ إذ رَحَلتُ ميمّماً والّنفسُ تُدرِك في الرّحيلِ مُناها
وإذا علقتُ من الوليدِ بذمةٍ سكنت إليّ جوانحي وحَشاها
أنتَ الإمامُ ابنُ الإمامِ لأُمَّةٍ أضحى بكَفّكَ فَقرُهـا وغِناها
(القُطاميّ ، 1960 : 119) .

فقد ذُكر أنّه " أوّل ما حرّك من القُطاميّ ورفع ذكره أنّه قدم في خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحه ، فقيل له : أنّه بخيل لا يُعطي الشّعراء ، وقيل : بل قدمها في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقيل له : إنّ الشّعر لا يُنْفَقُ عند هذا ولا يُعطي عليه شيئاً ، وهذا عبد الواحد بن سليمان فامتدحه فمدحه " بهذه القصيدة (الأصفهانيّ ، 1992 ، 24 / 23) .

كان من الطّبيعي أن يختلف الوضع في مدحه "لعبد الواحد بن الحارث" ، الّذي كان والياً على المدينة في عهد عبد الملك بن مروان ، فله مدحة في لاميّة مشهورة بحسن المطلع ، منها :

أَهلُ المدينةِ لا يَحزُنكَ شأنُهم إذا تخطَّأَ "عبدَ الواحِدِ" الأَجلُ

استهل هذه اللاميّة الّتي انسابت في فضاء تعبيري بلغ ثلاثة وأربعين بيتاً بالوقوف على الأطلال ، والحكمة ، فالنّسيب ، ووصف الرّحلة ومعاناتها ، وصولاً إلى الممدوح ، وقد نجح في صهر معاناته في ثنائية القلق والأمل ، القلق إزاء شظف الحياة الصّحراويّة ، والأمل في تحقيق الهدف ، وقد حلّق في فضاء تفاؤليّ رحب إذ أخذ بمفتاح السّعادة ، مفتاح الغزل ، وحبّ المحبوبة ، وحبّه لتحقيق الهدف ، يقول مشيداً بقريش السّادة الأوّل الّذين ثبّتوا الإسلام :

أمَّـا قريشٌ فَلَـن تلقاهـم أبَداً إلّا وهم خيرُ مَن يحفى وَينتَعِلُ
إلاَّ وهُم جَبَلُ الله الّذي قَصُرت عَنه الجبـالُ ، فما ساوى به جَبَلُ
قَومٌ هُمُ ثبّتوا الإسـلامَ وامتنعوا قَومَ الرّسولِ الّذي ما بَعدَه رُسُلُ
مَن صالحوه رأى مِن عَيشِهِ سَعةً ولا ترى مَن أرادوا ضَـره يثـلُ
(القُطاميّ ، 1960 : 29) .

تحوّل الخطاب من الأنا إلى الآخر ، ومن الضّمير الأحادي إلى الضّمير الجمعي ، وكأنّ فضائل القوم مجتمعة قد اُختزلت في الممدوح ، مشكّلة مجموعة من القيم الدّينيّة والاجتماعيّة ، بخاصّة أنّه أشاد بقريش الّذين ثبّتوا الإسلام ، بل الإشادة بالرّسول الكريم ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين .

ثم شكّل القُطاميّ من هذا الفيض ، وأصالة المنبت علاقة تكافؤ وتوحّد مع الممدوح ، فكلاهما في موقف الأخذ والعطاء ، فالشّاعر يُسدي إليه عبير ثنائه ، والممدوح يُزجي إليه سحائب جوده ، مشكّلاً منها خيطاً شعورياً كان بمثابة التّلاحم لثنائية القلق والأمل :

كَمْ نالني مِنهُمُ فضلٌ على عَدَمٍ ... إذ لا أكادُ مِن الإقتارِ أَحتَمِلُ
وَكَم مِنَ الدَّهرِ ما قد ثبّتوا قدمي ... إذ لا أزالُ مَعَ الأعداءِ أَنتَضِلُ
فلا هُمُ صالحوا مَن يبتغي عَنتي ... ولا هُمُ كدَّروا الخَيرَ الّذي فعَلُوا
هُمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ هُمُ ... والآخذون به والسَّاسَةُ الأُوَلُ
(القُطاميّ ، 1960 : 30) .

وقد حقق المادح أمله المنشود ، فقد ذكر صاحب الأغاني عن عمرو بن العلاء أنّ القُطاميّ عندما أنشد القصيدة لعبد الواحد : " فقال له : كم أملت من أمير المؤمنين ؟ قال : أملت أن يعطيني ثلاثين ناقة ، فقال : قد أمرت لك بخمسين ناقة مُوقَرةً بُرّاً وتمراً وثياباً ، ثمّ أمر بدفع ذلك إليه " (الأصفهاني ، 1992 ، 24 / 23 – 24) .

وعلى نفس منوال اللاميّة السّابقة كانت الرّائية في مدح الخليفة عبد الملك بن مروان ، وقد استهلها بالوقوف على الأطلال ، وذكر الأحبّة ، في جو تفاؤلي ، يعقبه عناء ومشقة ، ليمتزج الأمل بالألم ، وصولاً إلى غاية وسعادة ، فقد أشاد بقوم الممدوح ، فهم رُعاة ، وقوم المادح رعيّة ، وقد أشار إلى نسبه وصلته الوثيقة بقريش قبيلة الرّسول ﷺ ، وكأنّه يريد أن يؤكّد أحقية عبد الملك بالخلافة والحكم ، يقول :

فأينَ ذوو البطــاحِ ذُرا قريشٍ ... وأحـلامٌ لَهُـم ما تستعـارُ
ونحن رعِيـةٌ وهـم رُعـاةٌ ... ولولا رَعيُهُم شنع الشنارُ
فإن لم تأتَمِر رُشداً قريشٌ ... فليس لسائرِ العَرَبِ ائتمارُ
وفضلُهُمُ بإذنِ اللهِ صَبرٌ ... وضَرسٌ للأعادي واحتقارُ
فيا قومي هَلُـمَّ إلى جميعٍ ... وفيما قد مضى لكم اعتبارُ
(القُطاميّ ، 1960 : 142) .

لا شكّ في أنّ المعاني والمضامين تدور حول أحقية بني أميّة بالخلافة دون غيرهم من النّاس ، وفي ذلك تجديد لا يحتاج إلى أعمال عقل أو تفكير ، ولكنّه في الوقت نفسه كان يعزف على وتر حساس يجاري فيه الأقدمين ، إذ إنّ قريشاً كان لها السّيادة والرّيادة في عصر ما قبل الإسلام ، فقد قال : " فليس لسائر العرب ائتمار " .

ولم ينسَ القُطاميّ قومه في هذه الرّائية المخصّصة لمدح الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقد مدّ يد العطاء مرفوع الرّأس ، مُشيداً بسيادة قومه تغلب ، مفتخراً بهم ، فهو نفسه محور الحديث مع ممدوحه ، لا مجرّد مادح يطلب العطاء ، فقال :

فصارت بالجّدودِ بنو نِزارٍ ... فَسِدناهم ، وأثعلت المضارُ
فكان لنا وللمضـرين حظٌّ ... وللحُسّـادِ في الأثَرِ الغبارُ
فصار العِزّ والبَسَطـات فينـا ... وأعـلامٌ قدامِسَـةٌ كبـارُ
ومنـّا الأنبيـاءُ وكُـلُّ مَلكٍ ... وحُكّـامُ الأئمةِ حيثُ صاروا
غَلَبنا النّاسَ في الدّنيا بفضلٍ ... ونرجـو أن يكونَ لنا المحارُ
وإسماعيـلُ بعـد اللهِ يقضي ... لنا بالحقّ اذ رُفِعَ الخطارُ
فعندي الفصلُ للجّهّالِ منكم ... كمنهـاجِ الطّريـقِ به المنارُ
(القُطاميّ ، 1960 : 146) .

لا شكّ في أنّ ممدوحي القُطاميّ سادة كرام يستحقون الثّناء ، فقد توافرت فيهم شروط السّيادة ، بغضّ النّظر عن تفاوت صلته بهم ، وتجويده وإبداعه في مدحهم ، وهو كالعادة يُثني على ممدوحه ، وعلى قوم ممدوحه ، ولا ينسى قومه الّذين كانوا سادة ، فهو يطلب العطاء مرفوع الرّأس ثابت الجنان ، وقد ظهرت في إشادته بسيادة ممدوحه ألفاظ دينيّة جديدة ، مثل : "الخلافة" ،

و"الخليفة" ، و"الإمام" ، وقد أشاد بقريش قوم الرّسول المصطفى الّذين ثبّتوا الإسلام ، ومع ذلك فقد سار على نهج الأقدمين في مدحهم لساداتهم وكبرائهم .

الخاتمة :

توصّل البحث إلى النّتائج الآتية :

1. القُطاميّ شاعر مدّاح ، خبير بالأمور الّتي تحرّك اليد للعطاء ، خبير بالمواصفات والتّقاليد ، يعرف من أين تُؤكل الكتف ، يعزف على وتر حسّاس ، يمدح المرء بما يناسبه ، حتّى يطربه ويحرّكه للعطاء .
2. خضعت معظم مدائحه لنظام القصيدة المدحيّة الّتي تغلب عليها تعدد الموضوعات ، بدءاً بالوقوف على الأطلال ، وصولاً إلى غرض المدح ، إذ أدرك أنّها كانت في الشّعر الجاهليّ رمزاً لشعور إنساني من صميم إحساس المرء بمعاناته في الحياة بخاصّة أنّ العربي عاش في كَبَد ، وقد كانت موضوعاته مترابطة ، متآلفة في تيار شعوريّ واحد ، وقد وصف الرّحلة وما يعانيه في الصّحراء ليُرضى – أحياناً – نزعته الفنيّة في مجاراة الأقدمين ، ويرضي الممدوح في تهويل ما لاقى في طريقه إليه من أهوال ؛ ليحظى بعطاء وافر ، ومع ذلك جوّد في بعض مدائحه عندما كان همّه العطاء ، مستغلاً إمكانياته الفنيّة .
3. قد تطول مقدّمته الطّلليّة طولاً لا يكاد يذكر بجانبه ما يقول في غرضه الأصلي المدح ، وفي ذلك هروب من مواجهة الشّخصيّة والتّعمّق في جوانبها إلى الكلام العام أحياناً كما فعل مع "أسماء بن خارجة" ، وإلى ترك شخصية الممدوح ومدح قبيلته أحياناً ، فهو لا يكاد يأخذ في مدح "عبد الواحد" حتّى يتركه ويمدح قريشاً ، وحين يمدح الخليفة "عبد الملك" يمدح قريشاً ، ويمسّ الممدوح آخر الأمر مسّاً خفيفاً .
4. سار على نهج أسلافه ، ونهل من الموروث القديم ، غير أنّ بعض معانيه دارت حول الدّين ، والجهاد ، والسّاسة ولكن بقدر ، وربما قد مسّ تجديداً في مدحه "لزفر" ، معترفاً بالجميل .
5. يمكن تقسيم شعر مدحه إلى ثلاثة أقسام :

الأوّل : صادر عن إخلاص صادق ، تمثّل في مدحه "لزفر بن الحارث" ، الّذي أعاد إليه كرامته ،وأحبّه ، وتأثّر به .

الثّاني : مدح قصد به طلب العطاء ، وهو قسمان : قسّم جوّد فيه واعتنى به ، تمثّل في مدحه "لأسماء بن خارجة" ، والآخر لم يجوّد فيه إلّا قليلاً ، تمثّل في مدحه الخليفة "عبد الملك بن مروان" ، وابنه "الوليد" ، والوالي "عبد الواحد" .

والثّالث : قصد به خدمة العصبيّة القبليّة ، والشّخصيّة الذّاتيّة .

6. استعمل ألفاظاً دينيّة في مدحه لعبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وللوالي عبد الواحد بن سليمان ، وكأنّه يحاول تأكيد ولائه للأمويين .
7. توافر الصّدق الفنيّ والنّفسيّ في مدحه "لزفر بن الحارث" ، الّذي كانت شخصيته مصدر وحي له ، فقد جوّد في مدحه بمقدار حبّه له ، واعترافه بالجميل ، وتوافر الصّدق الفني في باقي مدائحه بدرجات متفاوتة .
8. قلة الصّور الخياليّة في مدائحه .
9. جمع بين الجزالة والرّقة في أسلوبه ، وموسيقاه هادئة رزينة تطرب الأذن والنّفس ، وترضي العقل والشّعور ، تستوي في ذلك موسيقا الألفاظ ، والأسلوب ، والبحور الشّعرية .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- ابن الأثير ، الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 620هـ)

1. الكامل في التّاريخ ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1407 هـ – 1987 م .

- أبو الأسود الدّؤلي : ظالم بن عمرو (ت 69 هـ) .

2. ديوانه ، صنعه أبي سعيد الحسن السّكري ، تحقيق : الشّيخ محمّد حسن آل ياسين ، دار مكتبة الهلال ، ط 2 ، 1418 هـ – 1998 م .

- الأصفهاني : أبو الفرج (ت 356 هـ) .

3. الأغاني ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ : عبد أ. عليّ مهنا الأستاذ سمير جابر ، طبعة جديدة مصحّحة ومنقّحة ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1412 هـ – 1992 م.

- بدران ، عبد القادر أفندي .

4. تهذيب ابن عساكر ، طبعة روضة الشّام (بلا تاريخ) .

- البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت 1093 هـ) .

5. خزانة الأدب ، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 4 ، 1418 هـ – 1997 م .

- أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي (ت 231 هـ) .

6. ديوان الحماسة ، شرحه وعلّق عليه أحمد حسن بسج ، منشورات دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418 هـ – 1998 م .

- ابن ثابت – حسّان (ت 54 هـ) .

7. ديوانه . شرح د. يوسف عيد ، دار الجيل – بيروت – ط 1 1412 هـ – 1992 م .

- الجّاحظ : أبو عثمان بن عمر بن بحر بن محبوب (ت 255 هـ)

8. البيان والتّبيين ، تحقيق عبد السّلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 5 ، 1985م.

- جرير : ابن عطية بن الخَطَفي بن يربوع التّميمي (ت 114 هـ) .

9. ديوانه ، دار صادر ، بيروت (بلا تاريخ) و(بلا طبعة) .

- الجعدي : النّابغة .حبان بن قيس بن عبد الله (ت 50 هـ تقريباً) .

10. ديوانه ، جمعه وحقّقه وشرحه د. واضح الصّمد ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1998م.

- ابن جعفر ، قدامة ، أبو الفرج (ت 310 هـ) .

11. نقد الشّعر ، تحقيق وتعليق د. محمّد عبد المنعم خفاجي ، المكتبة الأزهريّة للتّراث ، ط 1 ، 1426 هـ – 2006 م .

- الجمحي : محمّد بن سلاّم (139 – 231 هـ) .

12. طبقات فحول الشّعراء ، منشورات محمّد علي بيضون ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، 1422 هـ – 2001 م .

- ابن الجوزي : جمال الدّين أبي الفرج بن عبد الرّحمن البغدادي (597 هـ).

13. نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس ، إدارة الطّباعة المنيريّة ، القاهرة (بلا تاريخ) .
- ابن حجر : الحافظ شهاب الدّين أبي الفضيل العسقلانيّ (773 – 852 هـ) .
14. الإصابة في تمييز الصّحابة ، مطبعة السّعادة ، مصر ، ط 1 ، 1328هـ .
- ابن رشيق : أبو عليّ الحسن القيروانيّ الأزديّ (ت 456 هـ) .
15. العمدة ، حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه محمّد محيي الدّين عبد الحميد – دار الطّلائع ، القاهرة ، ط 1 ، 2006 م .
- ابن أبي سُلمى : زهير المزنيّ الغطفانيّ (ت 609 م) .
16. ديوانه . تقديم وشرح وتعليق ، د. محمّد محمود ، دار الفكر اللّبنانيّ ، بيروت ، ط 1 ، 1995 م .
- ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت 458 هـ) .
17. المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق عبد السّتّار أحمد فرّاج ، معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية ، ط1 ، 1985 م .
- الشّهرستاني : أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت548 هـ)
18. الملل والنّحل ، تحقيق محمّد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطّباعة والنّشر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، أُعيد طبعه بالأوفست 1395 هـ – 1975 م .
- ابن أبي الصّلت ، أميّة (ت 5 هـ) .
19. ديوانه ، جمعه وحقّقه وشرحه د. سميع جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1998 م .
- الفرزدق : همّام بن غالب بن صعصعة (ت 110 هـ) .
20. ديوانه ، شرحه وضبط نصوصه وقدّم له د. عمّر فاروق الطّبّاع ، شركة دار الأرقم للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418 هـ – 1997 م .
- ابن قتيبة : أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدّنيوي (ت 276 هـ) .
21. الشّعر والشّعراء ، تحقيق أحمد محمّد شاكر ، دار المعارف ، 1377هـ – 1958م .
- القُطاميّ ، عمير بن شييم التّغلبي (ت 101 هـ) .
22. ديوانه ، تحقيق د. إبراهيم السّامرائي ، أحمد مطلوب ، دار الثّقافة ، بيروت ، ط 1 ، 1960 م .
- القُطاميّ ، عمير بن شييم التّغلبي (ت 101 هـ) .
23. ديوانه ، دراسة وتحقيق د. محمود الرّبيعي ، الهيأة المصرية العامّة للكتاب 2001 م .
- ابن قيس الرّقيات ، عبيد الله (ت 85 هـ)
24. ديوانه ، تحقيق وشرح د. عزيزة فوّال باني ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1416 هـ – 1995 م .
- المبّرد : أبو العبّاس محمّد بن يزيد (ت 285 هـ) .
25. الكامل ، حقّقه وعلّق عليه ووضع فهارسه د. محمّد أحمد الديالي ، مؤسّسة الرّسالة ، ط 3 ، 1418 هـ – 1997 م .
- المرزباني : أبو عبيد الله محمّد بن عمران بن موسى (ت 384 هـ) .
26. معجم الشّعراء ، تحقيق د. فاروق اسليم ، دار صادر ، بيروت ، 1425 هـ – 2005م.

- المرزوقي : أبو عليّ أحمد بن محمّد بن الحسن (ت 384 هـ) .

27. شرح ديوان الحماسة ، نشره أحمد أمين ، عبد السّلام هارون ، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر ، ط 1 ، القاهرة 1371 هـ – 1951 م .

- المفضّل الضّبي : أبو العبّاس المفضّل بن محمّد (ت 178 هـ) .

28. المفضّليات ، شرح أبو محمّد القاسم بن محمّد بن بشّار الأنباري ، عُنِي بطبعه ومقابلة نسخه وتذيله بحواشي وروايات لعدّة لغويين وعلماء كارنوس يعقوب لايل ، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت 1920 م ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنّى بغداد لصاحبها قاسم محمّد الرجب (بلا تاريخ) .

المراجع :

- الجبوري : د . يحيى وهيب .

1. الشّعر الجاهليّ خصائصه وفنونه ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ، ط 6 ، 1993م.

- أبو حاقة ، أحمد .

2. فن المديح وتطوّره في الشّعر العربيّ ، منشورات دار الشّرق الجديد ، بيروت ، ط1 (آذار ، مارس) 1962 م .

- حسين : د. سيد حنفي .

3. الشّعر الجاهليّ ، مراحله واتجاهاته الفنيّة " دراسة نصيّة " ، الهيأة المصريّة العامة للتّأليف والنّشر ، (بلا تاريخ) .

- الحوفي : د. أحمد محمّد .

4. أدب السّياسة في العصر الأموي ، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر ، ط 3 ، 1388 هـ– 1969 م .

- خليف : د. مي يوسف

5. قضية الالتزام في الشّعر الأمويّ ، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع ، القاهرة ، 1989 م .

- الدّسوقي ، عمر .

6. الفتوّة عند العرب ،أو أحاديث الفروسية والمثل العليا ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، مطبعة لجنة البيان العربي (بلا تاريخ) .

- الرّفاعي : محمّد محمود .

7. شرح الهاشميات للشّاعر الشّهير الكميت بن زيد الأسديّ (ت 162 هـ) – طبع بمطبعة شركة التّمدّن الصّناعية بمصر ، ط 1 ، (بلا تاريخ) .

- الشّايب : الأستاذ أحمد .

8. تاريخ الشّعر السّياسيّ إلى منتصف القرن الثّاني ، دار القلم ، بيروت ، لبنان (بلا تاريخ) .

- الشّريف : د. عون القاسم .

9. شعر البصرة في العصر الأموي ، دراسة في السّياسة والاجتماع ، دار الثّقافة ، بيروت ، لبنان 1392 هـ – 1972 م .
– شيخو : لويس شيخو
10. شعراء النّصرانية بعد الإسلام – ط 2 – دار المشرق بيروت (بلا تاريخ) .
– ضيف : د. شوقي .
11. العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 19 ، 1960م .
12. العصر الإسلامي ، دار المعارف بمصر ، ط 2 ، 1963 م .
– عباس : د. إحسان .
13. شعر الخوارج ، دار الثّقافة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1974 م .
– غُريّب ، زكي عابدين .
14. القطامي حياته وشعره ، الإسكندرية ، ط 2 ، 1995 م .
– القاضي : د. النّعمان عبد المتعال .
15. الفرق الإسلاميّة في الشّعر الأموي ، دار المعارف بمصر (بلا تاريخ) .
– القط : د. عبد القادر .
16. في الشّعر الإسلاميّ والأمويّ ، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر ، بيروت 1407هـ – 1987 م .

STATISTICAL STUDY FOR DISABILITY PHENOMENON IN BENGHAZI AREA

By

Faiza F. El-khafifi

Yasmina B. El-Figih

Abstract

Disability is a common problem in any society that has a major impact on the disabled person, his family and his society. It requires a lot of investigations and analyses especially with the growing size and scope of this problem. The main object of this study is identify the demographic and socio-economic factors that have an effect on the acquired disability. A systematic random sample had been drawn from the department of disabled affairs in Benghazi area. In order to achieve our aim, multiple logistic regression is used.

Keywords: Logistic regression and Acquired disability.

الخلاصـــة :

تعتبر ظاهرة الإعاقة من أهم ظواهر المجتمع الصحية والاقتصادية والاجتماعية التي تنعكس آثارها السلبية على الفرد المعاق بصفة خاصة وعلى المجتمع بصفة عامة ومن أجل ذلك كانت هذه الدراسة التحليلية عن ظاهرة الإعاقة المكتسبة حيث كان الهدف الاساسى لهذه الدراسة تحديد أهم العوامل الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية المؤثرة في الإعاقة المكتسبة. ولتحقيق هذا الهدف تم سحب عينة عشوائية منتظمة من قسم شؤون المعاقين في مدينة بنغازي وتم استخدام أسلوب الانحدار المنطقي المتعدد " Multiple Logistic Regression "لتحليل البيانات من خلال البرنامج الإحصائي (SPSS)وبعد التحليل تم الحصول على النتائج التالية :نتائج نموذج الانحدار المنطقي للإعاقة المكتسبة .1 :العمر من العوامل المهمة في الإصابة بالإعاقة المكتسبة فمع زيادة العمر تزداد فرصة الاصابة بالإعاقة المكتسبة ، حيث تكون الإعاقة نتيجة لمرض أو لنوع من أنواع الحوادث .2 .وجود ارتباط عكسى بين مدة الإصابة بالإعاقة والإعاقة المكتسبة .3 .فرصة الإصابة بالإعاقة المكتسبة تزداد إذا كان مكان حدوث الإعاقة البيت والطريق و المنطقة الرعوية أو الزراعية وبذلك ظهور مثل هذه الإعاقة يرتبط بالمكان .4 .انتشار الإعاقة المكتسبة بين المصابين بالشلل والعمى والخذل والتخلف العقلي ، كذلك تنتشر عند غير المتزوجين .

1. INTRODUCTION

A lot of researches and scientific studies are made in all fields on healthy people but there are disabled people, **(Groups of special needs)** who constitute part of the society, have the right to be treated equally and their special needs have to be fulfilled by their society. Society is responsible for their welfare in all aspects of life and should help them to play positive roles amongst other normal healthy people of the society. This can be achieved by creating an appropriate environment that suits their special needs and meets their abilities and requirements. Generally, disability is a common phenomenon which is not limited to a certain society or a certain environment, and the problem of disabled people is aggravated all over the world. This comes as a result of the new technology and the risk behind it that affects human being. Therefore, it is very important to tackle this problem and limit it by using the best available scientific methods in the domains of protection and habilitation.

The statistics in this field show that 10% of world inhabitants were disabled and 80% of them live in the developing countries. It is worth mentioning that there are more than fifteen millions disabled in the Arab world. [**An Encyclopedia of the Disabled (1981)**]

Libya is one of the first developing countries that has collected statistics data regarding disabled people through its national censuses. Those efforts have been carried out in order to spotlight and limit the disability phenomenon.

The expression of disability and disabled person is differently expressed according to the political and economical system of the society. Disabled person is a person who experiences certain disadvantages in life and is not able to discharge the obligation required of him and play the role expected of him in society [**WHO (1980) and Park (1994)**].

In Libya according to law number five in 1987 for disabled people article two, a disabled person is defined as a person who is suffering from a permanent

impairment precluding him totally or partially, from performing work or behaving normally in the community regardless of whether due to his mental, psychological, sensorial or physical impairment and irrespective of whether it be congenital or acquired.

This study is based on data collected from the department of disabled affairs in Benghazi. To achieve the objectives of the present study this paper consists of five Sections. Section one consists of an introduction about the disability phenomenon. Section two presents the problem statement of the study. In Section three sample selection and description of the variables are presented. Section four includes the methodology of this study whereas Section five is mainly concerned with the analysis and results.

2. PROBLEM STATEMENT

The complexity of modern life with all its technological and industrial advancement in various fields has resulted in an increased number of victims amongst them disabled people. For instance, the improvement in means of transportation and the increase of car accidents give rise to the number of disabled people. The acceleration rate of industrialization and the use of machines in this modern age in many daily life activities can be another source of occupational injuries that may cause different kinds of disability. There are other social factors contribute to the high rate of the disability phenomenon in society, such as heredity and various diseases. Disability is a common problem in any society that has a major impact on the disabled person, his family and his society. It requires a lot of investigations and analyses especially with the growing size and scope of this problem. This increase is accompanied various forms of disability resulting from complexities of social life and its rapid development. Hence, the phenomenon of disability raises, even at international level, many basic questions regarding the factors affecting or leading to it.

Libya as any other country has a number of disabled people owing to the industrial development, which has led to the excessive use of machinery. It should be noted that Libya during history was a battlefield of several wars, which left behind a lot of land mines. These mines have led to a considerable number of disabled people. In addition, there are disabled people due to other reasons such as heredity, diseases and congenital causes. According to the previous text, the government of Libya has paid more attention to this international phenomenon by establishing a lot of disabled habilitation centers in order to decrease the number of disabled people in the country. To study the various dimensions of the disability phenomenon this analytical and statistical study has been carried out in order to investigate the demographic and socio-economic factors that have an influence on disability phenomenon.

2.1. The aim of the Study

The main object of the present study is to identify the demographic and socio-economic factors that have an effect on the acquired disability.
Hypothes of the Study is there is no relationship between the demographic and socio- economic factors and the acquired disability.

3. DESCRIPTION OF DATA

3.1. Source of data and sample selection

The data of this study was collected from the department of disabled affairs of the social security institution (Benghazi). The department of disabled affairs was established in 1982 and it is specialized in executing the disabled habilitation programs, such as health care, financial support and other matter concerning the disabled welfare. according to disabled law and its issued rules.

The units in the population are available and the ordering of it is essentially random so the systematic sampling technique applied to draw a sample of 2726 person which represented 40 % of the population size.

3.2. Description of variables

The total number of variables in this study is 21, some of these variables are quantitative and most of them are qualitative with two or more distinct categories. Different variables and their different categories are discussed in brief below.

Demographic variables

Age (X_1): this variable is a quantitative one hence it can be included in the analysis directly.

Sex (X_2): this variable is a binary one so it has been included in the analysis by coding **one** for male and **zero** for female.

Socio – economic variables

Education level (X_3): this variable has **8** categories. These categories are (i) children under 6-years **(under education age)**, (ii) primary Education, (iii) secondary Education, (iv) university Education, (v) higher, (vi) write and read only, (vii) a graduates or student in one of the habilitation centers (viii) illiterate or can not be educate due to disability. Each category is considered as separate and **7** dummy variables $D_1, D_2, D_3, D_4, D_5, D_6, D_7$ respectively will be needed to represent the variable in the analysis.

Family income (X_5): this variable is a quantitative variable hence it can be included in the analysis directly.

Area (X_6): this variable is a binary variable so it has been included in the analysis by coding **one** for urban area and **zero** for rural area.

Condition of residence (X_7): this variable is a binary variable and has been included in the analysis by coding **one** for suitable and **zero** for un- suitable.

Type of residence (X_8): this variable is a binary variable so it is included in the analysis by coding **one** for stay with the family and **zero** for stay in disabled center.

There are 7 types of disabilities:

(i) **Blindness (X_9)**; (ii) **Deafness (X_{10})**; (iii) **Muteness (X_{11})**; (iv) **Mental retardation (X_{12})**; (v) **Paralysis (X_{13})**; (vi) **Amputation (X_{14})** and (vii) **Paresis (X_{15})**. Each type of these disabilities includes in the analysis as binary variable by coding **one** if the disability is present and **zero** if it absent.

There are two causes for disability:

First **congenital disability (X_{16})** and second **acquired disability (X_{17})** which is classified into (i) due to labor hard **(X_{17}a)**; (ii) due to non-vaccination **(X_{17}b)**; (iii) due to disease **(X17c)** and (iv) due to accidents **(X_{17}d)**. Each cause can be consider as binary variable by coding **one** if the cause is present and **zero** if it absent.

Table 3.1 Distribution of disabled by disability causes.

Disability causes	Congenital (X_{16})	Due to labor hard (X_{17}a)	Due to non - vaccination (X_{17}b)	Due to disease (X_{17}c)	Due to accidents (X_{17}d)
No. of male	862	20	8	537	256
Percent	51.2	1.2	0.5	31.9	15.2
No.of female	544	19	4	406	70
Percent	52.2	1.8	0.4	38.9	6.7
Total	1406	39	12	943	326
Percent	51.6	1.4	0.4	34.6	12

It is observed from table 3.1 that the congenital disability was the first cause of disability with 51.6 percent and its percentage among males and females

were 51.2 percent and 52.2 percent respectively. The disability due to disease occurred in the second order 34.6percent and it was higher among females 38.9 percent than males 31.9 percent. Third order was due to accidents with 12 percent and it was higher among males 15.2 percent than females 6.7 percent. The disability due to labor hard came in fourth order 1.4 percent. The final order of disability causes was due to non-vaccination 0.4 percent**.**

The disability happened place (X_{18}) this variable has **5** categories. These categories are house, road, the work place, agrarian or pastoral area and others. Each category is considered as separate and **4** dummy variables ***D_{12}, D_{13}, D_{14}, D_{15}***, respectively will be need to represent the variable in the analysis.

Duration of disability (X_{19}) this variable is a quantitative variable hence it can be included in the analysis directly.

In order to study family history we have to look at tow variables:

1- Number of disabled in the family (X_{20}) this variable is quantitative one and has been included in the analysis directly.

2- Parents relatively (X_{21}) this variable is binary variable so it included in the analysis by coding **one** if Parents relatively is present and **zero** if it absent.

4. METHODOLOGY

4.1. Introduction

To study our objectives, logistic regression analysis is used to identify the factors (variables) which have effect on the disability.

In the last twenty-five years logistic regression has become increasingly popular. This popularity is largely due to its applicability in a wide variety of situations [**O'Gorman and Woolson (1991)**]. Logistic regression analysis was utilized to assess whether school difficulties in the third school grade are related to the risk of overweight and obesity in young adulthood [**Lissau and Sorensen**

(1993)]. **Maaskant *et al* (1994)** predicted through logistic regression analysis in study on residents of institutions and group homes for people with mental handicap that age, gender and aetiological diagnosis do not have significant predictive power for the level of care dependent. **Samuelsson *et al* (1996)** founded through logistic regression analysis that functional outcome regarding physical independence was favorable in most patients. Motor impairment and white matter disease were the strongest predictors of a poor functional outcome. **Truffert *et al* (1998)** utilized the logistic technique to study the relationship between perinatal management and survival without disability. **Szlyk *et al* (1998)** predicted through logistic regression analysis that education was the primary predictor of employment in study to gain information about the employment status of legally blind patients. **O'Reilly *et al* (1998)** used logistic analysis to determine the relative importance of quadriceps function, structural change and psychological status with respect to disability in subjects with knee pain. **Zwerling *et al* (1998)** predicted through logistic regression analysis that poor sight and poor hearing as well as work disabilities in general are associated with occupational injuries among older workers.

4.2. Logistic Regression Model

For logistic regression the dependent random variable Y is a dichotomous variable taking the value one with probability p and the value zero with probability 1-p. Such a random variable is called a Bernoulli variable [**Kleinbaum et al (1987) and Chap (1998)**]. This variable has the simple discrete probability distribution:

$$p_r(Y = y, p) = p^{y}(1-p)^{1-y}; \qquad y = 0,1 \qquad (4.1)$$

Suppose that there are *n* individuals and *k* independent variables $x_1, x_2, \ldots, x_k$. These independent variables may be quantitative, categorical or a mixture of the two [**Retherford and Choe (1993)**].

For the i-th individual it can be written

$$p_i = p\,(Y_i = 1) \quad \text{and} \quad 1 - p_i = p\,(Y_i = 0) \tag{4.2}$$

The methodology of logistic regression analysis assumes that the relationship between the binary dependent variable and the independent variables is as described by the logistic function which is

$$p_i = \frac{e^{x_i'\beta}}{1 + e^{x_i'\beta}}$$

and

$$1 - p_i = \frac{1}{1 + e^{x_i'\beta}} \tag{4.3}$$

where $\beta_{(k+1)(1)}$ is the vector of parameters and $X_{n.(k+1)}$ is the vector of independent variables. The ratio between p_i and 1-p_i is called odds ratio [**Studenmund (2001)**]and it is given by

$$Odds = \frac{p_i}{1 - p_i} = e^{x_i'\beta} \tag{4.4}$$

The odds of an event occurring are defined as the ratio of the probability that it will occur to the probability that it will not. In logistic analysis, the probability of an event occurring can be estimated directly [**Norusis (1993)**].

The natural logarithm for odds is

$$ln\,odds = ln\,\frac{p_i}{1 - p_i} = x_i'\beta \tag{4.5}$$

this quantity is called the logit of *p* [**Retherford and Choe (1993)**], the last equation is in the form of ordinary multiple regression with ln odds as the

dependent variable and it determines the effect of *k* explanatory variables on this variable. This form is very convenient because it ensures that no matter what values are taken by the explanatory variables, the implied or predicted value of the dependent variable must be positive and less than one [**Intriligator (1978)**]. The logit *p* is commonly referred to as multiple logistic regression [**Sharma (1996)**].

4.3. Estimation of Parameters and Test of Hypothesis

When the dependent variable can have only two values, the assumptions necessary for hypothesis testing in regression analysis are necessarily violated. For example, it is unreasonable to assume that the distribution of errors is normal. Another difficulty with multiple regression analysis is that predicted values can not be interpreted as probabilities [**Norusis (1993)**]. Ordinary least squares method can not be used to estimate the parameters in logistic regression model because the logit is not defined when $P_i = 0$ or 1 [**Mirer (1983)**].

The maximum likelihood estimation is the most popular technique for estimating the parameters of the logistic model [**Sharma (1996)**]. Let Y_1, $Y_2,\ldots,Y_n$ are dichotomous observations on the n individuals where

$$p_r(Y_i = y_i,\ p) = p_i^{y_i}(1-p_i)^{1-y_i}\ ; \qquad y_i = 0,1 \tag{4.6}$$

the likelihood function is obtained, as the product of the marginal distribution of the Y_i's and it given by

$$\begin{aligned} L\ (Y;\ \beta\ ) &= \prod_{i=1}^{n} p_i^{y_i}\ (1-p_i)^{1-y_i} \\ &= \prod_{i=1}^{n} \left(\frac{p_i}{1-p_i}\right)^{y_i}\ (1-p_i) \\ &= \prod_{i=1}^{n} (e^{x_i'\beta})^{y_i} \left(\frac{1}{1+e^{x_i'\beta}}\right) \end{aligned} \tag{4.7}$$

and the *ln* of likelihood function is

$$ln\,L(\beta) = \sum_{i=1}^{n} y_i\, x_i'\,\beta - \sum_{i=1}^{n} ln\,(1+e^{x_i'\beta}) \qquad (4.8)$$

the estimate for parameter vector is obtains by maximizing $lnL(\beta)$. It can be obtained by taking the derivative of this *ln* likelihood function with respect to β. This is given by

$$\frac{\partial lnL(\beta)}{\partial \beta} = \sum_{i=1}^{n} y_i\, x_i - \sum_{i=1}^{n} \left(\frac{e^{x_i'\beta}}{1+e^{x_i'\beta}} \right) x_i \qquad (4.9)$$

setting the vector of partial derivation to zero and then solving the resulting equations to estimate the elements of β vector say (*b*). However, the resulting equations do not have an analytical solution. Consequently *b* is obtained by maximizing *ln* likelihood function using efficient iterative techniques such as Newton-Raphson method [**Sharma (1996) and Klassen (2000)**]. The logistic coefficients represent the impact of a one-unit change in the independent variable, holding the other explanatory variables constant, on the log of odds, not on the probability itself [**Studenmund (2001)**].

The testing hypotheses about the coefficients in logistic regression based on the Wald statistic. The Wald statistic has a chi-square distribution with degrees of freedom equal to one less than the number of categories and it is the square of the ratio of the coefficient to its standard error. However, Wald statistic has a very undesirable property, when the absolute value of regression coefficient becomes large, the estimated standard error is too large. In this case Wald statistic will be too small, so the null hypothesis that the coefficient is zero will be accepted when in fact it will be rejected. To solve this problem the change in the *ln* likelihood can be used for the test of hypotheses [**Hauck and Donner (1977) and Noruis (1993)**].

4.4.Testing the Difference between two Models

Let there is two logistic regression models which have the same response variable but different sets of independent variables where the first model is nested in the second model. Suppose the likelihood function of the first model is L_1 and the likelihood function of the second model is L_2. The null hypothesis tests whether the two models differ significantly from each other, or whether L_2-L_1 differs significantly from zero. But it is not possible because the sampling distribution of ($L_2 - L_1$) is not known .The statistic for which the sampling distribution is know is $-ln(\frac{L_1}{L_2})^2$ when $L_1 < L_2$ this can be written as

$$-2ln\left(\frac{L_1}{L_2}\right) = (-2ln\,L_1) - (-2ln\,L_2) \qquad (4.10)$$

The quantity $\{2ln\,L_2 - 2ln\,L_1\}$ is distributed as chi-square with degrees of freedom equal to the difference in the number of coefficient to be estimated in the two models [**Retherford and choe (1993)**]. The difference between $-2ln\,L$ for the model with only the intercept and $-2ln\,L$ for the model with the intercept and all independent variables is called model chi-square. The model chi-square tests the null hypothesis that the coefficients for all independent variables are zero [**Noruis (1993)**].

4.5. Goodness of Fit

There are many ways to assess whether or not the model fits the data. One way of these ways is *– 2 ln likelihood* statistic, which has a chi-square distribution with *n-q* degrees of freedom where *q* is the number of parameters in the model [**Sharma (1996)**]. A good model will be has a high likelihood this translates to a small value for *–2 ln likelihood* [**Norusis (1993)**]. In stepwise

method the change in *–2 ln likelihood* tests the null hypothesis that the coefficient of the terms removed from the model are zero.

In multiple regression the traditional indicator of fit is R^2 which measures the proportion of variation in the response variable that explained by the independent variables. For the logistic regression, a preferable alternative to R^2 as a measure of goodness of fit is the *likelihood ratio index* [**Pindyck and Rubinfeld (1998)**]. This index is defined as

$$\rho = 1 - \frac{L_{\max}}{L_0}$$

where L_0 represents the value of the *ln* likelihood function when all of the parameters are equal to zero and L_{max} represents the value when of the *ln* likelihood function has been maximized and an adjusted of ρ is given by

$$\rho' = \frac{2\,ln\,L_{\max} - 2\,ln\,L_0 - 2(K+1)}{-2\,ln\,L_0}$$

Another way is 2 × 2 classification tables which based on comparing the predictions to the observed values, classification of observations is done by first estimating the probabilities these probabilities can be use to classify observations in to the two groups. If classification rate 50% this imply that model have good predictive validity [**Sharma (1996)**]. The diagonal element of the table indicate how many cases are correctly classified and off diagonal entries of the table indicate the number of cases not correctly classified [**Norusis (1993)**].

4.6. Selecting Predictor Variables

When the number of independent variables are large in this case we want to identify subsets of these variables that are good predictor of the dependent variable. The logistic regression procedure has several methods available for model selection, which are forward stepwise selection and backward stepwise

elimination for automated model building. In this study we use the forward stepwise selection based on likelihood-ratio (*LR*) statistic which is better criterion than Wald statistic for determining variables to be removed from the model [Norusis (1993)]. The change in $-2ln\,LR$ statistic uses to test the null hypothesis that the coefficient removed term is zero. In forward stepwise the variables are entered to the model one by one and start with the model that cautions only the constant term b_0 then the variable whose maximum *ln* likelihood value is the largest after the constant term is selected to enter the model. Suppose $ln\,L\,(b_0,b_i)$, i = 1,2,…, *k* be the maximum *ln* likelihood value obtained from fitting i-th independent variable after the constant term b_o is fitted. If it is assumed that X_1 is the variable to enter the model then it must satisfy $ln\,L\,(b_0,b_1) = \max ln\,L(b_0, b_i)$ and it's corresponding the change in $-2ln\,LR$ statistic is significant. After X_1 has entered the model there will be *k*-1 independent variables not yet in the model. To select the second variable to enter the model, again maximum *ln* likelihood value $ln\,L\,(b_0, b_1, b_i)$ i = 2,3,…, *k* is computed for each *k*-1 independent variable [**Lee (1980) and El-Figih (1991**)]. The variable with the largest *ln* likelihood value and its corresponding the change in *-2 ln LR* is significant, is selected to enter the model. This process continues until no variables are eligible for selected by using the significant of *- 2 ln LR* [**Cohen (1989) and Norusis (1993)**].

5. ANALYSIS AND RESULTS

In this section the multiple logistic regression analysis is used to analyze and examine the effect of the different independent variables on the disability. There are two causes of disability which are (i) congenital disability (ii) disability due to acquired causes (acquired disability). In this analysis, the dependent variable is the disability cause.

Logistic Regression Model for Acquired Disability

The aim of this study is to determine the relationship between the independent variables and acquired disability (X_{17}). The model in this case includes the acquired disability as a dependent variable. The results obtained are given in table 5.1.

Table 5.1. Multiple logistic regression model for acquired disability

Variables	Estimates (B)	S.E	Wald statistic	P-Value	Odd-Ratio
Age (X_1)	9.024	8.691	1.078	0.299	8299.910
Sex (X_2)	-0.077	0.203	0.143	0.705	0.926
Education level (X_3)					
< 6 years (D_1)	0.353	0.406	0.756	0.385	1.423
Primary (D_2)	0.020	0.306	0.004	0.947	1.020
Secondary (D_3)	0.769	0.374	4.236	0.040*	2.158
University (D_4)	0.420	0.566	0.552	0.458	1.522
High (D_5)	1.769	1.044	2.870	0.090	5.862
Write and read (D_6)	0.408	0.760	0.288	0.592	1.503
a graduate or student in one of the habilitation centers (D_7)	0.860	0.429	4.025	0.045*	2.363
Marital status (X_4)					
< 14years (D_8)	0.043	1.059	0.002	0.967	1.044
Single (D_9)	0.299	0.969	0.095	0.757	1.349
Married (D_{10})	-0.677	0.943	0.515	0.473	0.508
Divorced (D_{11})	-11.982	354.435	0.001	0.973	0.000

Family income (X_5)	0.000	0.001	0.011	0.916	1.000
Area (X_6)	0.225	0.282	0.637	0.425	1.252
Condition of residence (X_7)	-0.346	0.385	0.807	0.369	0.707
Type of residence (X_8)	-0.878	0.521	2.834	0.092	0.416
Blindness (X_9)	1.278	0.428	8.923	0.003**	3.590
Deafness (X_{10})	0.108	0.575	0.035	0.851	1.114
Muteness (X_{11})	-0.682	0.694	0.965	0.326	0.506
Mental retardation (X_{12})	0.559	0.370	2.284	0.131	1.749
Paralysis (X_{13})	1.546	0.335	21.289	0.000**	4.692
Amputation (X_{14})	-1.442	1.336	1.166	0.280	0.236
Paresis (X_{15})	0.911	0.342	7.082	0.008**	2.487
place of disability occurrence (X_{18})					
House (D_{12})	3.697	0.252	215.522	0.000**	40.311
Road (D_{13})	17.161	202.693	0.007	0.933	28386862
Work Place (D_{14})	-99.181	436.589	0.052	0.820	0.000
Agrarian-pastoral area (D_{15})	19.934	400.026	0.002	0.960	4.54E+08
Duration of disability (X_{19})	-9.066	8.691	1.088	0.297	0.0001

Constant	-2.318	1.394	2.767	0.096	-
*Significant at .05 significant level		** Significant at .01 significant level			
ρ = 0.79				ρ' = 0.78	

From table 5.1 it can be seen that the variables such as secondary education (D_3), the education level [a graduate or student in one of the habilitation centers (D_7)], blindness disability (X_9), paralysis disability (X_{13}), paresis disability (X_{15}) and house (D_{12}) appear to be significant. The coefficients of secondary education and the education level (a graduate or student in one of the habilitation centers) are positive. This indicates that the two levels of education associated with increased odds and log odds of acquired disability. In other words, the acquired disability increases among disabled people whose education level is a graduate or student in one of the habilitation centers or secondary. The variable blindness disability has positive effect on acquired disability i.e.; the odds of acquired disability increase among blind people. The coefficient of paralysis disability is also positive and this means when X_{13} changes from 0 to 1, the odds and log odds of acquired disability increase. This indicates that acquired disability increases among disabled who have paralysis disability. Similarly, the paresis disability has positive effect on acquired disability. In other words, the paresis is associated with increased the acquired disability. It is also found from above table that house is associated with increased odds and log odds of acquired disability compared to other places.

From this analysis the model chi-square statistic is observed highly significant and it is equal to 2999.679 with 29 degrees of freedom. Therefor the

null hypothesis that there is no relationship between the demographic and socio-economic factors and the acquired disability is rejected. This indicates that there is a significant relationship between the demographic and socio-economic factors and the acquired disability.

The result shows that the $-2lnL$ statistic for the model with all independent variables and constant is 776.646, which is smaller than the $-2lnL$ for the model containing only a constant (3776.3248). It is also observed that the value of ρ is 0.79 and an adjusted of it is equal to 0.78. This indicates that the model fits the data very well. From table 5.2 for classification it can be seen that of the disabled who have acquired disability, 92.5% are correctly classified and of the disabled who have congenital disability, 98.3% are correctly classified. Overall, 95.5% of the disabled are correctly classified. This indicates that the model has good predictive validity.

Table 5.2 Classification table for acquired disability

Observed	**Predicted**		**Percent correct**
	Acquired	**Congenital**	
Acquired	1221	99	**92.5 %**
Congenital	24	1382	**98.3 %**
Overall 95.5 %			

.

Forward Stepwise Logistic Regression Analysis

Forward stepwise logistic regression analysis used in order to determine the important variables that have significant effect on the acquired disability and to develop a logistic regression model that includes the best set of independent variables. By using this procedure we followed ten steps for the selection of the

variables included in the final model. These variables are places of disability occurrence (house and road), age of disabled, duration of disability, agrarian or pastoral area, paralysis disability, blindness disability, marital status (single), paresis disability and mental retardation disability. Table 5.3 contains the estimate coefficients and related statistic of the final step in stepwise logistic regression analysis for acquired disability.

Table 5.3. Summary result for multiple logistic regression model for acquired disability by stepwise method

Variables	**Estimates (B)**	**Change in *-2 Ln LR***	**P-Value**	**Odd-Ratio**
House (D_{12})	3.619	266.703	0.000	37.300
Road (D_{13})	17.433	21.337	0.000	37243947
Age (X_1)	8.843	739.683	0.000	6925.739
Duration of disability (X_{19})	-8.896	907.985	0.000	0.0001
Agrarian-pastoral area (D_{15})	19.036	26.600	0.000	1.85E+08
Paralysis (X_{13})	1.668	38.152	0.000	5.302
Blindness (X_9)	1.573	19.456	0.000	4.821
Single (D_9)	0.566	8.234	0.004	1.762
Paresis (X_{15})	1.031	12.045	0.001	2.804
Mental retardation (X_{12})	0.570	4.481	0.034	1.768

Constant	-3.203	-	-	-
ρ = 0.79			ρ' = 0.78	

From table 5.3 it is observed that the coefficients of places of disability occurrence (house, road and agrarian-pastoral area) are positive. This means that compared to other places, house, road or agrarian- pastoral area is associated with increased odds and log odds of acquired disability. In other words, the cause of disability is acquired if disability occurrence place is house, road or agrarian-pastoral area. The acquired disability increases at agrarian or pastoral area more than the house and road. It is also observed in the analysis the age of disabled has high significant positive effect on acquired disability i.e.; when the disabled age increases and other independent variables remain constant the odds and log odds of acquired disability increase. This indicates that the intensity of acquired disability is found higher among high age. The coefficient of duration of disability is negative so the odds of acquired disability increase as duration of disability decreases. It is also found from the table that paralysis disability has positive effect on the acquired disability. This means that the paralysis disability is associated with the increase of acquired disability. The coefficient of blindness disability is positive and this indicates that acquired disability increases among blind people. The paresis disability is associated with increase of acquired disability. It is also observed that the coefficient of mental retardation is positive this means that when X_{12} changes from 0 to 1 with controlling for the effects of other independent variables, the odds and log odds of acquired disability increase. In other words, acquired disability increases among disabled people who have mental retardation. The result reveals that acquired disability increases among paralytics more than disabled who

have blindness, paresis disability or mental retardation. It is found in this analysis that coefficient of marital status (single) is positive. This means that single disabled are more likely to have acquired disability.

The equation of the logistic regression model in terms of the log of the odds can be written as

$$Z = -3.203 + 3.619\ D_{12} + 17.433\ D_{13} + 8.843\ X_1 - 8.896\ X_{19} + 1\ 9.036\ D_{15} + 1.668\ X_{13} + 1.573\ X_9 + 0.566\ D_9 + 1.031\ X_{15} + 0.570\ X_{12}$$

where Z is *ln* odds of the acquired disability.

The analytical result shows that model chi-square statistic is highly significant [p ($x^2 \geq 2980.5238$) = 0.000] with ten degrees of freedom so the null hypothesis (there is no a relationship between the demographic and socio-economic factors and the acquired disability) is rejected. This means that there is a significant relationship between the demographic and socio-economic factors and acquired disability.

The $-2ln$ likelihood statistic for the model with all independent variables and constant is 795.801, which is less than the $-2ln\,L$ for the model containing only a constant (3776.3248). Results also show that the value of ρ is 0.79 and an adjusted of it is equal to 0.78. From table 5.4 for classification it is observed that of the disabled who have acquired disability, 92.7% are correctly classified and of the disabled who have congenital disability, 98.4% are correctly classified. Overall, 95.6 % of the disabled are correctly classified. This indicates that the model fits the data very well

Table 5.4: Classification table for acquired disability for stepwise method.

Observed	Predicted		Percent correct
	Acquired	Congenital	
Acquired	1223	97	**92.7%**
Congenital	22	1384	**98.4 %**
Overall 95.6 %			

6 . CONCLUSION AND SUMMARY

The complexity in modern age with all its technological and industrial development in various fields has led to the increase of disability phenomenon.

The main object of the present study is to identify the demographic and socio-economic factors which have an effect on the acquired disability. The quantitative variables included in the analysis directly while some of the qualitative variables included in the analysis as dummy variables.

In order to achieve our aim of the present study the logistic regression analysis used to develop a model describes the relation between the demographic and socio-economic factors and the acquired disability. The analytical results revealed that:

The stepwise forward logistic regression method is also used to develop a model for acquired disability and the analysis reveals that:

1. The age of disabled has positive effect on acquired disability. This means that the disabled with increasing in the age are more subject to be affected by acquired disability.
2. The acquired disability increases as duration of disability decreases.
3. The cause of disability is acquired if the place of disability occurrence is house, road or agrarian-pastoral area.

4. The acquired disability increases among paralytics and it is also increases among blind people. The paresis disability is associated with increase of acquired disability and acquired disability increases among disabled people who have mental retardation.
5. The single disabled are more likely to have acquired disability. It is also revealed in the analysis that the variables sex, education level, family income, area, condition of residence, type of residence, deafness, muteness, and amputation disability do not have significant effect on acquired disability.

Finally, we can summarize the results of this study as follows: the age of disabled has a significant effect acquired disability, mental retardation, paralysis disability and paresis disability. In general, disability focuses on the age group 14-64 and the average of disabled age is about 34.92, this result is approximately similar to that of Hola (1998). Disability is prevailed more among males than females. This result agreed with HS, Algeria (1994) and HS, Libya (1997). The variable marital status also has a significant effect on acquired disability. It can be said that illiteracy spreads among disabled people and the percentage of single disabled is higher. This result agreed with Hola's (1998). Duration of disability has a significant effect on acquired disability. In general, percentage of disability in urban areas is more than rural areas. This result agreed with that of HS, Libya (1997) whereas differs from Nawar's (1981

There is also a significant association between disability causes and type of disability as well as between disability causes and area. However, there is no association between causes of disability and sex. This result agreed with Nawar's (1981).

REFERENCES

1 Agresti, A (1990). *Categorical Data Analysis*. New York: John Wiley & Sons.

2 Al-Salheen, A (1981). *Services Provided for the Disabled in Benghazi*. Secretariat of Peoples General Committee for Social Security. Benghazi

3 Brandt, S (1998). *Data Analysis*. New York: Springer.

4 Cochran, W.G.(1977). *Sampling Techniques*. New York: John Wiley & Sons.

5 Cohen, A (1989). Dummy Variables in Stepwise Regression. *Journal of the American Statistical Association.45(3),p226-228.*

6 El- Figih, Y. B (1991). *Statistical Analysis of Characteristics of Diabetic Patients*. M.Sc thesis. Garyonis University, Benghazi.

7 Hansen, M.H, Hurwitz, W.N and Madow, W.G (1953). *Sampling Survey Methods and Theory*. New York: John Wiley & Sons.

8 Hauck, W.W and Donner. A (1977). Wald's Test as Applied to Hypotheses in Logit Analysis. *Journal of the American Statistical Association. 72,851-853.*

9 Hocking, R.R and Leslie, R.N (1967). Selection of the Best Subset in Regression Analysis. *Technometrics. 9(4), P 531-540.*

10 Hola, A (1998). *Nathral and Social Obstacles and their Relation to the Adaptability of the Physicality Disabled*. M.Sc thesis. Garyonis University, Benghazi.

11 Intriligator, M.D (1978). *Econometric models, Techniques and Applications*.Oxford: North-Holland Publishing Company Amsterdam

12 Kleinbaum, D. G, Kupper. L. L and Muller K.E (1987). *Applied Regression Analysis and Other Multivariable Methods*. California: Duxbury press.

13 Klassen, P. B (2000). *Econometrics* of *Qualitative Dependent variables.* New York*:* Cambridge university press

14 Lee, E.T (1980). *Statistical Methods for Survival Data Analysis*. California: Lifetime Learning Publications, Belmont.

15 Lissau, I and Sorensen, T.I (1993). School Difficulties in Childhood and Risk of Overweight and Obesity in Young adulthood. *Int-J-Obes.17(3), p169-175.*

16 Maaskant, M. A; Kessels, A.G; Frederiks, M.A and Haveman,M.T (1994). *Care Dependence and Services Planning*. *J- Intellect- Disabil-Res. 38 (pt3), p299-315.*

17 McCulloch, C and Searle, S (2001). *Generalized Linear, and Mixed Models*. New York: John Wiley & Sons, Inc.

18 Mirer, T.W (1983). *Economic statistics and Econometrics*. New York Macmillan / Publishing Co, Inc.

19 Nawar, M (1981). *The Problem of the Disabled: its Size and Social Dimensions in Jamahiriya*. Benghazi: Secretariat of Peoples General Committee for Social Security.

20 Norusis, M. J. (1993). Spss for Windows Advanced Statistic Release 6.0.Chicago: Spss Inc.

21 O'connell, R.T.and Bowerman, B.L (1990). *Linear Statistical Models; An Applied Approach*. California: Duxbury press.

22 O'Reilly, S. C; Jones, A; Muir, K. R and Doherty, M (1998). Quadriceps Weakness in Knee Osteoarthritis: the Effect on Pain and Disability. *Ann-Rheum-Dis. 57 (10), p 588-594.*

23 Osman, A and Rampal,K.G (1989). A study of locomotor disabilities in Malay community in Kuala Selangor. *Med-J-Malaysia. 44 (1), p69-74.*

24 Park, K (1994). Park's Textbook of Preventive and Social Medicine. India: M\S Banarsidas Bhanot.

25 Pindyck, R. C and Rubinfeld, D. L (1998). *Econometric models and Economic Forecasts.* New York*:* McGraw-Hill.

26 Retherford, R. D and Choe, M. .K (1993). *Statistical Methods for Causal Analysis*.: John Wiley & Sons, Inc.

27 Samuelsson, M; Soderfeldt, B and Olsson, G.B (1996). Functional outcome in Patients with Lacunar infarction. *Stroke. 27(5), p 842-846.*

28 Sharma, S (1996). *Applied Multivariate Techniques*. New York: John Wiley & Sons.

29 Studenmund, A. H (2001). *Using Econometrics.* New York: Addison Wesley Longman.

30 Taber, C. W (1993). *Taber's Cyclopedic Medical Dictionary*. New York: F.A. Davis Company.

31 The General People's Committee for Health and Social Affairs (1997). *Arab Libyan Maternal and Child Health Survey* [HS]. Cairo: League of Arab States (LAS).

32 The General People's Committee for Health and Social Affairs (1994). *Arab Algerian Maternal and Child Health Survey* [HS]. Cairo: Arab States (LAS).

33 Truffert, P; Goujard, J; Dehan, M; Vodovar, M and Breart,G (1998). Outborn Status with a Medical Neonatal Transport Service and Survival without Disability at two Years. *Eur-J- Obstet-Gynecol-Reprod-Biol. 79 (1), p 8-13.*

34 World Health Organization [WHO] (1980). The International Classification of Impairments, Disabilities and Handicaps. Geneva

35 Zwerling, C; Sprince, N. L; Davis, C. S; Whitten, P. S; Wallace, R. R and Heeringa, S.G (1998). Occupational Injuries among Older Workers with Disabilities. *Am-J-Public-Health. 88 (11), p1691-1695.*

ملاءمة أغنام البربري المحلية لمنطقة سلوق ومقارنتها بنظم إنتاج الأغنام العالمية

سالم علي بوزريده[1] فتحي علي عطية[1] فؤاد سالم أكريم[2]

[1] قسم الحيوان كلية العلوم جامعة بنغازي [2]قسم الإنتاج الحيواني كلية الزراعة جامعة عمر المختار البيضاء

Email:sbozrayda@yahoo.com

الملخص :

تهدف هذه الدراسة لتوصيف منطقة سلوق جنوب غرب بنغازي ومدى ملاءمة نظام إنتاج أغنام البربري الحالي مقارنة بنظم الإنتاج العالمية وتحديد العوائق التي تقف في وجه تربية الأغنام بالمنطقة. تم توصيف المنطقة من حيث المياه الجوفية والتربة والنباتات وأغنام البربري كما تم عمل مقياس الأمطار والحرارة Hythergraph ودليل الحرارة والرطوبة THI للمنطقة. وتمت دراسة نظام التغذية والأمراض المنتشرة وطرق التسويق لثلاثين قطيعاً . تصنف المنطقة بأنها شبه جافة وفق المقاييس العالمية وترعي الأغنام فيها لمدة خمسة أشهر في المتوسط. أظهر توزيع الأمطار و الحرارة أن منطقة سلوق تلائم تربية الأغنام طويلة الذيل ذات الشعر و قصيرة الذيل ذات الصوف و أغنام المرينو عند مقارنتها بنظم تربية الأغنام العالمية. كما أظهر دليل الحرارة و الرطوبة وجود اجهاد قاسٍ خلال الفترة من شهر يونيو حتي شهر سبتمبر مما يتطلب مراعاة تأثيره على الإنتاجية والخصوبة. ويمكن لتحسين نوعية الصوف أن يضيف لأغنام البربري ميزة الأقلمة لظروف الحرارة المرتفعة.

تظهر الصفات الوصفية مثل لون الوجه والأرجل والصوف تنوع يمكن استغلاله لتكوين خطوط أو سلالات متخصصة في إنتاج اللبن واللحم والصوف. يعتبر نقص الأعلاف وانتشار الأمراض وعدم كفاءة نظام التسويق من المعوقات لتربية الأغنام بالمنطقة. ينصح المربون باتباع إجراءات الجفاف بمجرد ظهور اولي مؤشراته ومكافحة الأمراض المنتشرة بالمنطقة وتحسين كفاءة التسويق حتى تعود بأكبر فائدة علي المربي.

كلمات دالة: أغنام البربري ، مقياس الأمطار والحرارة ، دليل الحرارة والرطوبة ، الأمراض سلوق ليبيا

Abstract

The suitability of local Barbary sheep to Sulug region compared with international sheep production systems

Salem Ali Bozrayda[1] ،Fathi Ali Attia[1] ،Foad Salem Ikraem[2]

[1]Department of Zoology, Faculty of Science, University of Benghazi ،[2] Department of Animal Production, Faculty of Agriculture, University of Omar Al-Mukhtar, AlBaida

The objectives of this study were to describe Sulug region south east Benghazi and how it suited to barbary sheep production .The description includes underground water, soil, plants ،barbary sheep, feeding system, diseases, and methods of marketing .Hythergraph and Temperature Humidity Index were used to describe the region .The region is classified as semi-arid according to the international measures .Sheep were grazed for 5 months on average .Hythergraph showed that Sulug region is suitable to long tail short hair, short tail with wool, and Merino sheep as compared with international sheep production system .THI showed an existence of severe stress during June to September that needs to be considered for productivity and fertility .Improving wool quality of barbary sheep can add adaptive advantage to harsh environmental conditions .Local sheep showed variability in qualitative traits such as face and legs color .Color of face and legs could be used to establish lines or strains specialized in milk, meat and wool .It is recommended that producer to follow the suitable management during the dry season as first signs of dry occur ،and diseases prevention as well as improving marketing systems.

Key words: Barbary sheep, Hythergraph, THI ،diseases ، Sulug ،Libya

المقدمة

تعد تربية الأغنام موروثاً تاريخياً تعاقب الناس في ليبيا على الحفاظ عليه عبر حقب من الزمن. وشهدت فترة ظهور النفط في ليبيا طفرة في أعداد الأغنام المحلية بما وفره النفط من دعم للأعلاف مما أدى إلى تدهور المراعي بسبب الرعي الجائر أعقبه تدهور بيئي في المنطقة الواقعة جنوب غرب بنغازي. تنتشر تربية الأغنام المحلية (البربري) بمنطقة جنوب غرب بنغازي حيث تعد من أهم الأنشطة الاقتصادية بها ويوجد بمنطقة سلوق عدد ثلاث جمعيات للمربين ويبلغ عدد المربين 1175 مربي أغنام يملكون عدد 269095 رأس من الأغنام (مكتب الأرض الهندسي ، 2005) حيث تمثل ما نسبته 3.76 % من عدد الأغنام في ليبيا البالغ 7.15مليون رأس حسب تقديرات منظمة الأغذية و الزراعة (FAOSTAT 2014). يصنف الجزء الجنوبي من سهل بنغازي ومنطقة سلوق جزءاً منه بأنه ذو مناخ شبه جاف (لامه ، 2003: 137) وقد تعرضت المنطقة للجفاف لعدة سنين مما أدى إلى تفاقم مشكلة توفير جزء من الأعلاف عن طريق المراعي وانعكس ذلك سلبياً على تربية الأغنام وشكّل تحدياً بيئياً يهدد بيئة المنطقة وتربية الأغنام. وجدير بالذكر أن أنظمة إنتاج الأغنام العالمية : إنتاج الصوف الناعم وإنتاج الحليب وإنتاج الأغنام في الجبال والسهول وإنتاج الحملان في المناطق المنخفضة قد تطورت حسب طبيعة المناطق المتواجدة حتى تكون متلائمة معها كما ذكر اوين (1983: 21). كما أن أغنام البربري المحلية لم تشهد محاولات جادة لتحسينها فيما عدا المجهود الذي يبذله المربون دون خطط تربية موجهة لأهداف محددة. يمكن أن يلعب التحسين الورثي دوراً مهما في تطوير خطوط أو سلالات متخصصة من اغنام البربري ، خصوصا في حالة ندرة الموارد والبيئة القاسية كما هو الحال في منطقة جنوب غرب بنغازي. لذلك تهدف هذه الدراسة إلى وصف مدى ملاءمة منطقة سلوق بنظام الإنتاج الحالي لأغنام البربري مقارنة بنظم إنتاج الأغنام العالمية وتحديد المعوقات.

المواد وطرق البحث

منطقة الدراسة

تقع منطقة سلوق جنوب بنغازى عند خط طول 31.68 °شرقا وخط عرض 20.25° شمالا وتمتد من منطقة جردينة إلى مصب وادي الباب وأيضاً إلى شط البدين . يوجد فى المنطقة عدة أودية رئيسية مثل : وادى الباب وأودية أخرى صغيرة ، كما توجد مجموعة من السبخ من أهمها سبخة كركورة . تتأثر درجة حرارة المنطقة بعدة عوامل مثل الموقع الجغرافى والقرب أو البعد عن البحر والمناطق الصحراوية والارتفاعات حيث يتراوح متوسط درجة الحرارة في سهل سلوق ما بين (16–18 درجة مئوية) وتكون الفترة الأشد رطوبة ما بين شهر ديسمبر وفبراير حيث تقترب درجة الحرارة الدنيا إلى الصفر المئوي أما درجة الحرارة القصوى فتكون في شهر يوليو وسبتمبر حيث تفوق 40 درجة مئوية(لامه ، 2003: 313) و يأخذ امتداد السلسلة الجبلية اتجاه الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ويقل الارتفاع من الأعلى إلى الأدنى في نفس الاتجاه تاركاً بذلك فراغاً بالمنطقة (سهل سلوق –وجنوب غرب وادي الباب) معرضاً لتغلغل التيارات الهوائية الصحراوية التي تسبب ارتفاع درجة الحرارة بالمنطقة وهبوب رياح القبلي الساخنة صيفاً والرياح الغربية أو الجنوبية الغربية الباردة شتاءً ويبلغ متوسط الرطوبة النسبية حوالى 62% بسهل سلوق (مكتب الأرض الهندسى ، 2005) . وتصنف كمنطقة شبه جافة بمتوسط سنوي للأمطار 152.9 ملم (Jefferies ، 1989: 349) .

المياه والتربة والمراعي

يوجد بمنطقة سلوق خزاني مياه أحدهما (الخزان الجوفي الضحل) ويعد غير مجدي لملوحته (4000≈ جزء/مليون) وعمق الآبار فيه (20–30 م) وعمق مستوى المياه من (8–12 م) وإنتاجيته من (0.5 – 2 ل/ن). أما الخزان المنتج الآخر فهو الخزان المايوسيني وعمقه (–90 110م)ومستوى المياه من (70–50 م) و الإنتاجية (1–3 ل/ن) و الملوحة ما بين (–15000 2500 جزء/مليون) مثل حقل بالرجام شرق منطقة سلوق (مكتب الارض الهندسي ، 2005) . وجدير بالذكر أنه يوجد بمنطقة سلوق خزان عمر المختار للنهر الصناعي وهو يوفر مصدراً إضافياً للمياه .

التربة كلسيه تحتوي على أفق طيني ، وقد تحتوي على الأفق الجيري أو المتحجر وتتميز بقوامها الطيني الهش أحياناً والمتماسك احياناً أخرى. ويزداد القوام الطيني أحياناً مع العمق. ولها توصيل هيدروليكي متوسط ، وسمك القطاع يصل إلى (150سم). وتصنف التربة جافة بمعدل سقوط أمطار أقل من 200 مم وتربة صحراوية مسامية رملية تنتشر بها شجيرات قزمية وحشائش صحراوية.

هناك علاقة بين نوع التربة والغطاء النباتى حيث توجد خمسة انواع من التربة تتميز كل منها بأنواع من النباتات فهناك تربة محمرة رسوبية في أعلى شمال شرق المنطقة تنتشر بها بعض أشجار العرعار والبطوم ونباتات الزعتر والرتم والرمث والزهيرة والشبرق والمثنان والشوفان البري. أما النوع الثاني تربة بنية فاتحة سلتية إلى كلسية تتخللها تربة حصوية رملية والترب الرسوبية الحديثة وتنتشر بها بعض شجيرات قزمية وأعشاب وحشائش مثل:الزعتر و الشبرق و السدر و المثنان والعجرم والشيح والرمث و السويدة والجل والكزاح والشوفان البري. والنوع الثالث تربة بنية فاتحة كلسية صحراوية رملية بها شجيرات قزمية متناثرة ونباتات مثل السدر والرمث كما يوجد الشبرق في الأودية و الشوفان البري والحرمل والعجرم. والنوع الرابع تربة بنية إلى مصفرة سلتية طمييه وطينية رملية يوجد بها نبات السدر في الأودية والرمث والجداري والنوع الخامس تربة كلسية إلى صحراوية مسامية رملية أو طينية بسيطة التطور بها شجيرات قزمية وأعشاب ونباتات السبخ والقرضاب والحميضة والغسول والكجرود والنفل والبلبال والزعتر والقزاح والنجيلة والسويدة والشلظام. وفي العموم هناك تدهور في هذا الغطاء النباتي حيث تتناقص نباتات العرعر والبطوم والزعتر ويحل محل الأخير الشبرق كما يزداد النباتات الغير مستساغة مثل : الرمث والعجرم والجل والحرمل والتي بعضها سامة وتتنا قص كمية الشيح. وتتعرض منطقة سهل بنغازي خصوصا في قطاعها الجنوبي موضع الدراسة إلى تدهور في المراعي كما وجد ذلك(لامه ، 2003: 137) وتعزي أسباب التدهور إلى الرعي الجائر والانجراف وسوء الاستعمال للأرض وفقر المنطقة من النباتات الرعوية والاحتواء على الرسوبيات الملحية بالتربة والتجوية وتغطية النباتات بواسطة التربة المنقولة وموتها والظروف المناخية الاخرى . ولتوصيف المنطقة من حيث الأمطار والحرارة والرطوبة . أستخدمت المقاييس التالية:

مقياس الامطار والحرارة (Hythergraph)

تم رسم مقياس معدلات سقوط الأمطار ومعدلات درجات الحرارة العظمي الشهرية باستخدام بيانات لمدة 30 سنة بمحطة أرصاد جردينة ومقارنتها بمعدلات سقوط الأمطار والحرارة لتوزيع أنظمة إنتاج الأغنام العالمية كما وصفت في(Edy ، 1983: 135).وذلك لتحديد ملاءمة نظام إنتاج الأغنام الحالي لمنطقة الدراسة.

دليل الحرارة والرطوبة (Temperature Humidity Index)

تم حساب دليل الحرارة والرطوبة ((THI بالمعادلة التالية:

0.8 xمتوسط درجة الحرارة + الرطوبة (متوسط درجة الحرارة−14.4) +46.4

استخدمت معايير الاجهاد لدليل الحرارة والرطوبة حسب (Nienaber وأخرون ، 1999: 121) وذلك لتحديد فترات الاجهاد القاسى بالمنطقة.

توصيف الأغنام والإدارة

تعد أغنام البربري المحلية ذات الذيل الغليظ (الالية) من الأنواع المنتجة للصوف الخشن ورأسها بني أو أسود أو أبيض أو درجات من الألوان الثلاثة يكون الرأس مختلف اللون عن باقي الجسم الأبيض ونادراً ما يكون الوجه أبيض بالكامل والأرجل عادة تكون مثل لون الرأس أو مبقعة من الأسفل وتتميز بصوف ذي لون أبيض يغطي كامل الجسم رغم ذلك قد تكون منطقة الرقبة والأكتاف والأرجل من أسفل سوداء أو بنية. يكون حجم أغنام البربري متوسطاً وقوائمها قصيرة نوعاً ما وأذانها عريضة وطويلة،عيونها كبيرة ، وجسمها مستدير من الخلف ومتناسق ، ورقبتها وأرجلها قصيرة وذيلها عريض من الأعلى ويمتد إلى العرقوب ، يصل ارتفاعها مابين 75−65سم .

للكباش قرون كبيرة ملتوية وقليلاً ما توجد بالإناث وإن وجدت تكون قصيرة أو غائرة وتميل إلى الشكل المربع عند التسمين والشكل المثلث في حالة الجفاف ، وتكون ذات آلية مكتنزة الدهن فى الجزء العلوي وتنتهي بطرف مستدق على مستوى العرقوب.

يمتد موسم التناسل على مدار السنة ويترك كثير من المربين الكباش مع القطيع باستمرار إلا ان بعضهم يتحكم في التزاوج بمسك الكباش وإطلاقها في أوقات محددة. معظم الولادات تتركز في أكتوبر ونوفمبر وديسمبر وكذلك تحدث ولادات في مارس وأبريل ومايو، وهذا يشير إلى موسمية في التزاوج خلال فصلي الصيف والخريف. كما يتم جز الصوف خلال منتصف شهر مايو. يفضل معظم المربين تسويق الحملان عقب الفطام بعمر 3 إلى 4 اشهر إلا أنهم يستبقون الحملان في حالة أن يتوافق عمرها عند البيع مع عيد الأضحى أي بعمر 6 أشهر وحتى سنة

التغذية والتسويق والأمراض

تم توصيف نظام التغذية بالمنطقة لثلاثين قطيعاً بالمنطقة اختيروا عشوائياً وذلك بتسجيل مدة الرعي والتعليف بالشهر وكمية العلف للرأس باليوم وكمية الماء المستهلك للرأس باليوم إضافة إلى طريقة التسويق : مباشرة إلى الجزّار أو عبر وسيط. كما تم مسح للأمراض المنتشرة بالمنطقة في 30 قطيعاً اختيرت عشوائيا من خلال تردد المربين علي العيادة البيطرية.

النتائج والمناقشة

توزيع الأمطار والحرارة والرطوبة

يظهر شكل 1. توزيع الحرارة والأمطار علي مدار السنة محسوبة كمتوسط لثلاثين سنة وهذا يمثل مقياس الأمطار والحرارة للمنطقة. وكذلك تم دمج دليل الحرارة والرطوبة مع مقياس الأمطار والحرارة في هذا الشكل. وقد أوضح الشكل أن موسم الأمطار يبدأ بسقوط كميات قليلة في شهر سبتمبر وتزداد بالتدريج حتى تصل أقصي معدل لها في شهر يناير 50 ملم ويبلغ المتوسط السنوي 152.9 ملم ، في حين أن درجة الحرارة العظمى تبدأ في الزيادة من شهر مارس وتصل لأعلى قيمة في شهر يونيو 3.36 مْ وأقل انخفاض في شهر ديسمبر 17.6 مْ .

شكل 1. توزيع متوسطات مقياس الأمطار والحرارة العظمى ودليل الحرارة والرطوبة THI في منطقة سلوق خلال أشهر السنة.

عند مقارنة مقياس الأمطار والحرارة لمنطقة سلوق بمقياس الأمطار والحرارة لتوزيع أنواع الأغنام في العالم حسب (Hammond ، 1954) استشهد به فى (Edy ، 1983: 135) ، نجد أن منطقة سلوق تلائم تربية الأغنام طويلة الذيل ذات الشعر والأغنام قصيرة الذيل ذات الصوف وأغنام المرينوالاسبانى. تربي الأغنام في جنوب أفريقيا واستراليا تحت معدلات سقوط أمطار منخفضة 176 ملم ، ورغم أنها تتعرض لفترات جفاف لكنها تحقق كفاءة إنتاجية جيدة (Ensminger ، 1982 :595).

كما يوضح دليل الحرارة والرطوبة في شكل 1. أن الأغنام تعاني إجهاداً قاسياً خلال الفترة من شهر يونيو وحتى شهر سبتمبر حيث يكون دليل الحرارة والرطوبة ما بين 90.9 و 89.4 على التوالي ، في حين لا يوجد إجهاد في الشتاء من ديسمبر وحتى فبراير. أما في الربيع والخريف فيكون الاجهاد

ما بين البسيط والمتوسط ، لذا يجب أن يوضع فى الاعتبار فترات الإجهاد عند تنظيم التناسل والولادات بحيث يتم التلقيح فى الفترات الأقل إجهاداً وتجنب فترات الإجهاد القاسي من شهر يونيو حتي سبتمبر ، كما يمكن تخفيف حدة الإجهاد فى هذه الفترة بتوفير مظلات بسيطة مصنوعة من مواد محلية أو غرس إشجار . وكذلك يجب العمل علي تحسين نوعية الصوف لما له من خصائص أقلمة. ذكر Khalil وآخرون(1997: 107)أن الصوف الطويل في أغنام البرقي يعد واقياً جيداً حيث يقلل اللهاث ويحتفظ بالحرارة في وسط خصلة الصوف للمحافظة على درجة حرارة جسم الحيوان. ويعد الصوف الناعم عازلاً ممتازاً تحت ظروف الإجهاد الحراري (Edy ، 1983: 141). قطر ليفة الصوف تستجيب للانتخاب بسرعة ، فالمكافئ الوراثي عالٍ (0.56) وتكون مستقلة تقريباً عن وزن الجسم (Notter and Hough ، 1997: 1730). ومن بين أنظمة الإنتاج العالمية تعد اغنام البربري المحلية بمنطقة سلوق أكثر ملاءمة لنظام إنتاج الصوف الناعم حيث انه موجود في السهول الشبه جافة من أستراليا وجنوب أفريقيا وأمريكا الجنوبية (أون 1983،:21). هذا وقد أشار حمادة (1974: 226) إلى أن من بين الأغنام الليبية –البرقي– المستوردة لمصر أغنام بيضاء الجسم والرؤوس والأرجل لها ذيول رفيعة غير غليظة لها صوف ناعم رفيع قصير ومجعد. ويمكن إذا تم تحسين سلالة أو خط من أغنام البربري لإنتاج الصوف الناعم أن يكتسب ميزة تنافسية بسبب قربه من الأسواق الأوروبية إضافة لتوفيره لجزء من احتياجات اللحم. كما يجب الإشارة إلى أن أغنام البربري تربى في مناطق عديدة في ليبيا شبة جافة مثل المناطق الممتدة من غرب بنغازي حتى تاورغاء ومناطق جنوب الجبل الأخضر ومن درنة حتي الحدود المصرية إضافة لمناطق جنوب وغرب طرابلس فإذا تم تحسين نوعية الصوف في هذه المناطق ووجد طريقه للتصدير أو أقيمت عليه صناعات منافسة يمكن أن يضيف مصدر للدخل القومي.

التغذية

يبين جدول 1. نظام التغذية للأغنام بمنطقة الدراسة حيث كانت مدة التعليف أطول إذ بلغت في المتوسط 7 أشهر مقارنة بمدة الرعي والتي بلغت 5 أشهر وأظهرت الصفتان اختلافاً محدوداً. كما يشير إلى ذلك معامل الاختلاف . مما يشير أن نظام تربية الأغنام بالمنطقة يعتمد على المراعي لمدة أقل من تلك التي تقدم فيها الأعلاف وهذا انعكاس لتربية الأغنام في منطقة شبه جافة مما يؤكد ضرورة التدخل لتعديل النظام إلى أفضل إمكانية حسب الظروف الموضوعية وذلك بزراعة محاصيل الحبوب و العلف بالمنطقة والتهيؤ للتعامل مع الجفاف بمجرد ظهور أولى بوادره ، بخفض أعداد

الأغنام المتقدمة في العمر والضعيفة واستبقاء نعاج وكباش التربية السليمة والحيوية لإعادة بناء القطيع عقب الجفاف وإعطاء الأولوية في التغذية للنعاج في المراحل الأخيرة من الحمل وفطام الحملان مبكراً وتغذية النعاج البالغة من أجل البقاء بتوفير الشعير والتبن وزراعة محاصيل وتأخير التزاوج حتى تتعافي النعاج والرعي على جانب الطريق. أما كمية العلف المستهلك يوميا فكان بمتوسط 1.30 كجم باليوم للرأس ويعلف معظم المربيين (76.7 %) قمح أو شعير إضافة إلى القطامة والدشيشة بينما تكتفي البقية بالشعير أو القمح فقط. متوسط استهلاك الماء كان 2.88 لتر ماء للرأس،وتشكل الآبار المصدر الرئيسي للمياه (73.3 % من المربين) في حين يشتري 23.3 % من المربين المياه. إلا أن وجود خزان عمر المختار للنهر الصناعي يشكل عاملاً إيجابياً للمساعدة في توفير المياه.

تشكل طول مدة التعليف مشكلة للمربيين وهي أهم الأسباب فى ارتفاع تكلفة تربية الأغنام مما يستوجب التفكير فى إيجاد حلول لها وذلك بإدخال محاصيل العلف بمزارع النهر الصناعي الكبيرة و الصغيرة ومحاولة تحسين المراعي بالمنطقة.

جدول1. المتوسط والخطأ القياسي ومعامل الاختلاف لصفات تغذية اغنام البربرى بمنطقة سلوق

الصفة	المتوسط الخطأ القياسي (العدد=30)	معامل الاختلاف
مدة التعليف (شهر)	0.85±7.03	12.1
كمية علف/يوم(كجم)	1.300.54	41.5
مدة الرعى (شهر)	0.81 5.23	15.5
استهلاك الماء/يوم (لتر)	2.881.64	47.3

الأمراض

يوضح جدول 2 . نسب أهم المشاكل الصحية المنتشرة بالأغنام لدى المربيين بالمنطقة . تعد الطفيليات الداخلية مثل : القراد والبرغوث والقمل والشعران ، والخارجية : مثل : الديدان الشريطية

والديدان الخيطية والنغف الأكثر انتشاراً بقطعان المربيين ، أما أهم الأمراض انتشاراً فهي الالتهاب الرئوي والتهاب الضرع والتسمم المعوي والعرج الذي يمكن أن يكون المقصود به التهابات الأقدام. ويعد نقص فيتامين أ الأكثر شيوعا في قطعان المربيين ، والذي يمكن أن يُعزى لنقص الأعلاف الخضراء في حين أن العشى الليلي والخراج القيحي والحمى القرادية تأتي في المرتبة الثانية من حيث الانتشار، كما ينتشر نقص الكالسيوم والصوديوم والسرطانات والتسمم الدموي والجدري بنسب منخفضة.

جدول2. نسبة انتشار الطفيليات ونقص الفيتامينات والأملاح والأمراض والإصابات بقطعان مربي الأغنام بمنطقة سلوق.

النوع	% الانتشار	النوع	% الانتشار
طفيليات داخلية وخارجية	40.0	التهاب الضرع	23.3
نقص فيتامين ا	23.3	التسمم المعوي	3.7
نقص الكالسيوم والصوديوم	6.6	التسمم الدموي	3.3
العشي الليلي	13.3	الحمي القرادية	10.0
العرج	23.3	الجدري	3.3
خراج قيحي	10.0	الالتهاب الرئوي	33.3
أورام	3.3		

يوضح الجدول السابق وجود نسبة عالية من الطفيليات والأمراض وكذلك نقص بعض العناصر الغذائية مما يستلزم مكافحتها لرفع كفاءة تربية الأغنام وخلال فترة الدراسة ظهر مرض الحمى القلاعية بشكل وبائى بسبب أن الأغنام لم تحصن خلال سنة 2011 ضد هذا المرض.

التسويق

تسوق الأغنام مباشرة من المربي إلى الجزار لدي 23.3 % من المربيين وعن طريق وسيط لدي 60 % من المربيين و بواسطة الاثنين معاً لدى 16.7% من المربين. وقد وجد الفاخري (2007: 25)

أن 62.5 % من التسويق يتم عن طريق الوسطاء و 22.8 % من خلال الجزارين ، ويلاحظ أن الوسطاء هم الأكثر استفادة من المربيين لذا يجب العمل على إنشاء إتحاد للمربين يُعنَى بتسويق الأغنام بحيث تعود أكبر الفائدة على المربيين وتحافظ على سعر معقول يناسب المستهلكين.

التوصيات

تعد منطقة سلوق ملائمة لتربية الأغنام طويلة الذيل ذات الشعر وقصيرة الذيل ذات الصوف وأغنام المرينو. و يمكن أن تكون المنطقة أكثر ملاءمة لتكوين سلالة ممتازة فى نوع الصوف الناعم إضافة لإنتاج اللحم حيث يزيد ذلك من أقلمة هذه الأغنام لظروف المنطقة. ويمكن استخدام الاختلافات في لون الوجه والأرجل والصوف لتكوين خطوط متخصصة بحيث تصبح سمة مميزة للخط مثل أن تكون الأغنام ذات اللون البني للبن وذات اللون الاسود للحم وذات اللون الابيض للصوف. ونظراً لأن المنطقة تتعرض للجفاف فيجب أن يتهيأ المربون للتعامل معه عند ظهور أولي مؤشراته. كذلك يجب تجنب الإجهاد القاسي خلال الفترة من شهر يونيو حتي شهر سبتمبر بزراعة الأشجار لتوفير الظل أو باستخدام مظلات بسيطة أو بتنظيم التزاوج والولادة لتجنب أكبر قدر من الإجهاد ، كما نوصي بمكافحة الطفيليات والأمراض و نقص العناصر الغذائية و تحسين نظام التسويق حتى يعود بأكبر مردود علي المربين.

المراجع

الفاخري ، سعد إبرهيم عباس .(2007) . دراسة اقتصادية لتسويق الأغنام ولحومها بمنطقة سلوق. بحث تخرج ، قسم الإنتاج الحيواني ، كلية الزراعة،جامعة بنغازي ، ليبيا.

أون ب. جون. (1983). إنتاج الأغنام. ترجمة (فؤاد عبداللطيف عبد الكريم و مظفر نافع رحو الصائغ. جامعة البصرة ، البصرة ، العراق.

حمادة ، مصطفي كمال عمر(1974). إنتاج الضأن والصوف. دار المطبوعات الجديدة. الاسكندرية. مصر.

لامه ، محمد عبدالله. (2003). سهل بنغازي: دراسة في الجغرافية الطبيعية. منشورات جامعة بنغازي ، بنغازي ، ليبيا.

مكتب الارض الهندسي للاستشارات و الدراسات والأعمال المساحية. (2005). دراسة لتجديد النباتات المنقرضة والآيلة للانقراض و وضع خطة المراعي. المرج ، ليبيا.

Edey, T. N) .1983 .(Tropical Sheep and Goat Production. Australian Universities International Development Program .Canberra .pp :197.

Ensminger ،M. E) .1983 .(Animal Sciene. The Interstate Printers & Publishers, Inc. Danvile, Illinois .Pp :1049.

FAOSTAT. (2014). Available at :http://faostat3.fao.org/download/Q/QA/E)accessed 11-7-2016 (

Jefferies, B. C) .1989 .(Sheep Husbandry in South Australia. Department of Agriculture. South Australia .Pp :98 .

Khalil, M .H. El-Sherbiny, A. A. El-Gabbas, H .M. and W. H.Abdel-Ghany) .1997 .(Clean Fleece Weight Components and their Relation to some adaptive measures in the Egyptian Barki Sheep .Egy. J. Anim. Prod ،.34 :103-113.

Nienaber ،T .A ،.G .L .Hahn and R .A .Eigenberg) .1999 .(Quantifying livestock responses for heat stress managment :A review .Int .J . Biometeroloy ،42 : 183-188.

Notter, D. R. and J. D .Hough) .1997 .(Genetic parameter estimates for growth and fleece characteristics in Targhee sheep .J. Anim. Sci ،.75 : 1729-1737.